ليلى صالح 31 سنة معلمة روضة، حنونة، متعبة من إهمان العائلة، قوية داخليًا رغم هشاشتها .تحب ابنها سامي أكثر من أي شيء.

كريم الحسن 36 سنة مهندس معماري مشهور، وسيم، متمالك وبارد، قلبه متعلق بديلا أخت زوجته السابقة لا يستطيع أن يبادل ليلى الحب.

سامي 8 سنوات ابن ليلى وكريم، فضولي، صادق وبريء، أهم ما لدى ليلى.

داليا 34 سنة حبيبته القديمة شخصية ساحرة وجذابة، لها ماضٍ مع كريم.

حسن 55 سنة والد ليلى، صاحب دكان بسيط .علاقة متوترة مع ابنته لكنها علاقة واقعية لها أثر في روحها.

تولّي 50 سنة والدة ليلى، أكثر تقلبًا في المشاعر؛ هي التي تهاجم وتضغط على ليلى.

إياد النجار 33 سنة ضابط شرطة جديد في المدينة، شجاع لكنه يحمل أسرارًا طفيفة .يدخل حياة ليلى بانقاذه لها في الجنازة شخصيته دافئة لكنه حذر.

ترجلت من السيارة ووقفت للحظة أمام بابه؛ الهواء البارد حادٌّ بطرف أنفي، ويداي ترتجفان كأنما تحملان شيئًا أثقل من حقيبتي .في داخلي كان شيء يحثّني على أن أرجع، على أن أمسح الورقة من حقيبتي

وأحتفظ بها لنفسي، لكني تذكرت وعدي لسامي :أن أكون واضحة لأجله، أن لا أُبقِ عليه كسجينٍ في بيتٍ لا مكان له فيه.

دفعت الباب بيت كريم بيت كان يومًا حلمي بدا اليوم وكأنه منزلٍ مُعفى من روحه الأصوات الخافتة قادتني نحو المطبخ؛ كانت المحادثة بينهما بسيطة لكن حملت عقودًا من الألم.

أبي لماذا كل هذا؟سمعته يقول، صوته صغير لكنّه حادّ يقرصني في الداخل.

رد كريم بنبرة معتدلة، كما لو أنه يعلّم درسًا مشًا في الأخير،هذه أمور الكبار، يا سامي .بعض الأشياء تنتهي.

لم تزل قدماي ثابتتين، وقلبي ينهشني نفسي كوچک تتمنى أن أندفع وأنصرخ وأطرح كل ما على قلبي منذ سنوات : لماذا لم تحبني؟ لماذا جعلت البيت خاليًا مني؟ لكنّ السؤال الحقيقي كان عن سامي، عن براءته التي لم تلوثها مكائد البالغين.

أبي، هل تحب أمي؟ الكلمات ببساطتها كسرتني أكثر من أيّ طعنة.

صمت تنحنح كريم، ثم قال بابتسامةٍ ضعيفة لا تصل إلى عينيه، أحبها لأنها أعطتني إياك.

كانت محاولته للتلطيف جرحًا مقنّعًا :أحبها لأنها

أعطتني إبني .لم يقل الحقيقة .لم يقل أبدًا :أحبك .لم يقلها يوم زفافنا، ولم يقلها تحت ضوء القمر، ولم يقلها حين ولد سامي وملأت الأمومة قلبي بأكمله.

وقفت على حافة المطبخ، أراقب الابن والأب، أراقب كيف يسقط صوت الحقيقة بينهما كحجر صغير في بركة هادئة فيقلب الماء .ضعت بين أن أغادر وألا أثقل عليهم، وبين أن أنطق بكلمة ربما تغيّر شيئًا لكنني تذكرت الحقيبة .ورقة الطلاق.

ما الذي تفعلين هنا؟ سألني كريم فجأة، وعيناه الرماديتان تطوقانني كعصافير جائعة.

ابتسمت ابتسامة مهذبة، منحنية قليلًا لسامي، أحضرت نسخة من ورقة الطلاق .سأخذ سامي الآن.

تغيّرت ملامحه إلى برودٍ يبعث على الألم كان يهز شفتيه كما لوماط كان ينبغي أن تُرسليها لا تقطعي وقتي معه.

جلست ورقة الطلاق على الطاولة، وثقبتني كلماتُه مثل سكين بارد بعد كل سنوات الانتظار والتمسّك، بعد كل محاولاتي أن أكون امرأة صالحة، ها هو يقول لي إن الوقت المُخصّص له أهم من حقي في لقاء ابنه.

لم أكمل الحديث؛ رن هاتفي بصوت أمي صوتها كان مشحونًا بالهلع،توجهي للمستشفى حالًا !حسن أُصاب!

سقط الهاتف من بين يداي كل شيء تلاشى حولي لوهلةٍ قصيرة ذاك النوع من الصمت الذي تليّح الدنيا فيه
اصطدمت الكلمات ببعضها في عقلي :إطلاق نار؟ حسن؟ أبي؟
عندي موعد هناك الآن هل يمكنك البقاء مع سامي؟ قلت بلا تفكير، وبدأت أجمع حقيبتي كمن يحاول أن يلتقط شظايا يومٍ انهار فجأة.
سأبقى سأجعل والدتي تأتي إليه أجاب كريم ببرودٍ، لكن سريعًا ما أمسكت عينيه شهقة قلق لم يستطع إخفاءها.
القيادة إلى المستشفى كانت سلسلة من صورٍ متقطعة :وجه والدي ماسكًا في يده ورقة الإيصال، أمي تبكي بوجعٍ مكتوم، ترافيس واقفًا متيبسًا، وكأن كل شيء في حياتي يُدفع للحد الأقصى في هذه الساعات.
عند الاستقبال لم يسألوني كثيرًا؛ قالوا إنه في غرفة الطوارئ، سيُنقل فورًا لعمليّة أمضيت الطريق والدم يتجمّد بعيدًا عنّي كنت غريبة في حدّ ذاتي؛ لم أستطع أن أُشعر بكثيرٍ سوى ببرودة تحت الجلد.
ومنذ أن علمت أنه مات لأن الطبيب أخبرنا بعد ساعات أن شيئًا لا رجعة فيه قد حدث تهاوت الأرض من تحت قدمي .
كانت كلمات الطبيب رسمية، لكنّ صراخ والدتي فكك أي شيء بداخل جوفي.

الوداع في المشرحة كان ماثلًا جسد بارد، ورق شفاف، نهاية للإنسان الذي لم يكن يومًا لقلبي شيئًا أكثر من مصدر وطأة همست له:وداعًا يا أبي لم أعرف بعد لماذا اختمرت في صدري هذه الغصة التي لا أستطيع أن أفسّرها .ربما لأنّه بالنسبة لسامي، كان كل شيء.

حين خرجنا إلى بهو المستشفى كانت السماء تمطر رذاذًا بطيئًا، وكأن السماء نفسها تبكي سمعت خطوات تقترب مني، ورجلًا يقول اسمي بهدوء.

أدرتُ وجهي ورأيت شخصًا لم أعرفه من قبل عيناه زرقاوان كسماءٍ شفاف، وملامحه محاطة بهدوءٍ صارم .أنا إياد، ضابط قالها بلا تكلّف نظر إليّ نظرةٍ جعلت شيئًا خافتًا داخلي يتعافى هل أنتِ بخير؟

لم أكن متأكدة إن كنتُ أحتاج أن أكون بخير لكنّني في تلك اللحظة تذكّرت سامي، وابتسامةٍ مرّة ارتسمت على شفتيّ لا أعلم لكن يجب أن أكون كذلك لأجله.

إياد لم يبتعد .ظل يقفَ بجانبي، الذي لم أدرِ بعد إن كان صدفةً أم بداية ضوءٍ ما في ظلال حياتي المتكسّرة.

لم يكن المطر يرحم ذلك اليوم، كأن السماء ترفض أن تصمت مثلنا.

المقبرة امتلأت برجالٍ يهمسون، ونساءٍ يخفين وجوههن خلف الشالات.

الكل يتحدث عن موت أبي وكأنه مشهد عابر في مسلسل حياتهم اليومية، بينما أنا كنتُ أتعلق بكل تفصيل صغير آخر مرة ضحك فيها، آخر مرة وضع فيها يده على كتفي وقال:انتِ قوية يا ليلى، لا تخلّيهم يكسروا فيكِ.
الآن، لا أحد يمد لي كتفًا أتكئ عليه.
وقفتُ صامتة، والماء يبلل خصلات شعري المتسللة من تحت الطرحة، حين اقترب إياد بخطواتٍ بطيئة .لم يقل شيئًا فقط أخرج من جيبه مظلة ورفعها فوقي.
قال بهدوء، المطر برده ممكن يبقى رحمة أحيانًا.
التفتُ إليه، حاولت أن أبتسم لكن لم أستطع.
الرحمة مش في المطر يا حضرة الضابط الرحمة إن الناس تبطّل تسيب بعضها قبل الوقت.
لم يرد، لكن نظراته كانت كأنها تفهم أكثر مما أقول.
عينيه لم تكن كعيون رجال الشرطة المعتادة فيها شيء من الحزن، وكأنه يخفي جرحًا يعرف طعم الخسارة مثلي.
بعد انتهاء الدفن، اقتربت مني أمي.
وجهها شاحب، وصوتها متكسر، لكنها ما زالت كما كانت دائمًا قوية في قسوتها.
اللي حصل دا ما كانش صدفة، ليلى أبوكي كان متغيّر

من كام يوم .كان بيقول إنه شايف ناس بتتبعه.
نظرت إليها في صمت يعني إيه ناس بتتبعه؟ هو في إيه؟
هزت رأسها، مش عارفة بس قبل الحادث بيوم، حد كلمه بالتليفون وخرج متوتر .ما رجعش غير على صوت الرصاص.
تسللت القشعريرة إلى ظهري.
لم أكن أريد تصديقها، لكن كلماتها لم تغادر ذهني.
هل فعلاً أبي مات صدفة أم أن هناك ما لم يُقال؟
اقترب إياد مرة أخرى وهو يدوّن شيئًا في دفتر صغير.
لو تسمحيلي، محتاج أسألك كام سؤال بسيط عن آخر مرة شفتيه فيها.
ترددت، ثم قلت ببرود :قبل أسبوع .كان زعلان مني لأني طلّقت كريم قال إني استعجلت .وبعدها ما كلمنيش تاني.
كتب شيئًا سريعًا، ثم رفع عينيه وقال:لو خطرلك أي تفصيل صغير، حتى لو مالوش معنى، كلّميني فورًا .
الحادث مش واضح ومحتاجين نتأكد من حاجات.
غادر بعدها، لكن صوته ظل في رأسي كصدى بعيد.
كل الناس رحلوا، بقيت أنا وسامي.
ابني كان ماسك في يدي بقوة، صوته يرتجف" :ماما، هو

جدو راح السما؟
.نزلت على ركبتي، وضمت وجهه الصغير بين كفيّ
أيوه يا حبيبي، بس هو شايفنا دلوقتي، وهيساعدنا من هناك.
مسح دموعه بإيده، وسأل ببساطة، هو كان زعلان منك؟
تجمدت كيف يعرف كل هذا؟
.أجبت بحذر :يمكن شوية بس هيسامحني
في تلك اللحظة، مرّت سيارة سوداء ببطء من بعيد، نوافذها مظللة، توقفت للحظة وكأن أحدهم يراقب.
وقبل أن أرفع رأسي لأرى من فيها، كانت قد اختفت في الضباب والمطر.
.وقفتُ وأنا أضم سامي إليّ، وقلبي يخفق بشدة
لم أكن أعلم أن تلك السيارة ستكون أول خيطٍ في لغزٍ سيقلب حياتي كلها من جديد.
.لم يكن الليل هادئًا تلك الليلة
كل صوت في الشقة الصغيرة كان مضاعفًا، وكأن الجدران نفسها تهمس لي بكل ما فقدت.
سامي نام بصعوبة بعد أن بكَى طويلًا، أما أنا، فكنت أجلس على الأرض في الصالة، محاطة بصورٍ قديمة لأبي، وأوراقٍ لم أفهم معناها بعد.
وجدت بين أوراقه إيصالًا بنكيًا بتاريخ قبل وفاته

بيومين، وتحويل مالي كبير لشخصٍ مجهول.
نظرت في الاسم:سالم الراوي لا أعرفه، لكن الاسم تردد في ذاكرتي كأنه لم يأتِ من فراغ.
كان أبي دائمًا يقول" :في ناس بتضحكلك وهي عايزة تدوسك.
وقتها كنت أظنه يبالغ الآن لا أعرف.
أغلقت الضوء، وجلست في الظلام في رأسي صوت واحد فقط:
هل ممكن موت أبي يكون له علاقة بحاجة أكبر من مجرد حادث سرقة؟
ولماذا كان يخبئ كل شيء عنّا؟
رن الهاتف فجأة، فارتجف قلبي.
رقم غريب.
رددت، وجاءني صوت إياد الهادئ من الجهة الأخرى:آسف لو بكلمك متأخر، بس التقرير الأولي للحادث طلع.
شهقت:في حاجة؟
الرصاصة اللي أصابته ما كانتش من النوع المنتشر في المنطقة نوع عسكري وده معناه إن اللي ضربه مش لصّ عادي.
سكتُّ، وسمعت أنفاسي تتسارع.

حضرتك تقصد إن إن أبي اتقتل عمدًا؟
قال ببطء،لسه بدري نقول كده، بس في حاجة غلط .
.ومحتاج منك شوية صبر، لأن أي معلومة ممكن تساعدنا
قبل أن أرد، سمعته يضيف:وبالمناسبة، لو شوفتي أو
لاحظتي حاجة غريبة حوالين البيت أو المدرسة، كلّميني
.فورًا
ترددت للحظة، ثم قلت بصوت خافت:في عربية سودة
كانت عند المقابر وقفت شوية وبعدين اختفت سمعته يتنفس
بعمق تمام خدي بالك من نفسك يا ليلى، وعديني ما
.تتحركيش لوحدك
.قلت بهدوء :هحاول
.لكن لم يكد يغلق الخط حتى سمعت طرقًا خفيفًا على الباب
.تجمدت
.نظرت من العين الصغيرة وكانت المفاجأة
.كريم
وقف أمام الباب يحمل باقة ورد ذابلة ووجهه يحمل مزيجًا
.من التعب والندم
فتح الباب بنفسه قبل أن أقرر، وقال بنبرة حاول أن يجعلها
.هادئة:سمعت باللي حصل لحسن جاي أقدملك العزاء

نظرت إليه ببرودٍ متعمد.
العزاء خلص وجودك مش ضروري.
تنفس ببطء، ثم وضع الورد على الطاولة دون إذن.
مش دايماً لازم نفضل أعداء، ليلى إحنا شاركنا عمر ..."
وابن.
تقدمت نحوه خطوة واحدة فقط، كمن يواجه شبحًا يعرفه جيدًا.
ابننا مش جسر ترجع تمشي عليه لما تحس بالذنب، كريم خلّيني في حالي.

ابتسم ابتسامة باهتة.
ما تقدريش تمنعيني أشوفه.
رفعت رأسي بتحدٍ:قانونيًا أقدر .إنما إنسانيًا، ما عنديش طاقة تفتح نفس الجرح تاني.
كانت اللحظة ثقيلة، الصمت فيها أكثر وجعًا من الكلام.
نظر حوله، لاحظ الصورة الممزقة على الأرض، وأوراق أبي المبعثرة.
كنتي بتدوري على حاجة؟
دي حياتي، مش تحقيق.
ضحك بخفة، ثم قال بصوت منخفض:بس شكلك مش فاهمة إنك اتورطت في حاجة أكبر منك يا ليلى.

التفتّ إليه فورًا:يعني إيه الكلام دا؟
اقترب قليلًا، وقال بجدية لم أعرفها فيه من قبل:أبوك كان مديون لناس خطرين وأنا حاولت أساعده بس هو رفض يمكن عشان كده حصل اللي حصل.
صُدمت.
!بتقول إيه؟
مش وقته، بس أوعى تصدقي كل اللي بيتقال .في ناس بتلعب في الخفاء، وأنا يمكن الوحيد اللي فاهم الحكاية.
ثم خرج بهدوء كما دخل، تاركًا خلفه بابًا مفتوحًا ومليون سؤال معلّق في الهواء.
عدت إلى الداخل ألهث، يدي ترتجف.
كلمات كريم تلاحقني، وصوت إياد في الهاتف يتردد في أذني:في حاجة غلط.
جلست بجوار سامي النائم، وضعت يدي على شعره.
همست لنفسي:أبوك راح، وجوزك القديم راجع، والناس اللي ورا الكواليس بدأت تتحرك بس المرة دي، مش هههرب.
رفعت رأسي إلى السقف كأنني أحلف وعدًا لنفسي
أن أكتشف الحقيقة، مهما كلفني الأمر.
في الصباح، غمرت الشمس الغرفة بخيوطها الهادئة، لكن الدفء لم يصل قلبي بعد.

استيقظ سامي باكرًا، يحمل لعبته الصغيرة ويمشي بخطوات مترددة نحو الباب المغلق لغرفة جده.
وقف هناك، ينظر بصمت طويل، ثم التفت إليّ:ماما جدو لسه نايم؟
تجمّدت للحظة، لا أعرف إن كنت أقدر أشرح الموت لطفل في الثامنة.
اقتربت منه وجلست على ركبتي أمامه، وضعت يدي على كتفه الصغير.
جدو سافر يا حبيبي سافر مكان بعيد، بس هو بيحبك ولسه شايفك.
قال ببراءة جعلت قلبي ينقبض:طيب لما يرجع، هياخدنا نلعب في الحديقة؟
ابتسمت بصعوبة:أكيد، لما نروح له هناك إن شاء الله.
شدّ يدي بقوة وقال:بس أنا مش عايز أروح مكان بعيد أنا عايزك إنتِ.
تلك الكلمات كانت كافية لأن تذيب الجدار الذي كنت أبنيه حولي منذ الجنازة.
احتضنته بشدة، والدموع تسيل بصمت دون أن أفكر في إخفائها هذه المرة.
بعد لحظات طويلة، سمعنا طرقًا خفيفًا على الباب.
ظننت للحظة أنه كريم عائد مجددًا، فخفق قلبي خوفًا.

لكنها كانت أم مروان جارتنا العجوز التي لم تتركني لحظة منذ الحادث.

دخلت بابتسامة طيبة تحمل خلفها تعب السنين.

يا بنتي، شوفتك من الشباك قاعدة لوحدك جبتلك شوية فطور.

شكرًاها بخفوت وجلست أمامها.

نظرت إليّ بعينٍ خبيرة لا يفوتها شيء.

إنتِ مش مرتاحة يا ليلى وشّك بيحكي حاجات ما اتقالتش. تنهدت، مش عارفة يا خالة في حاجات كتير مش مفهومة .

وكريم رجع، وكلامه زادني حيرة.

قالت وهي تضع يدها على يدي:اسمعي نصيحتي، متخليش الخوف يحكمك .اللي راح راح، بس اللي جاي محتاج قلب قوي.

ابتسمت بخفوت.

قلبي خلاص اتعب.

قالت بحنان:القلوب اللي بتتعب هي اللي تعرف تحب صح.

خرجت وتركتني في صمتٍ غريب.

كانت الريح تمرّ من النافذة وتداعب ستائر الغرفة، تحمل معها شيئًا من الماضي، شيئًا لا يُرى ولا يُنسى.

في المساء، جلست مع سامي نراجع دروسه.
كان صامتًا أكثر من المعتاد.
سألته :مالك يا حبيبي؟
قال وهو يرسم على الورقة:كنت سامع صوت في الشباك، حد بينادِيني باسمِي.
تجمدت.
إمتى؟
النهارده الفجر كنت نايم وصحيت الصوت كان زي صوت جدو.
نظرت إلى النافذة، والبرد تسلل إلى أطرافي.
ربما كان خياله، وربما شيء آخر.
أغلقت الستائر بإحكام، واحتضنته بقوة.
في عينيه كانت البراءة، وفي قلبي كانت الريبة.
ولأول مرة منذ وفاة أبي، أحسست أن البيت لم يعد بيتًا بل مكانًا يحمل أسرارًا لم تُفتح بعد.
استيقظتُ ذلك الصباح على ضوءٍ ناعمٍ يتسلل من النافذة، كأنه يذكّرني بأن الحياة تمضي رغم الحزن.
قررت أخيرًا العودة إلى عملي في المدرسة.
كنت أحتاج أن أتنفس شيئًا آخر غير رائحة الفقد.
عند بوابة المدرسة، استقبلتني الأستاذة هناء بابتسامةٍ دافئة:أهلاً بعودتك يا ليلى، المدرسة كانت ناقصة

هدوءك.
ابتسمت بخفوت:رجعت علشان أرجّع نفسي، يمكن الشغل ينسّيني شوية.
ربتت على كتفي وقالت:اللي زيك ما بيتكسرش بسهولة.
مرّ اليوم ببطءٍ مشوبٍ بالحذر.
كنت أشرح الدرس، لكن نظراتي تسرح ناحية النافذة أحيانًا أحس بشيء يراقبني، ظلّ يتحرك ثم يختفي.
ربما الخوف صار عادة، وربما هو لم يغادر فعلًا.
مع نهاية الدوام، خرجت من المدرسة أحمل حقيبتي القديمة، متعبة من مجهودٍ لم يكن جسديًا فقط، بل روحيًا.
وعندما وصلت إلى بيتي، وجدت سيارة متوقفة أمام الباب لم أعرفها.
ثم سمعت صوتًا مألوفًا، لكنني تمنيت لو لم أسمعه أبدًا وحشتيني يا أختي.
التفتُّ ببطء.
كانت هي ديلا.
وقفت أمامي بثقةٍ زائدة، شعرها الأشقر مسدل بعناية، وعطرها يملأ المكان كأنه إعلانٌ عن حضورها.
ابتسمت ابتسامة باردة وقالت:رجعت أخيرًا سمعت اللي حصل لأبويا قلت لازم أكون جنبك.

نظرتُ إليها مطولًا، أتفحّص الملامح التي تغيّرت كثيرًا منذ آخر لقاء بيننا.

جنبّي؟ بعد كل السنين دي؟

هزّت كتفيها بلا مبالاة:مهما حصل، أنا أختك برضه.

دخلت البيت كأنها لم تغب يومًا، تتفقد الأثاث، وتفتح النوافذ، ثم قالت:كل حاجة زي ما هي حتى جدران البيت لسه حزينة.

قلت ببرود:البيت افتقد الراحة، مش الذكريات.

جلست على الأريكة، وأخرجت سيجارة.سمعت إن كريم جه يعزيكي.

ارتبكت قليلاً:إنتِ عرفتي منين؟

ضحكت بخفة:هو كلمني كان متأثر جدًا.

تجمدت في مكاني، وعرفت أن ما أخشاه قد بدأ.

قالت وهي تنفث الدخان ببطء:الناس كلها بتغلط يا ليلى يمكن كنتِ قاسية معاه زيادة الراجل محتاج اللي تسمعه، مش اللي تحكم عليه.

نظرت إليها بحدة:ما تحاوليش تبرري له .كريم جزء من الماضي، وأنا مش ناوية أرجع له.

اقتربت مني بابتسامة ماكرة:بس هو رجعلك بطريقته.

كانت الكلمات تُلقى عليّ كصفعاتٍ صغيرة، كل واحدة منها تحمل نية دفينة لإيلامي.

لكنني تماسكت، رفعت رأسي وقلت بهدوء:ديلا وجودك مرحّب بيه طالما ما فيش نية لتدمير اللي فاضل فيّ .أنا تعبت من الحروب.

ضحكت بخفوت:وأنا جاية أبدأ سلام، مش حرب.

لكن في عينيها كان السلام يشبه العاصفة قبل أن تهبّ.

في الليل، جلست في غرفتي أتأمل الظلال على الجدار. سامي نائم، وديلا تغلق غرفتها بالمفتاح عكس ما كانت تفعل أيام الطفولة.

الهدوء غريب، والبيت يحمل رائحة مختلفة، كأن الهواء نفسه تغيّر.

نظرت من النافذة فرأيت تلك السيارة نفسها تقف أمام البيت من جديد، والمصباح الخلفي يومض للحظة ثم ينطفئ.

هل هو إياد؟ أم كريم؟ أم أحد آخر؟

لا أعلم لكنني أدركت شيئًا واحدًا عودة ديلا لم تكن صدفة. كانت بداية جديدة لحكاية أكثر ظلامًا.

كانت السماء رمادية في ذلك الصباح، والريح الباردة تعبث بشعري بينما أرتّب الورود في السلة الصغيرة.

قلت بصوتٍ خافت:يلا يا ديلا النهارده لازم نزور قبر بابا.

نظرت إليّ من المرآة وهي تضع أحمر شفاهها

بعناية:أكيد، بس ممكن نمرّ على كريم؟ هو اللي هيودينا بعربيته.
تجمدت في مكاني للحظة، قلبي انقبض، لكني تظاهرت باللامبالاة.
كريم؟ ليه هو؟
ابتسمت بخبث خفيف:قال عايز يعتذرلك وأنا شايفة إن وجوده مش هيضر، خصوصًا في يوم زي دا.
لم أعلّق، فقط حملت الزهور وخرجت بصمت.
بعد دقائق، توقفت سيارة سوداء أمام البيت.
خرج منها كريم ملامحه منهكة، لكن عينيه لازالتا بنفس الهدوء الغامض.
فتح الباب الخلفي وقال:تركبوا؟ الطريق بعيد شوية.
جلست في المقعد الخلفي، وديلا بجواره في الأمام، تتحدث وتضحك بخفة كأنها تعرفه منذ الأزل.
كنت أنظر إلى الشوارع التي تمرّ بنا بصمت، كل زاوية تحمل ذكرى.
وصوت ديلا يعلو:فاكر لما كنا بنروح الحديقة كلنا سوا يا كريم؟
ابتسم بخفة، وقال:فاكر كل حاجة.
تجاهلت الحوار، لكن شيئًا في داخلي كان ينكسر ببطء.
عند المقابر، كانت الريح تعصف برفقٍ كأنها تبكي معنا.

وضعت الزهور على القبر، ولم أستطع منع دموعي.
همست:وحشتني يا بابا أنا تايهة.
وقف كريم خلفي بصمت، بينما ديلا انشغلت بتصوير المكان.
قلت بحدة:مش وقته صور يا ديلا!
ردّت ببرود:كل واحد بيحزن بطريقته، يا أختي.
لكن قبل أن أرد، سمعنا صوتًا غريبًا.
فرقعة حادة، ثم أخرى.
طلقات نار.
صرخت ديلا، وانخفضتُ أرضًا أضم رأسي.
كريم جذبها بقوة إلى الخلف، وألقى بجسده عليها ليحميها.
كل شيء حدث في ثوانٍ.
صرخات، رصاص، رائحة البارود في الهواء.
حاولت النهوض، لكن الألم اخترق كتفي الأيسر فجأة.
سقطت على الأرض، والدماء تسيل ببطء بين أصابعي.
سمعت صوت كريم يصرخ باسمي، لكني لم أر وجهه فقط رأيته يحتضن ديلا، يغطيها بذراعيه، بينما أنا أزحف لأتجنب الرصاص.
ثم صمت.
كل شيء هدأ دفعة واحدة.

الناس خرجت من بعيد، أصوات سيارات، صفارات.
نظرت نحوه، كان لا يزال ممسكًا بديلا، يطمئنها بصوتٍ متقطع.
وعيناه لم تلتقيا بعينيّ ولو مرة واحدة.
حين وصلت سيارة الإسعاف، اقترب أخيرًا.
كنت أتنفس بصعوبة، الألم ينهشني، لكنه اقترب بخطواتٍ ثابتة.
نظر إليّ للحظة، نظرة قصيرة، باردة، ثم تنفّس بعمق.
كأن شيئًا داخله هدأ كأنني حين سقطتُ، اختفى عبءٌ كان يثقله.
قالت ديلا وهي تمسك بذراعه:كريم، خلاص، سيبها للدكاترة، تعال.
نظر إليها، ثم إليّ.
لم يقل شيئًا.
فقط وقف هناك، يشاهدني وأنا أُحمل إلى سيارة الإسعاف.
آخر ما رأيته قبل أن تُغلق الأبواب هو ملامحه
تلك الراحة الغريبة التي لم أفهمها،
وذلك السؤال الذي ظلّ يطاردني وأنا أغيب عن الوعي:ليه أنقذها هي وسابني أنا؟
لم يكن هناك ضوء.

فقط صمت كثيف كالبحر، يبتلع كل شيء.
أحاول فتح عيني، لكن جسدي ثقيل، وكأنني عالقة بين زمنين واحد ما زال ينزف، وآخر لم يولد بعد.
أصوات بعيدة تصلني متقطعةالضغط بينخفض نبض ضعيف!
ثم صوت آخر أكثر دفئًا، يهمس باسمي:ليلى استحملي، بس استحملي شويه.
لم أعرف هل هو حلم أم حقيقة، لكن الصوت كان مألوفًا. كان إياد.
مرت ساعات أو ربما أيام.
حين فتحت عيني أخيرًا، كانت رائحة المستشفى أول ما استقبلني.
جهاز المراقبة بجانبي يصدر صوتًا ثابتًا، وكتفي ملفوف بالشاش والأنابيب.
نظرت حولي، فوجدت إياد جالسًا على الكرسي المقابل، رأسه منحني، وملامحه مرهقة.
تمتمت بصوتٍ واهن:إياد.
رفع رأسه فورًا، وكأن الحياة عادت إليه.
ليلى !الحمد لله كنتي بين الحياة والموت.
حاولت الكلام، لكن الألم منعني.
اقترب وقال بلطف:متتعبيش نفسك .الأطباء قالوا

الرصاصة خرجت من الكتف، الحمد لله ما لمستش العصب.

أغمضت عيني قليلًا، ثم تمتمت:فين ديلا؟

تردد، ثم قال ببطء:هي بخير وكريم كمان.

تصلبت ملامحي:أكيد هو كان بيحميها.

نظر إليّ مطولًا ثم قال:هو فعلاً حماها، بس الحادث غريب يا ليلى الطلقات كانت موجهة في اتجاهك، مش عشوائية.

تسارعت أنفاسي.

تقصد إن حد كان عايز يقتلني؟

هز رأسه ببطء:مش عايز أسبق الأحداث، بس في مؤشرات كده .واسم سالم الراوي اللي كان في ورق والدك.

بدأ يظهر تاني في مكالمات لكريم قبل الحادث بيوم.

نظرت إليه بذهول.

كريم؟!

قال بجدية:يمكن هو نفسه مش عارف، بس في حد بيستغله أو بيستخدمه .وأنا محتاج وقت أفهم.

في هذه اللحظة، فُتح الباب ببطء.

دخلت ديلا تمسك باقة ورد بيضاء، ووراءها كريم.

وقفا عند الباب، وكأن الهواء تجمد بيننا.

قالت ديلا بصوتٍ مفعم بالعاطفة:حمد لله على سلامتك يا أختي، خوّفتينا.
نظرت إليها بصمت، ثم إلى كريم، الذي كان يتجنب عينيّ تمامًا.
قال بخفوت:ما كنتش عايز يحصل كده أنا آسف.
أغلقت عيني لحظة، ثم تمتمت:مش لازم تعتذر .اللي حصل خلاني أفهم حاجات كتير.
اقتربت ديلا أكثر، وضعت الورد بجانب السرير، وقالت بابتسامة باهتة:القدر اختارك تظلي هنا، يمكن علشان تتعلمي تسامحي.
نظرت إليها نظرة طويلة، ثم همست بمرارة:أو يمكن علشان أشوف وشّ الناس على حقيقتهم.
ساد الصمت، فقط صوت الأجهزة يملأ الغرفة.
كريم تنفّس ببطء، نظر إلى إياد ثم خرج دون كلمة.
أما ديلا، فجلست للحظة، نظرت إليّ وقالت بصوتٍ منخفض بالكاد يُسمع:أنا ما كنتش عايزاها توصلك الرصاصة.
رفعت نظري نحوها ببطء، لكنّها كانت قد نهضت وخرجت.
بقيتُ أنا وإياد فقط.
قال بهدوء، وعينيه لا تفارقاني:مش هسيب الموضوع

ده يعدي كده .اللي حاول يؤذيك هنوصل له، حتى لو كان أقرب الناس.
أغلقت عيني، والدمعة انزلقت بصمت.
لأول مرة منذ موت أبي، شعرت أنني لست وحدي.
لكنني أيضًا كنت أعلم أن القادم لن يكون سهلًا.
فأحيانًا تكون الرصاصة الحقيقية هي الغدر، لا الرصاص.
مرت أيام بطيئة داخل المستشفى، كانت تشبه ساعات معلّقة لا تريد أن تمر.
الوجوه نفسها، الزيارات نفسها، والوجع الذي يرفض أن يغادر كتفي.
لكنّ أكثر ما كان ينهشني هو الصمت صمت من أحببتهم، ومن ظننت أنهم سندي.
في صباحٍ بارد، حين دخل الطبيب ليخبرني أن بإمكاني المغادرة، شعرت أنني أتنفس لأول مرة منذ زمن.
لم أكن بحاجة إلى البقاء، ولا حتى إلى أحد.
فأنا لم أعد تلك ليلى التي تخاف الوحدة ...بل التي تعلّمت منها.
دخلت ديلا تحمل فستانًا أنيقًا، وقالت بابتسامة متكلفة:الحمد لله خرجتِ، البيت ناقصك يا أختي.
نظرت إليها ببرود:البيت؟ البيت اللي كنتِ فيه مع طليقي وأنا على سرير المستشفى؟

تجمدت ملامحها، فتابعت:خدي بالك منه أنتي بتحبيه من زمان، مش كده؟
لم ترد.
فابتسمت بمرارة:ما تخافيش، خلاص مش هكون في طريقكم.
في تلك اللحظة دخل كريم، يحمل باقة ورد صغيرة.
وقف عند الباب وقال بصوتٍ خافت:ليلى لو تسمحيلي أوصلك، الطريق طويل.
نظرت إليه طويلًا، ثم تمتمت بجمود:مش محتاجة تعلمت أوصل لوحدي.
مدّ يده، كأنه يريد قول شيء، لكنّها سقطت ببطء حين رآى إصراري.
ابتعدت عنه بهدوء، ورفعت حقيبتي الصغيرة على كتفي رغم الألم.
تقدمت نحو الباب، لكن قبل أن أخرج استدرت إليهم.
اسمعوني كلكم كويس من النهارده أنا مش ليكم، ولا أنتم ليا.
انسوني زي ما أنسيتوني.
اعتبروني متّ يمكن دا أريح للجميع.
صمتٌ ثقيل ملأ الغرفة.
حتى الأجهزة التي كانت تراقب نبضي بدت وكأنها

توقفت للحظة.
ديلا شهقت، قالت برجاء:ليلى، ما تقوليش كده!
نظرت إليها بهدوء غريب، كأنني أرى كل شيء من وراء زجاج بارد :قولت اللي كان لازم يتقال مش عايزة حد يزورني، ولا يسأل عني كل واحد يعيش حياته وأنا هعيش بطريقتي.
ثم خرجت.
تركت خلفي رائحة مطهرات المستشفى تختلط برائحة الذكريات، وخلفي نظرات كريم المليئة بالندم، ونظرة ديلا التي لم أعرف هل كانت ذنبًا أم انتصارًا.
في الخارج، كان الهواء يحمل برد المساء.
رفعت رأسي إلى السماء، شعرت أن الغيوم تشبهني ثقيلة، لكنها تتحرك رغم الألم.
سرت بخطواتٍ بطيئة نحو طريقٍ لا أعرفه، لكنني كنت متأكدة من شيءٍ واحد أن الرجوع لم يعد خيارًا.
كانت السماء رمادية كأنها تعكس ما بداخلي.
الطريق أمامي طويل، يبتلع خطواتي الثقيلة.
إلى جواري، كان سامي الصغير يمسك يدي بقوة، عينيه تائهتان بين الخوف والحنين.
قال بصوتٍ خافت:ماما هنروح فين؟
نظرت إليه وابتسمت رغم الدموع التي تملأ عيني:هنبدأ

من جديد يا حبيبي هنعيش سوا زي ما كنا دايمًا.
قبل يومين فقط، كنت في مواجهة قاسية داخل بيت والديّ.
والدتي، التي كانت تبكي وتصرخ:إزاي تاخديه يا ليلى؟ دا ابنه !دا ليه حق يشوفه!
أما كريم، فكان واقفًا صامتًا، وجهه متصلب، لكنه لم يمنعني حين قلت بهدوءٍ يشبه الحسم:ابنك هيفضل يشوفك وقت ما تحب بس يعيش معايا .أنا اللي هربيه على إن الكرامة مش ذنب.
حاولت أمي أن تمسك بيدي، لكنني تراجعت:خلاص يا أمي اعتبريني مش بنتك لو دا هيريّحك .أنا اخترت طريقي.
وخرجت وأنا أسمع صوت بكائها يتلاشى خلفي.
كانت وجهتنا قرية صغيرة في ضواحي المدينة، حيث عرضت عليّ مديرة مدرسة قديمة وظيفة مؤقتة كمُدرّسة لغة عربية.
المدرسة بسيطة، جدرانها متشققة، لكن الأطفال فيها يملكون قلوبًا أنقى من أي قصور.
في اليوم الأول، حين وقفت أمامهم، كان سامي يجلس في الصف الأخير يراقبني بفخر، وكأنني بطلة خارجة من قصة قديمة.

حين ناداني أحدهم بـ أبلة ليلى، شعرت أن قلبي ينبض من جديد.

في المساء، بعد انتهاء اليوم الدراسي، جلست في الشرفة الصغيرة للغرفة المستأجرة، أكتب في دفتري:ربما أكون خسرت كل شيء لكني وجدت نفسي.

وجدت معنى أن أعيش لأجل من يستحق، لا لأجل من يُرضى.

اقترب سامي ووضع رأسه على كتفي:ماما، هنبقى هنا على طول؟

ابتسمت ومسحت على شعره:لحد ما نلاقي مكان نحلم فيه سوا.

نظر إليّ وقال بخجل:بابا كان زعلان لما مشينا.

تنهّدت بصوتٍ منخفض:بابا هيبقى كويس، متقلقش.

ثم همست لنفسي:بس إحنا لازم نكون أقوى حتى لو وحدنا.

في المدينة، كان إياد يراقب من بعيد.

تلقى تقريرًا من أحد معارفه يخبره أن ليلى انتقلت لمكانٍ جديد مع طفلها.

قرأ الورقة، ثم قال في نفسه:بدأت من جديد فعلاً بس اللي حاول يقتلها لسه حرّ.

أغلق الملف، وفي عينيه تصميم غامض:أنا مش هسيبها

تواجه الماضي لوحدها.

كانت ليلى في تلك اللحظة تنظر إلى ابنها وهو ينام بجانبها، وداخلها خليط من الخوف والسكينة.

لم تكن تعرف أن الماضي لم يُغلق بعد، وأن الخطر الذي ظنّت أنها تركته في المدينة كان يقترب منها بصمت.

كانت الشمس تُشرق بخجلٍ خلف التلال، تلون السماء بلونٍ ذهبيٍّ ناعم، كأنها تمنحني فرصة جديدة بعد كل ما خسرته.

في ذلك الصباح، خرجت من البيت الصغير الذي استأجرته بجانب المدرسة، أحمل بيدي يد سامي، وقلبي ممتلئ بشعور غريب مزيج من خوفٍ وطمأنينة.

كان الأطفال يركضون في ساحة المدرسة، يضحكون ويصرخون بأصوات بريئة.

وقفت أنظر إليهم، ثم إلى ابني الذي ابتسم أخيرًا بعد أيام من الصمت.

قال وهو ينظر إليّ:ماما، ممكن ألعب معاهم بعد المدرسة؟

ابتسمت له بحنان:طبعًا يا حبيبي، عايزة أشوفك مبسوط.

دخلت إلى الصف الصغير الذي أُعطيت مسؤوليته، وكان مليئًا بألوان باهتة وكتبٍ قديمة، لكن في عيون الطلاب

بريق شغفٍ صادق.
بدأت الحصة بابتسامة، وقلت بصوتٍ دافئ:النهارده هنتكلم عن الحلم عن الحاجات اللي نفسكم تحققوها لما تكبروا.
رفعت طفلة يدها الصغيرة وقالت:أنا نفسي أبقى دكتورة وأعالج ماما لما تمرض.
ضحكت، ودمعة صغيرة لمعت في عيني دون إرادتي.
ثم جاء صوت سامي من الخلف:وأنا نفسي أبقى زي ماما قوية ومابتخافش من حاجة.
صمت الصف كله، نظرت إليه بامتنانٍ لا يوصف، ثم قلت له بخفوتٍ محمّل بالعاطفة:الشجاعة يا سامي مش إننا مانخافش الشجاعة إننا نكمّل رغم خوفنا.
بعد انتهاء الدروس، بقيت وحدي في الفصل أرتب الكتب. الهواء المسائي كان لطيفًا، وأصوات الأطفال في الخارج تبعث حياةً جديدة في صدري.
تقدّمت مديرة المدرسة، امرأة خمسينية طيبة الملامح، وقالت بابتسامة:الطلاب حبّوك من أول يوم يا ليلى واضح إنك من الناس اللي بتعلّم بالقلب مش بالكلام.
ابتسمت بخجل:يمكن علشان حسّيت إن المكان دا فيه راحة مش لاقياها من سنين.

قالت المديرة بحنان:كل حد بيهرب من حاجة بس اللي يلاقي راحته بين الناس الطيبين، ربنا بيعوّضه خير.
كلماتها سكنت في قلبي كنسمة دافئة.
في المساء، كانت ليلى تجلس على السرير الخشبي البسيط بجوار ابنها.
كان سامي يحاول أن يكتب واجبه المدرسي، بينما صوت المطر بالخارج يدق النوافذ برقة.
قال فجأة:ماما، لو الدنيا كلها ضدنا هتفضلي تحبيني؟
وضعت يدها على شعره وقالت بابتسامةٍ هادئة:يا روحي، الحب مش بيتغيّر حتى لو الدنيا كلها اختفت، أنا وإنت هافضل أحبك.
غفا الصغير بين أحضانها، وهي تنظر إلى وجهه البريء، تشعر أن وجوده هو المعجزة الوحيدة التي تستحق كل شيء.
أغمضت عينيها، وقالت بصوتٍ هامسٍ كأنها تخاطب نفسها:يمكن الحياة مش دايمًا قاسية يمكن لسه فيها فرصة نعيشها بسلام.
ثم نظرت من النافذة، حيث المطر يغسل الطرقات،وقالت بابتسامةٍ خافتة:الوجع ما عادش له مكان هنا هنا في بداية جديدة.
لكن في مكانٍ آخر من المدينة كان إياد يجلس أمام

مكتبه، يتصفح ملفًا كتب عليه:حادثة المقبرة تفاصيل جديدة وبين السطور، ظهر اسم لم تتوقعه ليلى يومًا أن يعود إليها مجددًا

كانت المدينة ما تزال كما تركتها ليلى مزدحمة، باردة، تختبئ فيها الحكايات خلف ضوضاء السيارات والوجوه المجهدة.

لكن في شقةٍ صغيرة بوسطها، كانت ديلا تمسك بفنجان قهوة وتراقب كريم الذي يجلس على الأريكة، يتصفح أوراق العمل بصمتٍ متوتر.

قالت بصوتٍ ناعمٍ متعمّد:كريم أنت بقيت صامت قوي الأيام دي.

من ساعة ما خرجت ليلى من المستشفى وإنت مش زي الأول.

رفع رأسه نحوها ببطء، نظر في عينيها نظرة حادة جعلتها تتراجع قليلًا.

مش كل مرة لازم نتكلم عن ليلى يا ديلا.

ضحكت بخفةٍ مصطنعة:بس إنت اللي دايمًا بتفكر فيها، حتى لما بتسكت.

أنا حاسة إنك لسه بتحبها.

صمت لحظة، ثم نهض وهو يلتقط مفاتيحه من الطاولة.

فيه فرق كبير بين الحب والندم.

قالت بخبثٍ واضح:وإيه الفرق في رأيك؟
نظر إليها نظرة باردة وقال:الحب بيخليك تتمسك باللي بتحبه الندم بيخليك تبعد عنه علشان متأذهوش أكتر.
ثم خرج تاركًا وراءه صدى خطواته وصمتًا مشبعًا بالغيرة في عينيها.
في المساء، جلست ديلا أمام المرآة تحدق في انعكاسها.
همست لنفسها بحدة:هي ليه دايمًا أحسن مني؟ ليه الكل يحبها؟ حتى وهو بعيد، لسه شايفها بطلة!
أمسكت هاتفها واتصلت بشخص مجهول:الو؟ محتاجة أعرف هي فين.
أيوه، ليلى سمعت إنها سكنت في قرية قريبة من النهر. هاتلي عنوانها، بسرعة.
صوت الرجل على الطرف الآخر قال ببرود:بس المرة اللي فاتت الأمور خرجت عن السيطرة، والرصاصة جت في غير مكانها.
قالت بجمود:المهم إنها تعبت ودا كفاية مؤقتًا. دلوقتي أنا اللي هخلّيها ترجع برجليها.
في اليوم نفسه، كان كريم في مكتبه يحاول التركيز في أوراق الشركة، لكن عقله شارد.
تذكر يوم المستشفى، نظرتها الأخيرة، كلماتها الباردة حين رفضت أن يوصّلها.

منذ تلك اللحظة وهو يشعر أن شيئًا انكسر بداخله لا يمكن إصلاحه.

أغلق الملف أمامه وتنهد.

همس لنفسه:يمكن كنت ظالمها يمكن كنت بخاف أواجه نفسي.

رن هاتفه، كان الرقم غير مسجّل.

رفع السماعة فسمع صوتًا مألوفًا:كريم محتاج أشوفك ضروري.

فيه حاجة تخص ليلى لازم تعرفها.

صوت إياد في الخلفية الخافت:متأخرش عليه كل دقيقة مهمة.

انقبض قلبه، وقال بسرعة:فين؟

جاءه الرد من إياد نفسه هذه المرة:في مقر الأمن .

الموضوع أكبر من مجرد غيرة أخت في حاجة بتحصل، ولازم نواجهها سوا.

في الوقت نفسه، كانت ليلى تجلس في شرفة بيتها بالقرية، تمسك كوب الشاي وتنظر إلى ضوء القمر الذي ينعكس على وجه ابنها النائم.

شعرت فجأة بقلقٍ غامض، وكأن روحًا ما تراقبها من بعيد.

قالت بصوتٍ خافتٍ يشبه الدعاء:يا رب احفظنا من اللي

بيكرهونا، ومن اللي بيحبونا غلط.

وفي مكانٍ آخر من المدينة، كانت ديلا تبتسم وهي تتلقى رسالة قصيرة على هاتفها من رقمٍ مجهول:العنوان تأكد التنفيذ قريب.

رفعت عينيها نحو المرآة، وقالت بابتسامةٍ باردة:مرحبًا يا أختي افتقدتِني؟

كانت السماء غائمة حين توقفت سيارة أنيقة أمام بوابة المدرسة الريفية الصغيرة.

خرجت منها ديلا بثيابٍ أنيقة لا تشبه المكان أبدًا، تحمل في يدها حقيبة صغيرة وابتسامة وديعة مزيفة.

حين رآها الأطفال، همس بعضهم لبعض بدهشة، أما ليلى، فبمجرد أن التقت عيناها بعيني أختها، شعرت بأن الهواء ثقل فجأة.

اقتربت ديلا بخطواتٍ محسوبة، وقالت بنبرةٍ ناعمة:جيت أشوفك يا ليلى اشتقتلك.

نظرت إليها ليلى بصمت، ثم تمتمت بفتور:غريبة الاشتياق جه دلوقتي؟

ضحكت ديلا بخفةٍ متعمدة، وضعت الحقيبة على الطاولة وقالت:أنا غلطت، عارفة .بس الدم عمره ما يبقى ميّه . خلينا ننسى اللي فات.

ظلت ليلى تحدق بها بعمق، لا تصدّق أن الندم في

عينيها حقيقي.
ومع ذلك، قالت بصوتٍ هادئٍ متعب:خلاص يا ديلا ننسى.
لكن بداخلها، شيء ما كان يهمس:اللي يخون مرة، يقدر يخون ألف مرة.
في الجانب الآخر من المدينة، كان إياد يجلس داخل سيارته السوداء أمام مبنى سكني راقٍ، يتابع شاشة صغيرة تُظهر حركة هاتف ديلا عبر نظام تتبع سرّي.
قال عبر السماعة لزميله في القسم:هي حالياً في القرية اللي انتقلِت ليها ليلى.
كل مكالماتها خلال الأسبوع الأخير غريبة ...في رقم بيتصل بيها يوميًا من رقم مجهول، والموقع بيطلع قريب من حدود المدينة القديمة.
سأله زميله:تفتكر في علاقة بين الرقم دا وحادث المقبرة؟
رد إياد وهو يشعل سيجارة:الاحتمال كبير .خاصة إن كريم كان متواصل مع نفس الرقم قبل الحادث بيومين.
أخرج ملفًا من المقعد المجاور، تصفّحه سريعًا ثم همس:ديلا مش بس أختها دي مفتاح كل حاجة واللي بيحرّكها مش بسيط.
في القرية، كانت ليلى تحاول تصدّق نوايا أختها.

قضت ديلا اليوم معها ومع سامي، تلعب معه وتضحك، وكأنها لم تكن جزءًا من ماضيها المؤلم.

لكن كل مرة تبتسم فيها ديلا، كانت عيناها تراقب شيئًا دفترًا على الرف، أو مفتاحًا معلّقًا، أو هاتف ليلى الذي تركته على الطاولة.

في المساء، وبينما كانت ليلى تُحضّر العشاء، سمعت صوت همهمة من الغرفة المجاورة.

اقتربت بخطواتٍ صامتة، فسمعت ديلا تهمس في الهاتف:أيوه كل حاجة ماشية حسب الخطة.

هي هنا لوحدها، بس في واحد بيراقبني أظن إنه من المباحث.

تجمدت ليلى خلف الباب، عيناها اتسعتا خوفًا.

لكنها تراجعت بسرعة قبل أن تلتفت ديلا نحو الباب.

في تلك اللحظة، كان إياد يتلقى إشارة جديدة على الشاشة اتصال ديلا الأخير، مسجّل وموقعه في بيت ليلى بالضبط.

فتح اللاسلكي وقال بحدة:تأكيد موقع الهدف لازم أتحرك فورًا.

انطلق بسيارته نحو القرية، بينما قلبه يخفق بعنف:لو لمحتها بتأذيها المرة دي مش هسامح نفسي أبداً.

وفي المنزل، أغلقت ديلا الهاتف ببطء، ثم ابتسمت وهي

تخرج من الحقيبة مظروفًا صغيرًا مغلقًا بالشمع الأحمر.
وضعت المظروف داخل درج غرفة ليلى، وهمست:لما تفتحيه هتتغير حياتك كلها.
ثم خرجت إلى الشرفة، تنظر إلى الغروب وكأنها تخفي سرًا أعمق مما يبدو، وقالت لنفسها:اللعبة ابتدت.
وفي الطريق إلى القرية، كان إياد يضغط على دواسة الوقود، وملامحه مشتعلة بالعزم:مش هخليهم يقربوا منها تاني لا سالم الراوي، ولا حتى أختها.
كانت الليلة ساكنة إلا من صوت الريح وهي تضرب نافذة الغرفة الصغيرة.
ليلى لم تستطع النوم.
منذ غادرت ديلا بعد زيارتها، وهي تشعر أن شيئًا غريبًا تركته وراءها شيئًا غير مريح.
قامت من السرير بهدوء، حاولت أن لا توقظ سامي، وبدأت ترتّب الغرفة.
وحين فتحت الدرج لتضع كتابها، رأت مظروفًا أحمر صغيرًا لم تره من قبل.
ترددت لحظة، قلبها يخفق بعنف، ثم مدّت يدها لتلتقطه.
كان مختومًا بشمع قديم يحمل نقشًا غريبًا حرف)س(متداخل مع)ر(.
فتحت المظروف ببطء، فوجدت بداخله صورة قديمة

تجمع والدها مع رجلٍ مجهول الملامح، يقف خلفه بيده ملف أسود.

وخلف الصورة، كان مكتوب بخطٍ واضح:سالم الراوي لم يمت الحقيقة تبدأ من هنا."

شهقت ليلى، كأن أحدهم طعنها في صدرها.

تذكرت الاسم الذي سمعته من إياد في المستشفى، الاسم الذي ظنّت أنه مجرد صدفة.

همست بخوفٍ مكتوم:يا رب هو إيه اللي بيحصل؟

في تلك اللحظة، سُمع طرقٌ عنيف على الباب.

اقتربت بخطواتٍ حذرة، فتحت الباب، فوجدت إياد يقف هناك، وجهه مبلل بالمطر ونظراته حادة.

قال بسرعة:كنت متأكد إني هلاقيها عندك ديلا سابتلك حاجة صح؟"

اتسعت عيناها بدهشة:إنت إزاي عرفت؟

دفع الباب برفق ودخل، نظر حوله، ثم قال وهو يلتقط المظروف من يدها:

المظروف الأحمر نفس الشعار اللي لقيناه على الملفات القديمة في قضية المقبرة.

جلست ليلى على الكرسي، تحاول استيعاب ما يحدث، بينما إياد بدأ يقرأ محتوى المظروف بتركيز.

وجد بضع أوراق أخرى بخط يد والدها، يقول فيها:إن

مت قبل أن أقول الحقيقة، فاعلموا أن من وثقت بهم باعوني.
سالم الراوي لم يكن مجرد شريك، كان الرأس الأكبر في تجارة الأسرار.
وابنتي إحداهن مراقبة منذ ولادتها.
رفعت ليلى نظرها نحوه والدموع في عينيها:إياد، يعني إيه الكلام ده؟
أجابها بصوتٍ منخفض مليء بالقلق:يعني إن أبوكِ كان داخل شبكة كبيرة وإن أختك ديلا مش مجرد أخت غيورة، دي أداة في لعبة أكبر مننا.
في تلك الأثناء، كانت ديلا جالسة في سيارتها على الطريق خارج القرية، تمسك بهاتفها وترسل رسالة قصيرة لشخص مجهول:المظروف وصل هيتصرفوا دلوقتي.
جاءها الرد بعد لحظات:كويس خليه يكتشف بنفسه .الهدف الحقيقي مش ليلى.
تجهم وجهها، كتبت بسرعة:يعني إيه؟ مش هي اللي كنتوا عايزينها؟
لكن الرد لم يصل أبدًا.
نظرت من النافذة نحو ظلام القرية، وهمست بتوتر:فيه حاجة غلط أنا كمان بقيت تحت المراقبة.

عاد إياد يحدّق في الأوراق، ثم قال بحذر:المظروف دا مش للتهديد بس دا تحذير.
سالم الراوي رجع، وديلا يمكن مش عارفة إنها مجرد خيط صغير في مخطط كبير.
اقتربت ليلى منه بخوف:إياد، أنا مش عايزة أعيش كده تاني .أنا وسامي تعبنا.
وضع يده على كتفها برفق وقال:مش هسيبك، ولا هسيب حد يؤذيك بس محتاج منك وعد متتعامِليش معاها لوحدك تاني.
هزّت رأسها بالموافقة، لكن في قلبها كانت تعرف أن الأمر لن يتوقف هنا.
فكل شيء في الصورة القديمة، في عيني الرجل الغامض خلف والدها، كان يقول إن الماضي لم يُدفن بعد.
وفي تلك اللحظة، كان كريم يجلس في سيارته أمام بيته، شاردًا.
صورة ليلى وهي تبتعد عنه لا تفارقه، وشيء داخله يزداد ثقلاً كلما تذكر ديلا.
فتح هاتفه ليتصل بها، لكن قبل أن يفعل، ظهرت رسالة مجهولة على الشاشة:ابعد عن ديلا اللي حواليها مش بشر.

تجمد مكانه، أنفاسه احتبست.
قرأ الرسالة مرة ثانية وثالثة، ثم تمتم بصوتٍ مرتجف:مين اللي بيبعت الكلام ده؟ وليه دلوقتي؟
رفع عينيه إلى المراية الأمامية، فرأى انعكاس رجلٍ يقف في الظل خلف سيارته يراقبه بصمت.
كانت السماء تمطر بهدوء، والهواء البارد يعبث بستائر النافذة في شقة ليلى الصغيرة.
كانت تجهز حقيبة صغيرة لسامي، استعدادًا ليومه الأول في المدرسة الجديدة.
ابتسمت وهي تطوي سترته الصغيرة وتضعها في الحقيبة:
" أول يوم ليك يا بطل تروح لوحدك هتبدأ حياة جديدة بعيد عن كل التعب.
لكن سامي كان صامتًا على غير عادته، يجلس على السرير وعينيه شاردتان نحو الباب.
اقتربت منه ليلى وجلست بجانبه:مالك يا سامي؟ تعبان؟
هز رأسه وقال بصوت خافت:كنت شفت بابا في الحلم وكان بيزعق وبيقول لي ما تروّحش.
ابتسمت بمرارة، وضمت وجهه بين يديها:ده مجرد حلم، ما تخافش يا قلبي.
قبّلته على جبينه، ثم خرجت معه متجهة إلى المدرسة.

في الطريق، كانت ليلى تشعر أن سيارة سوداء تسير خلفها منذ خرجت من البيت.
نظرت عبر المرآة أكثر من مرة، لكن السيارة اختفت عندما وصلت إلى بوابة المدرسة.
تنفست الصعداء، أنزلت سامي، وانحنت أمامه:ادخل الفصل وأنا هستناك عند البوابة تمام؟
ابتسم بخجل وركض إلى الداخل.
مرت ساعتان جلست ليلى في المقهى المقابل للمدرسة تراجع بعض أوراقها، وفجأة رن هاتفها.
كان رقمًا غريبًا.
أجابت وهي تظن أنه أحد زملائها في العمل، لكن صوتًا خشنًا وباردًا قال:ابنك معنا.
تجمدت.
!إيه؟ مين؟ !سامي فين؟
اسمعي كويس يا ليلى، أي حركة منك أو من إياد الطفل مش هيرجع.
ثم انقطع الخط.
صرخت وهي تنهض، جذبت انتباه كل من حولها، وأمسكت الهاتف بيد مرتجفة، تحاول إعادة الاتصال، لكن الرقم اختفى من السجل.
بعد دقائق، كان إياد يدخل المقهى مسرعًا، وجهه شاحب.

ليلى !إيه اللي حصل؟
انهارت بين ذراعيه وهي تلهث:خدوه يا إياد سامي
اتخطف!
أمسك كتفيها بقوة:مين؟ مين اللي كلمك؟
أخرجت الهاتف بصعوبة، وأشارت إلى الرقم، لكن إياد
لاحظ أنه غير موجود في السجلات.
اختفوا الرقم دي طريقة احترافية جدًا.
جلس أمامها يحاول تهدئتها، بينما في رأسه كان يربط
الأحداث :المظروف الأحمر ديلا سالم الراوي ثم قال
بصوتٍ منخفض:اللي حصل دا مش صدفة .الطفل اتخطف
علشان يوصلوا بيك لحاجة.
رفعت عينيها إليه بدموعٍ متجمدة:بس عايزين إيه مني؟ أنا
ست عادية!
أجابها وهو يضع يده على كتفها:لأ إنتِ بنت الراوي، وده
كفاية يخليهم يطاردوك طول حياتك.
في تلك الأثناء، كانت ديلا تقف في مكانٍ مظلم داخل
مستودع مهجور، تتحدث بعصبية في الهاتف:أنا قلت ما
حدش يقرب من الولد !إنتوا مجانين؟
جاءها صوت رجل هادئ من الطرف الآخر:الأوامر جاية
من فوق الطفل هو المفتاح، مش الأم.
صرخت:لو حصل له حاجة، كل اللي بتخططوا له هيقع!

لكن الرد الوحيد الذي جاءها كان:انسي مشاعرك يا ديلا
اللعبة بدأت فعلاً.
عاد إياد إلى المكتب يحاول تتبع أي أثر إلكتروني
للاتصال، فاكتشف أن المكالمة خرجت من شبكة خارجية
وهمية، مصدرها آخر مكان زاروه سويًا المقبرة القديمة.
تجمد للحظة، ثم قال لنفسه:الموضوع أعمق من مجرد
تهديد هما بيرجعوا كل حاجة من البداية.
اتصل بليلى:اسمعيني كويس، ما تروحيش أي مكان، أنا
جاي حالًا.
لكن قبل أن يغلق المكالمة، سمع صوتًا خلفها عبر الخط
صوت فتح نافذة وصوت طفل صغير يبكي سامي؟!
صرخت ليلى:إياد !الصوت ده من الشقة!
ركض إياد بكل قوته نحو بيتها، بينما المطر بدأ يهطل
بغزارة، والبرق أضاء السماء كأنه يعلن أن شيئًا مرعبًا
على وشك الحدوث.
كانت كاميرا مراقبة صغيرة مخبأة في زاوية الغرفة تُظهر
وجه رجل ملثم ينحني بجانب سامي النائم ويهمس
له:دلوقتي هنشوف إذا كانت أمك فعلاً بنت الراوي ولا
مجرد ضحية.
كان الليل أطول من أي ليلة مرت على ليلى.

البيت أصبح صامتًا على غير عادته، حتى صدى المطر الذي كان يملأ الغرفة أمس، بدا وكأنه خفت احترامًا لحزنها.

جلست على الأرض بجانب السرير الفارغ، تمسك لعبة سامي الصغيرة، تلك الدمية التي كان لا ينام دونها.

كانت أصابعها ترتجف وهي تمرّرها على وجه اللعبة البلاستيكي، كأنها تبحث عن دفء ابنها المفقود.

الدموع لم تتوقف منذ الأمس، لكن وجعها لم يكن فقط من الخطف، بل من الإحساس القاتل بالعجز عجز الأم التي لم تستطع أن تحمي ابنها، ولا حتى نفسها.

همست بصوتٍ مبحوح:يا رب رجّعه لي حتى لو آخر حاجة أشوفها منه، بس يكون بخير.

ثم أغمضت عينيها للحظة، لتجد نفسها وسط ظلال ذكريات قديمة كانت طفلة تجلس في حضن أبيها الراحل، يسمّيها نور البيت، ويعدها أنه هيحميها طول عمره.

لكن الصورة سرعان ما تشوّهت، إذ ظهر وجه رجل آخر في الخلفية وجه لم تستطع تحديد ملامحه، يضع يده على كتف أبيها ويقول بصوتٍ عميق:اللي تبدأه لازم تكمله، حتى لو بنتك دفعت الثمن.

صرخت ليلى في الحلم، واستيقظت فزعة، عرقها يغمر

جبينها.
نظرت حولها، والغرفة مظلمة إلا من ضوء خافت يتسلل من النافذة.
سمعت صوت طرق خفيف على الباب.
قامت وهي تمسح دموعها، فتحت لتجد إياد واقفًا، وجهه مرهق لكنه مليء بالعزم.
قال بهدوء:كنت خايف تفضلي لوحدك، جبتلك شوية أكل.
لم تجبه، فقط جلست على الكرسي المقابل وأخفضت رأسها.
جلس أمامها بصمت لحظات، ثم قال:عرفت حاجة عن سامي مش كتير، بس في خيط.
رفعت رأسها بسرعة:فينه؟ هو بخير؟
هز رأسه ببطء:لسه مش متأكدين، بس اللي اتصل بيكي استخدم شبكة مشفرة من منطقة مهجورة قريبة من بيت أبوك القديم.
تجمدت ملامحها، ثم قالت بصوتٍ خافت:بيت بابا؟ محدش قرب منه من سنين هو نفسه اللي حذرني أروح هناك قبل ما يموت.
اقترب إياد منها:ليلى، محتاجك تكوني قوية اللي حصل مش مجرد خطف .في حاجة قديمة اتفتحت تاني،

وأنتِ في نصها.
رفعت رأسها نحوه، عيناها حمراوان من البكاء:أنا مش قادرة يا إياد كل ما أفتكر ضحكة سامي، بحس إن قلبي بيتكسر.
اقترب منها أكثر ووضع يده على يدها، صوته كان دافئًا ومطمئنًا:سامي هيكون بخير، بس لو انهارتِ دلوقتي مش هنعرف نرجّعه.
وصدقيني، أنا مش هسيب حد يلمسه.
ساد الصمت بينهما للحظات.
ثم قامت ليلى، فتحت النافذة، ونظرت إلى السماء الملبدة بالغيوم.
قالت بصوتٍ مرتجف:كل مرة كنت بخاف من الماضي، كنت بهرب منه بس المرة دي، هو اللي رجع يطاردني.
مدّت يدها إلى جيبها وأخرجت المظروف الأحمر من جديد، فتحته ببطء وقالت:يمكن الإجابة هنا يمكن بابا سابلي طريق أرجع بيه لابني.
نظر إياد إليها بإعجاب ممزوج بالقلق:دي بداية شجاعة يا ليلى، بس الطريق دا مش آمن.
أجابت بحزم:ولا حياتي من غير سامي.
وفي لقطة بعيدة، كانت ديلا تراقب من سيارة متوقفة عند زاوية الشارع، تنظر إلى نافذة ليلى من خلال

العدسة المكبرة، وفي يدها هاتف يظهر على شاشته موقع تتبع حي.

تمتمت لنفسها بصوتٍ متوتر:سامحيني يا ليلى كل اللي بعمله علشان ما تعرفيش الحقيقة اللي ممكن تدمرك.

لكن من المقعد الخلفي لسيارتها، خرج صوت رجل هادئ يقول:فات الأوان يا ديلا الحقيقة خلاص قربت تتكشف.

كانت السماء رمادية، والضباب يلف الطريق الجبلي المؤدي إلى بيت والدها القديم في أطراف البلدة.

جلست ليلى بجوار إياد داخل السيارة، صامتة، بينما المطر الخفيف يتساقط على الزجاج الأمامي في إيقاعٍ حزين.

قال إياد وهو ينظر في المرآة:متأكدة إنك عايزة ترجعي هناك؟

أجابت دون أن تلتفت:أنا مش راجعة عشان أفتّش الماضي راجعة عشان أرجّع ابني.

البيت كان غارقًا في الغبار، الجدران تشققت، والهواء يحمل رائحة الرطوبة والذكريات.

دخلت ليلى بخطواتٍ مترددة، تنظر حولها وكأنها تبحث عن ظل أبيها في الأركان.

كل زاوية فيها ذكرى صورة قديمة، كتاب ممزق، أو كرسي خشبي كانت تجلس عليه طفلة.

قال إياد وهو يسلط كشافه على الجدار:اللي اتصل بيكي جاي من المنطقة دي فعلاً في إشارة ضعيفة خرجت من بيتك القديم قبل يومين.

اقتربت ليلى من الجدار المقابل، وأشارت إلى لوحة كبيرة مائلة على الحائط.

اللوحة دي كان بابا بيخبي وراها دايمًا أوراقه الخاصة.

رفعتها ببطء، فاكتشفت خلفها خزنة حديدية صغيرة.

حاولت فتحها لكنها مغلقة.

مدّ إياد يده وبدأ يفحصها، وبعد لحظات نجح في كسر القفل.

داخل الخزنة، وجدا ملفًا قديمًا مغلفًا بطبقة من الجلد الأسود، ومكتوب عليه بخط يد واضح:لمن يهمه الأمر احموا ابنتي بأي ثمن.

فتحت ليلى الملف، وعيناها تتسعان مع كل صفحة.

صور، عقود، شهادات ميلاد، كل شيء يشير إلى اسم واحد لم تسمع به من قبل:

صالح اليوسف.

قالت بدهشة:مين صالح اليوسف؟ وليه اسمي مكتوب تحته بنت؟

تجمّد إياد مكانه، وجهه شحب فجأة.

تردّد لحظة قبل ما يقول بصوتٍ هادئ لكنه

مضطرب:ليلى في حاجة لازم تعرفيها.
رفعت عينيها نحوه، الخوف يسبق السؤال.
قال ببطء:أبوكي اللي كنتِ تعرفيه مش والدك الحقيقي.
والدك الحقيقي هو رجل أعمال كبير اسمه صالح اليوسف.
سقطت الأوراق من يدها، وكأن الأرض اهتزت تحتها.
بتقول إيه؟ !ده مستحيل!
اقترب منها بحذر:كنت عارف الحقيقة دي من فترة، لكن ما كانش وقته أقولك .صالح اليوسف كان من كبار المستثمرين في مشاريع سرية للدولة، وكان عنده أعداء كتير.
ولما حصلت محاولة اغتياله من سنين، خبّوا بنته الوحيدة عند عائلة تانية عائلة الراوي.
شهقت ليلى، يدها على فمها، والدموع بدأت تنهمر:يعني بابا اللي ربيّاني ما كانش؟
أكمل إياد بصوتٍ منخفض:كان راجل نبيل هو وافق يربّيك باسم ليلى الراوي علشان يحميك من اللي حاولوا يقتلوا صالح.
انهارت جالسة على الأرض، صوتها يخرج مكسورًا:أنا كنت عايشة كذبة طول حياتي حتى اسمي مش ليّ.
اقترب إياد منها وجثا بجانبها:اسمعيني، كل ده اتعمل

علشان سلامتك .واللي خطفوا سامي عارفين الحقيقة دي، وبيستعملوه علشان يضغطوا عليك.

رفعت وجهها ببطء وقالت:يعني كل دا علشان دم صالح اليوسف؟ علشان المال؟

هز رأسه:مش بس المال صالح كان بيخبي وثائق خطيرة ممكن تغيّر مصير ناس كبار جدًا، والوثائق دي اختفت بعد الحادث اللي حصل له.

في تلك اللحظة، سُمع صوت خفيف يأتي من الطابق العلوي، كأن أحدهم يتحرك فوقهم.

أمسك إياد مسدسه ورفع يده مشيرًا لليلى أن تصمت.

صعد الدرج بهدوء، حتى وصل إلى باب غرفة مغلقة.

دفع الباب ببطء، فوجد على الطاولة صورة حديثة لسامي، عليها تاريخ من يومين فقط، وتحتها مكتوب بخط غريب البنت لازم تعرف قبل الفجر، وإلا الصغير مش هيفيق.

صرخ إياد:ليلى !لازم نخرج فورًا!

ركضت نحوه، نظرت للصورة وارتجفت:دي صورته النهارده يعني هما بيراقبونا!

لكن قبل أن يتحركا، انطفأت الأنوار فجأة، ودوّى صوت غريب في المكان كأن بابًا حديديًا يُغلق خلفهم.

التفت إياد بسرعة نحو الباب، فشاهده يُغلق تلقائيًا،

والنافذة الوحيدة تُسدل عليها ستائر معدنية.
ثم سُمع صوت رجل عبر مكبر صوت خافت:رجعتي يا ليلى بنت صالح اليوسف أخيرًا فاقت.
تجمدت ملامحها، وصوتها خرج همسًا مرتجفًا:إياد ده صوت مين؟!
لكنه لم يجب كان يحدّق في الظلام، حيث بدأ ضوء أحمر صغير يومض من زاوية الغرفة عدّ تنازلي.
لم يكن أمامهما سوى ثوانٍ معدودة.
العدّ التنازلي على الجدار يهبط بسرعة، والهواء في الغرفة أصبح أثقل من أن يُتنفّس.
أمسك إياد بيد ليلى بقوة وهو يصرخ:للخلف !في مخرج تحت الدرج!
ركضا معًا وسط الظلام، بينما الصوت الميكانيكي يعلن:ثلاثة اثنان واحد.
اندلع الانفجار، واهتزت الأرض بعنف، وتناثرت ألسنة النار في أرجاء البيت.
غطّى إياد جسد ليلى بذراعيه، وألقى بها أرضًا خلف جدار خشبي سقط نصفه.
صرخت وهي تشعر بحرارة اللهب تقترب منهما:إياد ! النار !نخرج إزاي؟!
رد بصوتٍ مبحوح:فيه باب جانبي بيوصل للقبو يمكن

نقدر نهرب منه!
زحفا بصعوبة وسط الدخان، حتى وجدا بابًا صغيرًا نصف محترق، دفعه إياد بقوة، وسحبهما معًا إلى الخارج، يتنفسان بصعوبة.
خرجوا إلى فناء البيت، والهواء البارد لامس وجهيهما كأنه حياة جديدة.
وقفت ليلى تتنفس بلهاث، نظرت إلى البيت وهو يحترق أمامها،
وقالت بصوتٍ مكسور:ده المكان اللي اتربيت فيه والمكان اللي بيحاول يقتلني دلوقتي.
اقترب إياد منها، شعره مبلل بالعرق والرماد، وصوته مبحوح لكنه ثابت:المكان خلاص انتهى، بس إحنا لسه عايشين.
وده معناه إن في حد كان عايزك تموتي قبل ما تعرفي الحقيقة كاملة.
نظرت له بعيون دامعة، ثم جلست على الأرض تبكي بصمت،وقالت:كل حاجة بتقع حواليّ حتى ذكرياتي مش متأكدة منها.
جلس بجانبها، اقترب برفق وقال:ليلى، إنتي أقوى مما تتخيلي.
أعرف إنك فقدت كتير بس اللي جاي محتاجك واقفة،

مش مكسورة.
رفعت رأسها نحوه ببطء، عيناها مليئتان بالخوف والتعب، لكن خلفهما بريق صغير من الإصرار.
كلهم بيكدبوا عليّ يا إياد حتى اللي ربّاني، حتى أختي. وأنا مش عارفة أصدق مين.
أمسك بيدها وقال بهدوء:صدقيني أنا، مش علشان أنا ملاك، لكن علشان أنا الوحيد اللي مش مستفيد غير إنك تكوني بخير.
في تلك اللحظة، ساد صمت غريب، كأن الزمن توقف حولهما.
نظراتهما التقت، والدموع التي سالت على خدها امتزجت ببقايا الرماد على وجهه.
قالت بصوتٍ خافت:أنا مش عايزة أضعف بس كل مرة بحاول أقوى، بيحصللي حاجة بتكسرني أكتر.
همس لها:اللي بيكسرنا مش دايمًا بيموتنا يا ليلى أحيانًا بيخلق فينا نسخة جديدة.
في الصباح، كان إياد يقف على التلّ المقابل للبيت المحترق، يتحدث عبر الهاتف إلى جهة مجهولة:تم تفجير البيت، لكن الملف اللي كنا بندوّر عليه مش موجود. واضح إن حد أخده قبلنا.

صمت قليلًا ثم قال:لا، ليلى لسه ما تعرفش إنها مراقبة.
بس أنا مش ناوي أسلّمها لأي جهة دلوقتي.
أنهى المكالمة، وأدار وجهه ليراها قادمة نحوه، تمسك بوشاح رمادي على كتفيها، عينيها تلمعان بشيء لم يره من قبل خليط من الخوف والإصرار.
قالت وهي تقترب:إياد، كنت بحلم وأنا صغيرة بمكان كبير مليان مرايات كنت بشوف فيه راجل بيشبه صالح اليوسف، بيقولي دايمًا :ابقي بعيدة عن البحر.
دلوقتي فهمت ده مش حلم، دي كانت ذكرى.
نظر إليها بدهشة:يعني إيه البحر؟
ردت:يمكن المكان اللي بدأ منه كل شيء يمكن هناك هنلاقي سامي.
أمسك إياد بالمفتاح الصغير اللي وجده في جيب سترته أثناء هروبهم، مكتوب عليه نقش بحرف)ب (وورقة صغيرة كتب عليها:ميناء اليوسف رقم 17.
نظر لها وقال بابتسامة خافتة:يبدو إن البحر فعلاً بيستنّانا.
كان البرد أول ما شعر به سامي حين استيقظ.
رائحة صدأ، جدران معدنية، وصوت قطرات ماء تتساقط ببطء من السقف، كأنها تعدّ الوقت بدلًا عنه.
فتح عينيه بصعوبة، حاول أن ينهض، لكن يديه

مقيدتان بسلك بلاستيكي خشن.
تلفت حوله بخوف، المكان مظلم إلا من ضوء خافت يأتي من فتحة صغيرة في الباب الحديدي.
همس لنفسه بصوتٍ مرتجف:ماما؟ ماما انتي فين؟
لم يرد أحد.
الوحشة أكلت قلبه الصغير، فحاول أن يتذكر آخر لحظة قبل كل هذا كان يلعب بجانب المدرسة، ثم صوت فرامل، ثم صراخ، ثم ظلام.
وبعدها لا شيء سوى هذا المكان البارد.
سمع صوتًا خلف الباب خطوات ثقيلة تقترب، وصوت رجل غليظ يقول:ما تصرخش يا صغير، محدش هيسمعك هنا.
فتح الباب، ودخل رجل ضخم يرتدي معطفًا أسود، بوجكان البرد أول ما شعر به سامي حين استيقظ.
رائحة صدأ، جدران معدنية، وصوت قطرات ماء تتساقط ببطء من السقف، كأنها تعدّ الوقت بدلًا عنه.
فتح عينيه بصعوبة، حاول أن ينهض، لكن يديه مقيدتان بسلك بلاستيكي خشن.
تلفت حوله بخوف، المكان مظلم إلا من ضوء خافت يأتي من فتحة صغيرة في الباب الحديدي.
همس لنفسه بصوتٍ مرتجف:ماما؟ ماما انتي فين؟

.لم يرد أحد
الوحشة أكلت قلبه الصغير، فحاول أن يتذكر آخر لحظة قبل كل هذا:كان في السيارة مع جدته، ثم صوت فرامل، ثم صراخ، ثم ظلام.
.وبعدها لا شيء سوى هذا المكان البارد
سمع صوتًا خلف الباب خطوات ثقيلة تقترب، وصوت رجل غليظ يقول:ما تصرخش يا صغير، محدش هيسمعك هنا.
فتح الباب، ودخل رجل ضخم يرتدي معطفًا أسود، بوجه خالٍ من التعبير.
اقترب منه، وضع طبقًا فيه قطعة خبز وزجاجة ماء، وقال دون أن ينظر إليه:كل، هتحتاج طاقة.
رفع سامي عينيه بخوف، وصوتُه يرتجف:فين ماما؟ عايز ماما!
توقف الرجل للحظة، ثم قال ببرود:هتشوفها قريب لما الكبار يخلصوا شغلهم.
.وأغلق الباب بعنف، تاركًا سامي يرتجف من الخوف
جلس الصغير يحدق في الضوء المتسلل من الفتحة، الدموع تتلألأ في عينيه،
ثم بدأ يهمس كما تعود أن يفعل حين يخاف:ماما قالت لي لو ضعت، أقول الدعاء اللي علمتني هو.

رفع رأسه للسماء التي لا يراها وقال بصوتٍ خافت اللهم احفظني بعينك التي لا تنام.

صمته انكسر بصوت خطوات أخرى، هذه المرة مختلفة أخف، مترددة.

ثم صوت أنثوي خافت يقول من خلف الباب:سامي؟

تسارعت أنفاسه، اقترب من الباب وقال بلهفة:مين؟ ماما؟

فتح الباب ببطء، وظهرت فتاة شابة بملامح متوترة، شعرها البني مربوط للخلف، تحمل مصباحًا صغيرًا بيدها.

قالت بسرعة:اسمي نادين، أنا هنا أساعدك .بس لازم ما تتكلمش بصوت عالي.

حدق فيها بخوف ودهشة:انتي تعرفي ماما؟

هزت رأسها بتردد:مش بالضبط بس أعرف اللي خطفوك .

وأنا مش هسيبك هنا، بس لازم أستنى الوقت المناسب.

اقتربت منه، وأخرجت من جيبها قطعة حلوى صغيرة، وضعتها في يده.

ابتسم رغم دموعه وقال بصوتٍ صغير:دي زي اللي ماما بتجيبها لي.

ضحكت نادين بخفوت، وقالت:يبقى لما تخرج من هنا، قول لمامتك إن نادين ساعدتك، ماشي؟

قبل أن تردف بكلمة أخرى، سُمِع صوت رجل يقترب، فارتبكت، وأغلقت الباب بسرعة وهمست:اصبر شوية، أنا هارجعلك بالليل.

ابتعدت خطاها، وبقي سامي وحده من جديد، يحتضن قطعة الحلوى كأنها العالم كله.

في مكانٍ آخر من نفس الميناء،

كان رجل يجلس في مكتب قديم مضاء بمصباح واحد، يتفحص صورًا على الحاسوب.

كانت الصور لليلى وهي تغادر المستشفى، ومعها إياد.

ابتسم بخبث وقال بصوتٍ هادئ:لو عرف صالح اليوسف إن بنته رجعت للحياة هيكون عندنا ورقة ضغط لا تقدر بثمن.

ثم أدار الشاشة ليُظهر صورة الطفل سامي، وقال:والولد ده مفتاح اللعبة كلها.

كانت الرياح تعصف بالميناء، تحمل معها رائحة البحر الممزوجة بالصدأ والوقود.

تغطي السماء غيوم سوداء ثقيلة، والليل بدا كأنه يتآمر على كل شيء.

في أحد المخازن القديمة، جلست نادين خلف صناديق خشبية متهالكة، تحتضن سامي الذي يرتجف من البرد والخوف.

قالت له بصوتٍ خافت وهي تضع يدها على فمه:هشش ما تخافش يا حبيبي، محدش هيأذيك طول ما أنا هنا.
رفع سامي عينيه الممتلئتين بالدموع وسأل بصوتٍ مرتجف:هو اللي برّا هيضربنا؟
ابتسمت نادين رغم الرعب في عينيها:لأ يا صغير، دول مش لينا دول بيحاولوا يمنعوا الوحش من ياخدك.
في تلك اللحظة، دوّى صوت محركات سياراتٍ كثيرة تقترب، أضواء كاشفة تخترق الظلام، وصوت مكبّر من بعيد:قوات الأمن !المكان محاصر، استسلموا فورًا!
ارتبكت نادين، ضغطت على كتف سامي وقالت بخفوت:اسمعني كويس يا سامي، لما أقولك اجري، تجري على الضوء من غير ما تبص وراك، ماشي؟
هز رأسه بخوف، ودموعه تلمع تحت ضوء المصباح الصغير.
على الجهة الأخرى من الميناء، توقفت سيارة إياد فجأة بعد أن تلقى إشارة التتبع الأخيرة لهاتف نادين.
كانت ليلى بجانبه، متوترة، عيناها تبحثان عن أي أثر.
قالت بقلق:إياد، أنا حاسة إن سامي هنا قلبي مش مطمن.
أخرج إياد سلاحه وهو ينظر نحو المباني المظلمة:الإشارة جايه من المخزن رقم ٤ بس فيه حركة

مش طبيعية حوالين المكان، شكلها عملية كبيرة.
لم ينتظر أكثر، اندفع مع ليلى بين الحاويات المعدنية، حتى سمعا صوت إطلاق نارٍ مفاجئ يهز المكان.
اختبآ خلف سيارة مقلوبة، تبادلا نظرة خاطفة، فقال إياد بحدة:خليكي ورايا، ما تتحركيش إلا لما أقول.
لكن ليلى لم تستطع الانتظار حين سمعت صوت طفل يصرخ من بعيد صوت سامي لم تتمالك نفسها، واندفعت تركض نحو المخزن، تصرخ:سامي !سامي حبيبي!
صرخ إياد خلفها:ليلى !ارجعي!
لكن الرصاص بدأ يتطاير في كل اتجاه، وصوت البحر صار أعلى من العاصفة نفسها.
في الداخل، كانت نادين تمسك بسامي وتحاول الزحف خلف الصناديق، الرصاص يخترق الجدران المعدنية من حولهم.
صرخت فيه:اجري دلوقتي يا سامي !اجري!
ركض الطفل نحو الباب الخلفي كما طلبت، لكن عتمة الميناء ابتلعته.
نادين حاولت اللحاق به، لكن انفجارًا قريبًا أسقطها أرضًا، وجرح في كتفها بدأ ينزف.
وبينما كانت تحاول النهوض، رأت رجلاً يرتدي معطفًا

رماديًا يتجه نحوها بخطواتٍ بطيئة.
ابتسم بخبث وقال:مش قلتلك ما تتدخليش؟ الولد مش ليكي.
رفعت نادين سكينًا صغيرًا من الأرض، وصاحت وهي تتراجع:هيموت على جسدي!
لكن قبل أن يقترب منها، دوّى صوت طلقةٍ واحدةٍ حاسمة سقط الرجل أرضًا، وخلفه وقف إياد والسلاح ما زال في يده، ودخان الطلقة يخرج من فوهته.
اقترب منها بسرعة، أمسك بكتفها وقال بحدة:فين الولد؟
أشارت بيدٍ مرتجفة نحو الخارج:هرب راح ناحية الرصيف!
ركض إياد في الاتجاه الذي أشارت إليه، تتبعه ليلى التي بالكاد تلتقط أنفاسها.
صوت الرصاص ما زال مستمرًا، والبحر يضرب الصخور بعنف.
عند الرصيف، كان سامي يحاول الاختباء خلف قارب صغير مقلوب.
اقتربت منه ليلى بخطواتٍ مرتجفة، عيناها تجوب المكان بخوف، ثم صرخت بصوتٍ مبحوح:سامي!
التفت الطفل، وبمجرد أن رأى وجهها، ركض نحوها واحتضنها بقوة.

انهارت ليلى على ركبتيها، تمسك به كأنها لن تتركه أبدًا.
الحمد لله الحمد لله.
لكن فرحتها لم تدم طويلًا.
من خلفهم، جاء صوت خطواتٍ أخرى بطيئة، ثابتة ثم سمعوا صوتًا مألوفًا يقول:وأخيرًا اتقابلنا يا ليلى.
رفعت عينيها ببطء، ورأت رجلاً في الخمسين من عمره، بملامح صارمة وعينين تشبهان عينيها تمامًا.
قال إياد بصدمة وهو يوجه سلاحه نحوه:إنت مين؟
ابتسم الرجل بثقة:أنا صالح اليوسف والدها.
تجمد الزمن حولهم، وصوت البحر صار كأنه يختفي في الخلفية.
ليلى شهقت، وصوتها بالكاد خرج:أبي؟!
في صباح اليوم التالي، كانت رائحة القهوة تعبق في قصر اليوسف الهادئ.
لكن الصمت لم يكن سلامًا كان ثقيلًا، متوتّرًا، كأن شيئًا انكسر ولن يُصلَح أبدًا.
جلس سامر اليوسف خلف مكتبه الفخم، عينيه تحدقان في صورة والده على الجدار، ملامحه متجهمة، عقله يغلي بالأفكار.
كانت الأخبار في كل المواقع تتحدث عن حادث الميناء وظهور ابنة رجل الأعمال صالح اليوسف المجهولة.

ضغط على أسنانه وقال بحدة:غلطتك يا أبي، هتدمر اللي بنيناه كله.

دخلت عليه رنا، سكرتيرته الخاصة، تحمل ملفات الشركة.

لاحظت تجهمه وسألته بحذر:في حاجة نعملها بخصوص الأخبار المنتشرة؟

أجابها دون رفع نظره:سيبِ الصحافة تكتب اللي عايزة . بس أنا اللي هكتب النهاية.

جلس للحظة صامتًا، ثم أضاف بنبرةٍ أكثر برودًا:عايز أتعرف على كل تحركاتها هي وابنها، والرجل اللي معاها.

اسمه إياد، صح؟

أومأت رنا بتوتر:أيوه، ضابط شرطة.

ابتسم سامر بسخرية:جميل يبقى هنلعب اللعبة على مستواه.

في تلك الأثناء، كانت ليلى تحاول أن تبدأ من جديد.

استأجرت شقة صغيرة في أطراف المدينة، تحيط بها الأشجار وصوت العصافير، كأنها تهرب من ضوضاء العالم.

كانت تقف عند النافذة، تراقب سامي وهو يرسم بحرًا وسماءً زرقاء.

ابتسمت بخفة وقالت:لسه بتحب البحر رغم كل حاجة حصلت؟

رد الطفل بابتسامة بريئة:عشان فيه بابا الكبير.
تجمدت للحظة، ثم جلست بجانبه وسألته برقة:بابا الكبير؟ مين هو يا سامي؟
أجابها ببساطة:اللي شُفتِيه عند البحر، اللي شبهك.
انقبض قلبها لا تدري إن كانت تشعر بالحنين أو الخوف. في نفس اللحظة، كان سامر يقف في مكتب والده، يواجهه للمرة الأولى بعد الحادث.
قال بصوتٍ متوتر:مش كفاية إنك خبّيت عنها كل حاجة؟ دلوقتي عايزها تدخل حياتنا وتاخد نصيبها كمان؟
تنهد صالح، وقال بهدوءٍ متعب:اللي حصل خلاص، ومش كل حاجة تتقاس بالفلوس يا سامر.
رد سامر بعصبية:سهلة تقول كده لأنك مش اللي تعب، مش اللي شال الشركة من الصفر لما الكل سابك!
تيجي دلوقتي واحدة ما نعرفش عنها حاجة تاخد مكاننا؟
وقف صالح، نظر إليه نظرة طويلة وقال:هي مش واحدة غريبة دي دمّك.
ضحك سامر بمرارة، اقترب خطوة وقال بحدة:دمّي؟ يمكن بس مش من نفس الطريق اللي أنا جاي منه.
أنا تربيت على النظام، هي تربت على الشارع!

الفرق بينا مش في الاسم يا أبي، في العالم اللي عايشينه.
لم يرد صالح، فقط جلس على الكرسي، متعبًا، كأنه يحمل أثقال السنين.
أما سامر فتابع بنبرةٍ منخفضةٍ مليئة بالتصميم:بس ما تقلقش أنا مش هسيبها تدمّر اللي فضِل من العيلة.
في المساء، جلس سامر في سيارته أمام بناية صغيرة في أطراف المدينة، ينظر عبر الزجاج إلى الضوء المنبعث من شرفةٍ في الطابق الثالث.
هناك كانت ليلى تُطعم سامي العشاء، والضحك الخافت يملأ المكان.
مد يده إلى الهاتف، وأجرى اتصالًا.
قال بصوتٍ بارد:ابدأوا التنفيذ بس بهدوء.
ما عايزش دوشة، ولا أذيّة مباشرة.
عايزها تحس إن كل حاجة حواليها بتتقفل عليها، من غير ما تفهم ليه.
أنهى المكالمة، وظل ينظر إلى الشرفة، حيث الأم والابن يضحكان،
ثم همس لنفسه:هتندمي إنك رجعتي، يا ليلى.
وفي الصباح التالي، استيقظت ليلى على صوت جارتها تطرق الباب بعنف.

!ليلى !افتحي بسرعة
فتحت الباب بارتباك، لتجد المرأة تمسك جريدة بين يديها، وجهها شاحب.
ناولت الجريدة لليلى، والصفحة الأولى تحمل عنوانًا كبيرًا:ابنة صالح اليوسف المجهولة ماضيها الغامض وعلاقتها برجل شرطة!
تجمدت مكانها، قلبها خفق بعنف، بينما الكلمات تنغرز في صدرها كالسكاكين.
همست لنفسها بصوتٍ مرتعش:هو بدأ الحرب سامر.
كانت رائحة الملح لا تزال عالقة في شعرها، والبرد ينهش أطرافها وهي مستلقية على السرير الأبيض في المستشفى .
جرح صغير على ذراعها، وضمادة على كتفها، لكن الألم الحقيقي لم يكن في الجسد بل في قلبها.
فتحت نادين عينيها ببطء، لتجد إياد واقفًا بجانب النافذة، يراقبها بصمت لم تكن تعلم هل يشكّ بها أم يشفق عليها.
قال بهدوء:الحمد لله على سلامتك.
ابتسمت ابتسامة واهية:لو كانت السلامة تُشترى، لدفعت عمري ثمنها.
جلس على الكرسي المقابل، نظر إليها مطولًا قبل أن

يسأل بصوت خافت:ليه كنتِ هناك يا نادين؟ ليه خاطرْتِ بحياتك علشان سامي؟
أطرقت رأسها، ويديها ترتجفان وهي تعبث بخيط الغطاء:لأن سامي مش مجرد طفل بالنسبة لي.
رفع حاجبه باستغراب:يعني إيه؟
زفرت تنهيدة ثقيلة كأنها تفرغ سراً دفينًا منذ سنوات:قبل ما أتعرف على ليلى، كنت أشتغل في حضانة صغيرة .سامي كان يجي مع والده كريم أحيانًا وكنت أشوف في عينيه نفس النظرة اللي كانت في عينيّ وأنا صغيرة الخوف.
صمتت قليلًا ثم تابعت بصوت مبحوح:لما انفصلوا، ليلى كانت محطمة، وسامي بدأ ينعزل أنا حاولت أكون قريبة منه، أساعده بس بعد فترة اكتشفت إن في حد بيراقبهم، بيرسل تهديدات مبهمة .كنت أعرف إن في شيء كبير وراهم، وقررت أراقب الموضوع من بعيد.
اقترب إياد منها أكثر، نظراته فيها مزيج من الشك والاحترام:وانتهى بيكِ الأمر في الميناء؟ ازاي؟
نظرت له بعينين دامعتين:جالي اتصال قالوا إن الولد في خطر، وإن لو ما رُحتش، مش هتشوفيه تاني صدّقتهم، وروحت .كنت عايزة أحميه، حتى لو كان فخ.
هزّ رأسه ببطء، وكأنه بدأ يرى الصورة تتضح أمامه .لكن

قبل أن يتكلم، فتحت باب الغرفة ليلى، وجهها شاحب وعيناها حمراء من البكاء.

تبادلت النظرات مع نادين للحظة طويلة، مزيج من الامتنان والخوف والشك.

قالت ليلى بصوت متهدّج:شكراً إنك أنقذتي ابني بس في حاجات لازم تتقال.

أخفضت نادين عينيها، همست:عارفة يا ليلى بس يمكن الحقيقة اللي عندي توصلك للحقيقة اللي بتدوروا عليها.

نظر إياد إليهما معًا، وأدرك أن ما سيُقال بعدها قد يُغيّر كل شيء.

كانت السماء تمطر خفيفًا، كأنها تشاركها الحزن نفسه.

جلست ليلى على الأرض، أمام حقيبة صغيرة لسامي، ترتّب ملابسه بيدين ترتجفان.

كل قميص تضعه كان يحمل ذكرى أول يوم مدرسة، ضحكته حين سقط في الطين، خوفه من الظلام حين كان يختبئ في حضنها.

توقفت فجأة، ورفعت رأسها حين سمعت طرقًا على الباب. عرفت الصوت قبل أن تسمعه جيدًا.

كريم دخل بخطوات ثابتة، يحمل في عينيه صراعًا بين الرحمة والجمود.

وقف ينظر إليها دون أن يتكلم، حتى قالت بصوت مبحوح:مش كنت تبعت حد يا كريم؟ ليه جيت بنفسك؟ عايز تشوف وجعي بعينك؟
أخفض نظره للحقيبة، ثم رفعه إليها وقال بهدوء مؤلم:أنا مش جاي أؤذيك يا ليلى، بس الوضع بقى خطر .سامي محتاج يعيش في بيئة مستقرة، بعيد عن المشاكل.
ضحكت ضحكة مكسورة، وكأنها سمعت نكتة سوداء:بيئة مستقرة؟ مع مين؟ مع اللي ما كانش فاكر عيد ميلاده؟ ولا اللي ما يعرفش لون عينيه؟
اقترب خطوة منها، نظر في وجهها طويلًا، كان التعب مرسومًا في كل تفصيلة فيها.
قال بجمود:مش قصدي أجرّحك، بس خلاص، المحكمة حكمت لي بالحضانة المؤقتة.
تجمدت الكلمات في حلقها، وكأن أحدهم انتزع أنفاسها. يعني هتاخده مني؟ بعد كل اللي عديت بيه؟ بعد اللي شفته لوحدي؟
اقتربت منه تمسك بذراعه كأنها تتشبث بآخر أمل:كريم، ما تخلّيش الولد يعيش الإحساس اللي أنا عشته ما تسيبوش يحس إنه ملوش أمان.
كانت الدموع تنهمر بصمت، وصوته حين ردّ جاء

مبحوحًا:أنا آسف يا ليلى.
تقدم نحو الغرفة، حيث كان سامي نائمًا، ورفعه بين ذراعيه برفق.
فتح الطفل عينيه نصف فتحة، وهمس:بابا؟ ماما جاية معانا؟
لكن كريم لم يستطع الرد.
بينما ليلى كانت واقفة في مكانها، عاجزة حتى عن الصراخ، كل ما استطاعت فعله هو النظر إلى الباب وهو يُغلق، ومعه آخر ما تبقّى من قلبها.
سقطت على ركبتيها، والهدوء يملأ المكان، حتى المطر توقف، كأنه حزن معها.
رفعت نظرها إلى السقف، قالت بصوتٍ متكسّر:يا رب لو هو الخير ليهم، خُدني وخليهم يعيشوا.
في تلك الليلة، لم تنم المدينة ولم تعد ليلى هي ليلى.
لم يطرق إياد الباب كان الباب نصف مفتوح، كما لو أن البيت نفسه استسلم للحزن.
دخل بخطوات حذرة، ينادي بصوت خافت:ليلى؟
لم تجبه كانت جالسة على الأرض، نفس المكان الذي غادره كريم قبل ساعات .عيناها حمراوان، ووجهها شاحب، والرسائل غير المرسلة لسامي تملأ الطاولة أمامها.

اقترب منها، جلس على الأرض بجانبها دون أن يتكلم.
لم يكن يعرف ماذا يقول فهو الضابط الذي واجه أصعب القضايا، لكنه الآن عاجز أمام دموع امرأة.
همست بعد صمت طويل:عارف يا إياد لما كانوا بياخدوا ابني، حسّيت إني بتفكك من جواي كل نفس بيتسحب مني وهو بيبعد.
قال بصوت مبحوح:ليلى، اللي حصل ظلم، بس لازم تصمدي كريم مش هيقدر يبعد سامي عنك للأبد.
نظرت له، بعينين مثقلتين بالخذلان:الناس بتاخد منك اللي بتحبه، وبيدّعوا إنهم بيحموه منك .هو ده العدل؟
اقترب أكثر، قال بنبرة حانية:اللي زيك ما يتكسرش يمكن الوجع اللي جواكي هو اللي هيخليكي أقوى بس أوعديني ما تستسلميش.
نظرت إليه طويلاً، ودمعة وحيدة انحدرت على خدها.
أنا مش عايزة أكون قوية، إياد أنا بس عايزة ابني.
ترك كلمتها تتردد في صمته، قبل أن يغادر الغرفة بخطوات مثقلة.
في الخارج، أخرج هاتفه واتصل بزميله في القسم:عايز كل حاجة عن سامر اليوسف وديلا فورا اللي حصل لليلى مش صدفة.
في الجهة الأخرى،كان كريم يجلس على طرف السرير

في منزل والدته.
سامي نائم بجانبه، وجهه هادئ كأن شيئًا لم يحدث.
مدّ كريم يده ولمس شعره برفق، والدموع بدأت تملأ عينيه.
سمع صوت أمه خلفه تقول بهدوء:عملت اللي لازم يتعمل يا كريم الولد محتاج أبوه.
رد بصوت منخفض:بس خدت منه أمه خدت منه الحضن اللي بيطمنه.
سكتت الأم، فتابع هو:كنت فاكر إني بعمل الصح بس من ساعة ما خرجت من بيتها، مش قادر أتنفس كأني سبت قلبي هناك.
اقتربت منه والدته وربتت على كتفه:أحيانًا الصح بيكون وجع، يا ابني.
نظر إليها بعينين غارقتين في الأسى، وقال:بس الوجع ده مش عدل خصوصًا لو سبناه يكبر.
في تلك اللحظة، سمع صوت سامي يتمتم في نومه:ماما ما تسيبينيش.
تجمّد كريم مكانه، أحس أن الكلمة اخترقت صدره كخنجر، وأدرك ولو متأخرًا أنه لم ينتزع سامي من أمه فقط بل انتزع نفسه من إنسانيته.

لم تكن الحرب بالرصاص هذه المرة،بل بالكلمات.
بدأ الأمر بمقال صغير على موقع إلكتروني محلي يحمل عنوانًا ساخرًا:معلمة في مدرسة النخيل متهمة بتزوير شهادات وتلقي أموال.
لم يُذكر اسم ليلى صراحة، لكن كل من يعرفها أدرك المقصود.
وفي اليوم التالي، انتشرت الصور، وتحوّل الهمس في الممرات إلى نظرات مليئة بالريبة.
حتى زميلتها الأقرب تجنبتها في الطابور الصباحي.
كانت تعرف من فعلها سامر.
لم يكن بحاجة إلى سلاح فقط إلى نفوذٍ وكلمة.
ومع كل إشاعة تنتشر، كانت ليلى تخسر جزءًا من نفسها.
في تلك الأيام، بدأ إياد يشعر بالارتباك.
الضغط من رؤسائه، والملفات التي تصل إليه عبر مصادر مجهولة كلها تتحدث عن "تجاوزات أخلاقية "لليلى، وأدلة مزيفة تتهمها بالتلاعب في معاملات مالية لجمعية تعليمية.
بدأ الشك يتسلل إلى قلبه رغمًا عنه، لم يكن يريد أن يصدق، لكنه ضابط، والواجب يفرض عليه التحقيق.
ومع كل استجواب، كان يشعر أن المسافة بينه وبينها تكبر وأن صوته حين ينادي اسمها صار يحمل برودًا لم

يعرفه من قبل.
أما ليلى، فقد كانت كمن تسير فوق الزجاج.
تحاول أن تبدو بخير أمام الآخرين، لكنها حين تعود إلى شقتها، تغلق الأبواب والستائر وتجلس في الظلام.
كانت تشعر أن كل شيء فقد معناه المدرسة، الأصدقاء، حتى نفسها.
تحاول الاتصال بسامي، فيرفض كريم السماح لها بالتحدث.
أحيانًا كانت تسمع صوته من بعيد على الهاتف، لكنه لا يتكلم وكأن المسافة بينهما أكبر من عمرها كله.
وفي إحدى الليالي،انهارت تمامًا جلست على الأرض، أمام باب الغرفة المغلق، لم تأكل منذ يومين، صوتها مبحوح من كثرة البكاء.
فتحت ألبوم صورها مع سامي، تمرّ بأناملها على وجهه الصغير، وقالت بصوتٍ مكسور:سامحني يا حبيبي أنا كنت ضعيفة، بس وعد مش هسيبهم ينتصروا.
لكن جسدها لم يحتمل أغمي عليها، وبقيت على الأرض حتى الصباح، حين وجدتها جارتها واتصلت بالإسعاف.
في المستشفى، كانت على سرير أبيض، أنابيب المصل تلتف حول يدها، وعينيها شبه مغلقتين.
إياد كان واقفًا عند الباب، صامتًا، وجهه مملوء بالندم.

قال له الطبيب بهدوء:
“الست دي ما محتاجه دواء قد ما محتاجه أمان.
انهيار عصبي حاد نتيجة ضغط نفسي لو استمر الوضع كده، ممكن توصل لمرحلة أخطر.
اقترب إياد ببطء من سريرها، نظر إلى ملامحها الشاحبة وقال في نفسه:غلطت لما شكّيت فيكِ وغلطت أكتر لما صدقت الناس قبلك.
ثم همس بصوت يكاد لا يُسمع:وعد مني يا ليلى المرة دي مش هسيبهم يدوسوا عليكي.
خرجت ليلى من المستشفى بعد أسبوعٍ بدا كأنه عام كامل.
المدينة كما هي، مزدحمة، صاخبة، لكن داخلها ...كل شيء مات.
كان إياد ينتظر عند الباب، يحمل ملفها الطبي ووجهه مليء بالذنب.
اقترب منها بخطوات مترددة، وقال بصوتٍ خافت:الحمد لله على سلامتك يا ليلى.
لم تردّ.
نظرت للأرض، ثم مرّت بجانبه دون أن ترفع عينيها، وقالت ببرودٍ هادئ يخفي ما بداخلها:أنا مش محتاجة مساعدتك خلاص، تعبت من الوعود.

وقف يراقبها وهي تبتعد، شعر أن بينهما ألف كلمة لم تُقال، لكنه احترم صمتها.

في بيتها، كان كل شيء على حاله إلا هي.

رائحة العطر الخافتة على الوسادة تذكرها بسامي، وصورته على الحائط تكاد تنطق.

جلست أمامها، لم تبكِ هذه المرة .فقط نظرت إليه طويلاً وقالت:ما تخافش يا حبيبي ماما رجعت، وهتلاقيك.

بدأت تفتح هاتفها القديم، تدخل على كل رقم وكل رسالة، تبحث عن خيط يوصلها إليه.

جربت رقم كريم أكثر من مرة بلا جدوى.

ثم كتبت رسالة قصيرة ولم تُرسلها:سامي، ماما بتحبك .لو سمعت صوتي، بس قول إنك بخير.

ضغطت على إرسال وأغمضت عينيها.

مرت الأيام ببطء.

تحاول الخروج من البيت لكنها لا تستطيع.

الجيران بدأوا يتهامسون عنها، والمدرسة استبدلتها بمعلمة جديدة.

كل صباح تجلس عند النافذة، تنظر للشارع كأنها تنتظر شيئًا لا تعرفه.

في أحد الأيام، جاء إياد مجددًا، يحمل لها أكياسًا من

الطعام ودواءها.
طرَق الباب، وبعد صمت طويل، فُتح الباب قليلًا.
ظهر نصف وجهها من خلفه، نظرة شاحبة، متعبة.
قال بخفوت:مش جاي علشان أحقق ولا أتكلم عن الماضي
أنا جاي أتأكد إنك بتاكلي.
ردت بجمود:أنا كويسة، ما تشيلش هم.
ثم همّت بإغلاق الباب، لكنه قال بسرعة:عرفت إن سامر
وديلا لسه مش سايبينك في حالك وفي كلام إنهم بيجهزوا
لحاجة تانية.
خلي بالك من نفسك.
سكتت، رفعت عينيها نحوه للمرة الأولى منذ أيام.
لو كنتَ صدقتني من الأول يا إياد، يمكن ما كنتش وصلت
لكده.
ثم أغلقت الباب بهدوء، وتركته واقفًا في الممر، يشعر أن
صوته لا يصل إليها بعد الآن.
في الليل، جلست ليلى وحدها، تقلب في الصور القديمة
على الهاتف.
توقفت عند مقطع صوتي صغير لسامي، كان يقول فيه
بصوته الطفولي:ماما، لما أكبر هبقى زيك، ما أخافش من
حد.
دموعها سقطت دون مقاومة، وضمت الهاتف إلى

صدرها كأنها تضمّه هو.
بس أنا اللي بخاف دلوقتي يا سامي بخاف أعيش يوم من غيرك.
لكن في اللحظة نفسها،وصلتها رسالة قصيرة من رقم مجهول:لو عايزة تشوفي ابنك روحي الميناء القديم بكرة الساعة 10.
رفعت رأسها ببطء، تنفّست بصعوبة،وفي عينيها لأول مرة منذ زمن اشتعلت شرارة صغيرة مزيج من الخوف والأمل.
الساعة التاسعة والنصف مساءً.
الريح القادمة من البحر تحمل رائحة الملح والصدأ، والضباب يلف الميناء كوشاحٍ رمادي يخفي كل شيء.
كانت ليلى تمسك هاتفها بيد مرتجفة، عيناها تتنقلان بين السفن القديمة وأضواء الميناء الخافتة.
خطواتها بطيئة، لكنها ثابتة.
لم تخبر أحدًا لا إياد، ولا حتى صديقتها القديمة التي اعتادت اللجوء إليها عند الأزمات.
اليوم، كانت وحدها تمامًا كما خُلقت.
الساعة عشرة.
همست لنفسها وهي تنظر للبحر،
ثم فجأة، سمعت صوت خطوات تقترب من الخلف.

استدارت بسرعة رجل طويل القامة، ملامحه مألوفة رغم الظلام.

تجمدت الكلمات على شفتيها عندما تعرّفت عليه.

سامر؟!

ابتسم ابتسامة باردة، وقال وهو يقترب أكثر:اتأخرتي يا ليلى كنت متأكد إنك هتيجي.

تراجعت خطوة للخلف، تنظر إليه بارتباك ودموع في عينيها.

إنت اللي بعتلي الرسالة؟ !فين سامي؟!

ضحك بخفة، تلك الضحكة التي تحمل وراءها نية خبيثة:ابنك؟ آه هو بخير بس كنت محتاج أشوفك الأول.

رفعت صوتها بغضب مكتوم:إنت دمرت حياتي، خدت مني كل حاجة عايز إيه كمان؟!

اقترب منها حتى كاد يلامس وجهها، وقال بصوتٍ باردٍ قاسٍ:عايزك تفهمي إن اللي بدأته مش هينتهي بسهولة أنتِ مش مجرد غلطة في الماضي، أنتِ ورقة بستخدمها.

تراجعت خطوة، قلبها يخفق بعنف.

يعني سامي عندك؟!

لم يجب.

رفع هاتفه وأراها مقطع فيديو قصير :سامي جالس في

غرفة مظلمة، ملامحه متعبة لكنه بخير.
صرخت وهي تحاول أخذ الهاتف منه، لكنه أبعد يدها وقال بابتسامة جانحة:لو عايزة ترجعي ابنك هتعملي اللي أقولك عليه بالضبط.
دمعت عيناها، وصوتها خرج مرتجفًا:إنت مش إنسان!
قال ببرودٍ متعمد:أنا ابن الراجل اللي كنتي فاكرة نفسك تقدرِي تكسريه أبوكي، صالح اليوسف، هو اللي بدأ اللعبة . وأنا اللي هخلصها.
شهقت ليلى بصوتٍ مكتوم، تراجعت حتى اصطدمت بجدارٍ من الحاويات المعدنية.
إنت إزاي عرفت؟!
اقترب أكثر، وقال بهدوء مميت:أنا عارف كل حاجة، يا أختي.
سكتت لحظة، عيناها اتسعتا وهي تهمس بصوتٍ مبحوح:إيه؟ أختي؟!
ضحك بخفة وهو يبتعد قليلًا:نص أختي أبوكي كان كريم في العلاقات، صح؟
بس الفرق إنك كنتي بنت الحلال، وأنا كنت السر اللي خبّوه.
تقدمت نحوه، الدموع تسيل على خديها:ليه بتعمل كده؟ لو فعلاً أخويا ليه بتؤذيني؟!

قال بنبرة مليئة بالحقد:علشانك السبب إن أمي ماتت وأنا صغير، لما اختارك صالح اليوسف وتركنا.
من يومها وأنا بوعد نفسي إنك هتحسي بنفس الوجع.
وقبل أن ترد، سُمع صوت سيارات الشرطة وهي تقترب من الميناء، أضواؤها الزرقاء انعكست على وجهيهما.
نظر سامر حوله بحدة وقال سريعًا:مش وقته دلوقتي، بس اللعبة لسه ما خلصتش، يا أختي الصغيرة.
ثم اختفى وسط الظلال، تاركًا ليلى ترتجف في مكانها، والبحر يصفّر بصوتٍ يشبه العويل.
كانت أصوات الموج ترتطم بجدران الميناء كأنها تحذر القادمين.
إياد كان يقف عند البوابة الحديدية، يراجع تقرير المكالمة الأخيرة التي تلقاها القسم من رقمٍ مجهول الموقع ذاته الذي شوهدت فيه ليلى قبل ساعات.
شيء ما في داخله كان يصرخ بأن الأمر أكبر مما يبدو.
لقد رآها تتغير منذ اختفاء سامي، تذوب ببطء في عزلتها، لكنه لم يتخيل أنها ستذهب وحدها إلى هذا المكان.
فتح المصباح الصغير بيده وسار بين صفوف الحاويات، ينادي باسمها بصوتٍ خافت:ليلى لو كنتِ هنا، جاوبي.
لم يكن هناك سوى صدى البحر.

لكن حين مرّ بجانب إحدى الحاويات، لمح شيئًا يلمع هاتفها!

التقطه بسرعة، وكانت الشاشة ما تزال تعرض الرسالة الغامضة:تعالي لوحدك، الساعة عشرة .وإلا سامي هيدفع التمن.

تجمد الدم في عروقه، أدرك أن الأمر لم يعد مجرد تهديد بل لعبة مدروسة.

وفي تلك اللحظة، سمع صوتًا خافتًا خلفه، التفت بسرعة ورأى ظلًا يختفي في الممر بين الحاويات.

ركض خلفه حتى وصل إلى زاوية الميناء حيث توقفت سيارة سوداء، لكنها كانت قد ابتعدت للتو وداخلها شخص يشبه سامر اليوسف.

وقف إياد يلهث، يهمس بغضبٍ مكتوم:دلوقتي فهمت يا سامر اللعبة دي ليها أصل.

في الطرف الآخر من المدينة،كان سامر يجلس في شقته الفاخرة المطلة على البحر، الضوء الخافت للغرفة يعكس ظلالًا على وجهه.

أمسك بكأس الماء ونظر إليه كأنه يرى ماضيه في انعكاسه.

على الطاولة أمامه صورٌ قديمة رجل أنيق في الثامنة والثلاثين من عمره صالح اليوسف يحتضن فتاة

صغيرة بعمر السابعة.
تحت الصورة، أخرى لامرأة شابة بعينين حزينتين والدته ممزقة من المنتصف.
تمتم بصوتٍ مبحوح:أمي وعدتك إنك هتشوفي حقك حتى لو من بعيد.
ثم قبض على الصورة بيده حتى تمزقت أكثر.
دخل عليه أحد رجاله وقال بقلق:الخبر انتشر يا باشا، الشرطة اتحركت بعد بلاغ مجهول.
وليلى نجت المرة دي.
ابتسم سامر ببطء، عيناه تلمعان كوميض سكين:مافيش مشكلة دي لسه البداية.
اللي خدت مني أبوي، اللي خلّته ينساني، لازم تدفع تمن الاسم اللي بتحمله.
اقترب الرجل منه مترددًا:بس البنت دي ما تعرفش حاجة عن اللي حصل زمان، يمكن.
قاطعه سامر بصوتٍ حادّ:مايهمش !الجرح بيتوارث زَيّ الدم وهي هتحس بنفس اللي حسّيته.
ثم اعتدل في مقعده، وأخذ هاتفه ليتصل برقمٍ مجهول.
نفذوا الخطوة التانية عايز كل وسائل الإعلام تتكلم عن فضيحة ليلى صالح اليوسف.
خليها تخسر اسمها زي ما أنا خسرت طفولتي.

في تلك الأثناء، كانت ليلى في غرفتها المظلمة داخل شقتها الصغيرة،
تجلس على الأرض، تحتضن معطف سامي وتبكي بصمت.
الستائر مغلقة، والضوء من الهاتف يضيء وجهها الشاحب.
رسائل التهديد تتوالى على شاشة هاتفها،لكن أكثر ما يؤلمها هو رسالة واحدة بسيطة:ماما، أنا كويس بس مش هقدر أشوفك دلوقتي.
صوت ابنها جعلها تختنق بالبكاء.
همست وهي تضغط الهاتف على صدرها:سامر، خدت مني كل حاجة، حتى نفسي.
وفجأة، رن جرس الباب.
تجمدت، ثم نهضت بخطوات مترددة وفتحت الباب لتجد إياد واقفًا أمامها، ملامحه منهكة، لكنه بدا حازمًا أكثر من أي وقت مضى.
قال بهدوء، وصوته يخفي قلقًا عميقًا:كفاية هروب يا ليلى اللي بيحصل مش صدفة وسامر هو اللي ورا كل ده بس المرة دي مش هسيبه يؤذيك تاني.
نظرت إليه بعينين دامعتين، همست بصوتٍ مبحوح:مش قادرة يا إياد خدت كل قوتي.

اقترب منها ووضع يده على كتفها برفق:يبقى دوري
دلوقتي إني أرجّعها لك.
كانت تلك أول مرة منذ زمنٍ طويل تشعر فيها بالأمان.
صوت خافت لنبضات الساعة يقطع سكون الغرفة.
شعاع شمسٍ خجول تسلل من بين الستائر وألقى خيطًا
ذهبيًا على وجهها.
فتحت ليلى عينيها ببطء، تتنفس بصعوبة كما لو أنها تعود
من عمق حلمٍ طويل.
لكنها لم تلبث أن شهقت بخفة كان سامي نائمًا بجانبها،
رأسه الصغير على ذراعها، يتنفس بعمقٍ وهدوءٍ طفولي.
لم تصدق عينيها في البداية.
مدّت يدها بخوفٍ لتلمس شعره، كأنها تخاف أن يختفي لو
لمسته بقوة.
ثم ابتسمت تلك الابتسامة التي نسيتها منذ زمن.
ضمّته إلى صدرها بقوة، همست بصوتٍ متقطع بين
الدموع:رجعت لي يا روحي رجعت.
شعرت بدفء جسده الصغير يعيد إليها أنفاس الحياة،
لكنها لم تكن تعلم أن هذا الصباح سيحمل لها ضربة جديدة،
أقسى من كل ما مضى.
نهضت بهدوء، اتجهت إلى المطبخ لتعد له الإفطار،
وفجأة، سمعت صوت إشعارات الهاتف يتوالى بلا توقف.

أمسكته بفضول، لكن ما إن فتحت الشاشة حتى تجمدت ملامحها.

عناوين الصحف والمواقع الإلكترونية تتصدر الشاشات فضيحة ليلى اليوسف ابنة غير شرعية لرجل أعمال راحل.

علاقة غامضة بين ليلى وضابط الأمن إياد بعد طلاقها!

والد الطفل يطالب باستعادته بعد ثبوت عدم صلاحية الأم نفسياً!

تسمرت مكانها.

الكلمات كانت كطعنة في صدرها، لا تعرف من أين يبدأ الألم.

الهواء صار ثقيلاً، والدموع تسابقت على وجهها بلا توقف.

جلست على الأرض، تضم الهاتف إلى صدرها وتبكي بصوتٍ مكتوم.

تذكرت نظرات الناس، همساتهم، الماضي الذي لم ترتكبه لكنها تُعاقب عليه.

همست بصوتٍ مبحوحٍ وهي تحدق في السقف:كفاية وجع خلاص.

نظرت إلى سامي النائم، وجهه البريء يطفئ نارها للحظة.

اقتربت منه، قبّلت جبينه وقالت بهدوء:هنبدأ من جديد يا ماما في مكان محدش يعرفنا فيه.
لم تحتج ليلى للوقت الطويل.
جمعت حقيبة صغيرة، وضعت بها أوراقها القليلة، بعض الملابس، وصورة قديمة تجمعها بابنها.
غيّرت رقم هاتفها، تركت شقتها خالية من أي أثر يدل عليها،ونظرت للمرة الأخيرة إلى النافذة التي شهدت دموعها الكثيرة.
ثم خرجت بهدوء، تحمل ابنها النائم على كتفها،وعند باب البناية، توقفت للحظة شعرت بشيء يخنقها في صدرها، كأنها تترك روحها وراءها.
لكنها مضت، دون أن تلتفت.
في المطار، جلست على المقعد تنتظر موعد الصعود للطائرة.
كان سامي مستغرقًا في النوم على حضنها،بينما هي تحدق من النافذة الزجاجية إلى الطائرات التي تقلع وتختفي في السماء.
همست بصوتٍ خافت:يمكن الرحلة دي تكون خلاص البداية الجديدة أو يمكن النهاية الهادية اللي كنت بدور عليها.
حين أعلنوا عن موعد الرحلة، نهضت، أمسكت بيد ابنها

بإصرار،واتجهت إلى البوابة بخطواتٍ بطيئة لكنها واثقة.
لم تلتفت خلفها، لم تبحث عن وجهٍ تعرفه،فكل ما تركته خلفها لم يعد يعني شيئًا.
الطائرة أقلعت،والمدينة التي عذّبتها تقلّصت شيئًا فشيئًا تحت الغيوم،حتى صارت مجرد نقطة بعيدة في الأفق.
أغمضت ليلى عينيها،وضمّت سامي إلى صدرها،وقالت في نفسها:يمكن المرة دي أقدر أتنفس.
الساعة كانت تقترب من منتصف الليل، عندما تلقّى إياد اتصالاً من زميله في القسم:المكان اللي كانت ساكنة فيه ليلى فاضي الجيران بيقولوا إنها سابت الشقة من يومين.
تجمد مكانه.
ترك الأوراق من يده، واتجه بسرعة إلى السيارة،
القَلق كان يخنق أنفاسه وهو يقود في الشوارع الخالية إلا من أنوار المصابيح الباهتة.
وصل إلى البناية وصعد الدرجات بسرعة.
الباب كان مفتوحًا قليلًا دخل بحذر.
البيت ساكن، صامت، وكأن الحياة انسحبت منه بهدوء.
في غرفة المعيشة، وجد حقيبة صغيرة فارغة على الأرض، وصورة مكسورة على الطاولة.
رفعها بيده، كانت تجمع ليلى وسامي ابتسم بخفة مؤلمة.

جلس على الكرسي، يمرر أصابعه على الصورة، ويتمتم:هربتِ من مين المرة دي يا ليلى؟ مني؟ ولا من الدنيا كلها؟

لكن قبل أن يغادر، لاحظ ورقة صغيرة على الطاولة، مكتوبة بخطها:أحيانًا الهروب مش ضعف بيكون نجاة.

أغمض عينيه، زفر بعمق، ثم قال بهدوءٍ حزين:بس النجاة دي من غيري مؤلمة قوي يا ليلى.

عاد إلى القسم صباحًا، لكنه فوجئ بقرار رسمي على مكتبه:إيقاف مؤقت عن العمل لحين انتهاء التحقيق في قضية سامر اليوسف.

كان سامر قد بدأ يحرّك نفوذه لتشويه سمعته هو الآخر. لكنه لم يهتم.

كل ما كان يعنيه هو أن يجدها، حتى لو اضطر لترك كل شيء خلفه.

في مدينة صغيرة هادئة على الساحل، كان النسيم يحمل رائحة المطر والبحر.

جلست ليلى على مقعد خشبي أمام شرفة شقتها الجديدة، ترتشف قهوتها وهي تنظر إلى سامي يلعب بقطع الخشب الصغيرة على الأرض.

وجهها بدا أكثر هدوءًا، لكن في عينيها ظلّ حزنٍ لا يختفي.

،كانت تحاول أن تبدأ، أن تبني جدارًا من السكينة حولها
لكن كلما سمعت ضحكة سامي، عادت لتتذكر خوفه وبكاءه
.تلك الليلة في الميناء

اقترب منها سامي وقال بخجل:ماما، هنا هنعيش على
طول؟

ابتسمت وربتت على شعره:أيوه يا حبيبي هنا بيتنا الجديد .
.محدش يعرفنا، ومفيش حد هيأذينا تاني

قال ببراءةٍ وهو يرسم خطوطًا على الورق:طب وبابا؟
وإياد؟

تجمدت للحظة، ثم أجابت بصوتٍ خافت:بابا عنده شغل
.كتير يا سامي وإياد بعيد دلوقتي

.لكن قلبها كان يتمزق من الداخل

كم تمنت أن تخبره الحقيقة أن إياد لم يكن مجرد غريب، بل
.الشخص الوحيد الذي حاول إنقاذهم جميعًا

.لكنها خافت أن تُعيد له الخوف

نهضت، سحبت الستائر، وقالت بابتسامةٍ مصطنعة:يلا
نجهز للعشاء، النهارده نبدأ صفحة جديدة، ماشي؟

.هز رأسه بحماس، بينما هي أخفت دمعة سقطت دون إذن

في تلك الليلة،بينما كانت تغفو على صوت الموج، وصلها
إشعار على هاتفها الجديد رقم غريب أرسل رسالة

واحدة فقط:ظننتِ أنكِ بعيدة بما يكفي، لكن الماضي يعرف طريقه جيدًا.

شهقت بخوف، ضمّت سامي إلى صدرها.

الهواء في الغرفة صار ثقيلاً، والنافذة تُصدر صريرًا كأنه همس.

رفعت عينيها نحو السماء المظلمة، وهمست بصوتٍ مرتجف:يا رب مش عايزة غير الأمان.

في الوقت نفسه، كان إياد يجلس في سيارته على طريق السفر،يحمل ملفًا عليه اسمها وصورة قديمة لها.

عيناه على الطريق، وصوته الداخلي يردد:مهما اختفيتِ أنا هلاقيك.

في مكتبٍ فخم بأعلى برجٍ زجاجي يطل على المدينة،
كان صالح اليوسف يقف أمام النافذة،يداه خلف ظهره،
ووجهه العجوز يحمل ملامح رجلٍ أنهكه الندم أكثر مما أضعفته السنوات.

دخل نادر، مدير مكتبه، بخطواتٍ مترددة وقال:باشا الأستاذ سامر مستني برا، بيقول لازم يقابلك فورًا.

لم يلتفت صالح، ظل يحدق في الأفق للحظات ثم قال بصوتٍ هادئ لكنه حاد:خليه يدخل.

فتح الباب، ودخل سامر بثقةٍ مصطنعة، عينيه تلمعان بغضبٍ مكتوم، وصوت خطواته يملأ الغرفة كأنه قادم

للمعركة.
بابا قالها بابتسامة جانحة، واضح إنك كنت بتتابع الأخبار زَيّنا كلنا.
استدار صالح ببطء، نظر إليه نظرة حادة مليئة بالخيبة. عارف يا سامر؟ طول عمري كنت فاكر إن الطمع ممكن يتحكم فيك بس ما كنتش متخيل إن الحقد نفسه هو اللي هيأكلك.
تجمدت ملامح سامر للحظة ثم قال ببرود:أنا دافع عن اسم العيلة عن شرفنا اللي هي فضحته !البنت دي ما تستحقش اسم اليوسف.
اقترب صالح منه خطوة بخطوة، صوته بدأ يرتجف بغضبٍ عميق:البنت دي أختك، سامر .من دمي !واللي حصل لها كان بسببك بسبب جنونك!
ضحك سامر بخفة، تلك الضحكة التي تخفي وجعًا عميقًا خلف الكبرياء:أختي؟ !أختي اللي أمي ماتت بسببها؟ اللي كنت بتبعتلها فلوس وتسيبني أتعذب أنا وأمي في بيت مهدود؟!
رفع صالح صوته لأول مرة منذ سنوات:كفاية !امامتك ماتت بمرضها، وأنا غلطت لما بعدت عنكم بس مش هسمح لك تكرر غلطتي معاها!
اقترب سامر حتى صار وجهه أمام وجه أبيه تمامًا،

وقال بصوتٍ منخفضٍ مليء بالتهديد:يعني دلوقتي بعد كل اللي عملته عشانك، هتختارها هي؟ بنت الخطيئة؟
رفع صالح يده وصفعه صفعة مدوية، جعلت الأوراق تتطاير من المكتب.
قال بصوتٍ غاضبٍ ارتجف له الجدار:كلمة تانية زي دي عنها، والله يا سامر، أطلعك بره الشركة والبيت والاسم!
تراجع سامر وهو يضع يده على خده، ملامحه احمرّت من الغضب.
إنت فعلاً اتجننت يا صالح اليوسف عشان بنت غريبة تهدد كل اللي بنيته؟!
اقترب منه والده بخطواتٍ بطيئة، لكن صوته كان ثابتًا كالسيف:مش بنت غريبة، دي بنتي ولو فتحت بُقّك عليها تاني، هقفل الشركة، وأسحب كل دعمي المالي، وأخليك تبدأ من الصفر زي الغرباء.
ساد صمت ثقيل.
سامر نظر إليه بعيونٍ تشتعل نارًا،ثم قال بصوتٍ مبحوحٍ يخنق الغيظ:هتندم يا صالح هتندم لما تعرف إنك بتحمي الشخص الغلط.
وغادر بخطواتٍ سريعة، الباب ارتطم خلفه بقوة حتى ارتجّ الزجاج.
بقي صالح وحده، جلس على الكرسي، وضع يده على

جبينه وقال بصوتٍ مبحوحٍ يحمل وجع السنين:سامر يا ابني، ما كنتش عايز أوصل معاك للنقطة دي.
بس لو كان الثمن إنقذ بنتي، هادفعه بدون تردد.
نظر إلى صورة قديمة على مكتبه تجمعه بطفلة صغيرة، ابتسم بحزنٍ وقال همسًا:استحملي شوية يا ليلى يمكن المرة دي أقدر أصلّح اللي كسرته بإيدي.
لم تكن المدينة الجديدة تعرف اسمها الحقيقي.
قدّمت نفسها باسمٍ مستعار في أوراق العمل، واستأجرت شقة صغيرة تطل على شارعٍ مزدحم في أطراف المدينة.
كانت ليلى كل صباح تُوقظ ابنها برفق، تلبسه سترته الصغيرة، وتوصله إلى المدرسة قبل أن تتوجه إلى مكانها الجديد مكتبة صغيرة في إحدى الجامعات، حيث تعمل مساعدة أمينة مكتبة.
كانت المكتبة عالمًا مختلفًا صامتًا، دافئًا، مليئًا برائحة الورق القديم التي تمنحها نوعًا من الطمأنينة الغريبة.
الطلاب يمرون بابتسامات عابرة، لا أحد يعرف قصتها، ولا أحد يسألها أكثر من اللازم.
كانت هذه أول مرة منذ سنوات تشعر أن الحياة يمكن أن تسير بهدوء، حتى لو كان قلبها محطمًا.
ذات صباح، بينما كانت ترتب رفوف الكتب، اقتربت منها طالبة شابة بابتسامة لطيفة:مدام ليلى، ممكن أساعدك؟

شكلك تعبانة شوية النهارده.
ابتسمت بخفة وقالت :تعب بسيط، شكراً يا سارة.
لكن خلف ابتسامتها كانت هناك حرب.
كل إشاعة جديدة تظهر عنها على الإنترنت كانت تمزقها من الداخل.
الصور المفبركة، المقالات المليئة بالأكاذيب، والاتهامات التي صنعها سامر ليكمل انتقامه.
كانت تمسك هاتفها أحيانًا، تتردد في الاتصال بإياد، ثم تتراجع.
لا تريد أن يسمع صوتها مكسورًا .لا تريد أن يراها ضحية.
كل ما كانت تريده أن يعيش ابنها حياة عادية بعيدًا عن صراعات الكبار.
في تلك الأثناء، في العاصمة، كان صالح اليوسف يراقب كل شيء بصمت.
علم من أحد رجاله أن ليلى اختفت مع ابنها، وأن سامر يواصل نشر الأكاذيب عنها دون توقف.
فأرسل أحد رجاله الموثوقين ليبدأ بالبحث عنها رجل يعرف كيف يعمل بهدوء، رجل اسمه إياد.
اتصل به صالح عبر مكالمة مشفرة، وقال بصوتٍ ثقيل:إياد البنت اللي كنت بتحاول تحميها زمان، هي بنتي.

ساد صمت طويل على الطرف الآخر قبل أن يرد إياد بصوتٍ خافت:كنت حاسس من البداية، يا باشا.
عايزك تلاقيها قبل سامر بأي ثمن مش عايز ولادي يضيعوا أكتر من كده.
في نفس اللحظة، كانت ليلى تجلس في زاوية المكتبة، تمسك كتابًا عن الفلسفة.
صفحة تتحدث عن "الهروب كوسيلة للبقاء "جعلتها تبتسم بمرارة.
تذكّرت وجه إياد، ويده التي أمسكت يدها يوم الميناء، ودموع ابنها على كتفها في تلك الليلة الطويلة.
همست لنفسها:مش عايزة أهرب تاني بس لسه مش قادرة أواجه.
رن هاتفها فجأة.
رقم غريب، لا اسم له.
ترددت للحظة ثم أجابت.
جاءها صوت هادئ، مألوف رغم البُعد:ليلى أنا إياد.
تجمدت مكانها، واهتزت الكتب بين يديها.
لم تدرِ ما تقول بين الخوف والحنين، بين الرغبة في البقاء والهرب مرة أخرى.
لم يكن سامر اليوسف يعرف الهزيمة، لكنه هذه المرة لم يرد فقط أن ينتصر بل أن يُدمر.

منذ تهديد والده له بإغلاق الشركة وسحب الدعم المالي، تحوّل الغضب في داخله إلى نار باردة، لا تشتعل بعنف بل تلتهم بصمت.

جلس في مكتبه الفخم، أمامه شاشة ضخمة تعرض تقارير مالية وشبكة من المعاملات السرية.

على وجهه ارتسمت ابتسامة جانبية وهو يقول لمساعده:كل الناس بتفتكر إن الحرب سلاح وصوت بس الحرب الحقيقية صامتة، بتبدأ من ملف صغير.

فتح سامر ملفًا إلكترونيًا يحمل اسم الشركة الرئيسية لمجموعة والده، وبدأ ينقل بعض المستندات إلى حسابات أخرى باسمه المستعار.

كان قد خطّط لكل خطوة بدقة :تحويلات مالية غير قانونية، عقود مزوّرة، وتوقيعات رقمية مطابقة تمامًا لتوقيع والده.

في المساء، جلس صالح في مكتبه الواسع، أمامه فنجان قهوة لم يلمسه منذ ساعة.

كان يشعر أن شيئًا غريبًا يحدث تراجعات في الحسابات البنكية، شائعات مالية بدأت تنتشر في السوق، وتقارير تتهم الشركة بعمليات غسيل أموال.

نادى على مديره المالي:مين اللي عمل التحويلات دي؟ مين فتح الحسابات الجديدة؟

رد الرجل متلعثمًا:يا فندم التوقيع توقيعك أنت.
ضرب صالح بيده على الطاولة بعنف، وقال:توقيعي؟ !ده تزوير واضح سامر هو اللي ورا ده، أنا متأكد!
رفع الهاتف واتصل بابنه، لكن سامر لم يرد.
كان يعلم أن والده سيكتشف، وكان ينتظر تلك اللحظة تحديدًا.
في مكان آخر، في فيلته الخاصة، وقف سامر أمام المرآة يعدّل ربطة عنقه وهو يقول لنفسه بصوتٍ منخفض:دلوقتي الكل هيشوف صالح اليوسف متهم، مش رجل محترم وهيعرفوا إن بنته ما كانتش أكتر من لعبة خبيثة في إيده.
كان يملك خطة ثانية أكثر خبثًا أن ينشر تسجيلات قديمة تجمع ليلى وكريم أثناء زواجهما، وأن يحرّف مقاطع منها لتبدو كأنها اعترافات بجرائم مالية أو علاقات غير شرعية.
لم يكن يهمه الحقيقة المهم أن يُدمّر الصورة التي تحاول ليلى الحفاظ عليها.
في اليوم التالي، تصدّرت عناوين الصحف:اتهامات خطيرة تطال مجموعة اليوسف التجارية
مصادر :ابنة صالح اليوسف متورطة في معاملات مشبوهة

وفي زاوية صغيرة من إحدى الصحف، عنوان صغير بالكاد يُرى:اختفاء غامض لأحد كبار موظفي الشركة قبل التحقيقات بساعات.

كان إياد يقرأ تلك العناوين في مقهى بعيد، وجهه متجهم، وعيناه لا تبرحان الصفحة.

همس لنفسه:سامر بدأ الحرب فعلاً.

ثم أخرج هاتفه، أرسل رسالة قصيرة إلى رقم مجهول:احمي ليلى بأي ثمن .هو مش هيسيبها فـ حالها.

في نهاية اليوم، كان سامر يقف أمام نافذة مكتبه الزجاجية، ينظر إلى المدينة المضيئة تحت قدميه.

ابتسم بثقة وقال:دلوقتي يا ليلى، حتى الهروب مش هينفعك الكل هيصدق إني أنا المظلوم وإنتِ السر اللي لازم يختفي.

كانت السماء رمادية في ذلك الصباح، والمدينة غارقة في ضبابٍ خفيف يشبه حالها.

وقفت ليلى أمام نافذة شقتها الصغيرة، فنجان القهوة بين يديها ارتجف كما لو أنه يشاركها القلق.

لم تشربه .فقط ظلت تحدّق في البعيد في اللاشيء.

كانت تعرف أن الأخبار انتشرت كالنار في الهشيم.

صورها، اسمها، عنوانها القديم كل شيء صار في متناول الناس.

حتى زملاؤها في المكتبة بدؤوا يتجنبونها بصمت خائف، وكأنهم يخشون العدوى من سمعتها المشوهة.

في اليوم الأول، حاولت أن تُكذّب ما يُقال.

في اليوم الثاني، بكت حتى انقطع صوتها.

وفي الثالث، صمتت تمامًا.

عاد ابنها سامي من المدرسة يحمل دفتره الجديد، ركض نحوها بحماس، لكنه توقف حين رآها جالسة على الأريكة، تحدق في الأرض، شاحبة الوجه، عيناها غائرتان.

اقترب منها بخوف:ماما إنتِ زعلانة مني؟

هزّت رأسها ببطء وقالت بصوتٍ واهن:لا يا حبيبي ماما بس تعبانة شوية.

احتضنته، لكنه شعر أن حضنها بارد.

لم تعد تضحك مثل قبل.

لم تعد تحكي له القصص قبل النوم.

حتى صوتها صار مبحوحًا كأن الكلام يؤلمها.

في الليل، جلست على الأرض بجانب السرير، وبدأت تكتب رسالة على ورقة صغيرة:إلى نفسي القديمة كنتِ قوية، كنتِ بتحبي الحياة .بس سامر سرق منك حتى ضوءك .الناس صدّقوا الأكاذيب، وإياد اختفى، واللي كنتِ تظنيهم سندك، سابوك.

طوت الورقة ووضعتها داخل درج صغير بجانب سريرها، ثم أغلقت الضوء.
لكن النوم لم يأتِ.
كانت تسمع صوت الأخبار في عقلها، وجه سامر يضحك في الظلام، وصدى ضحكة إياد حين قال لها ذات مرة:مهما حصل، أنا جمبك.
لكن أين هو الآن؟
مرّت الأيام، وليلى تتآكل من الداخل.
لم تعد تأكل إلا القليل.
لم تعد تخرج من البيت.
المكتبة أرسلت لها رسالة تفيد بإنهاء عملها لأسباب تنظيمية، لكنها كانت تعرف السبب الحقيقي.
ذات مساء، نزلت إلى الشارع بلا هدف، تمشي بين الناس الذين لا يعرفونها هنا.
شعرت بدموعها تنهمر بلا توقف.
وقفت أمام محل صغير فيه مرآة على الواجهة، ونظرت إلى نفسها طويلًا.
لم تتعرف على المرأة التي تراها.
كانت تلك مجرد ظلٍ لامرأة كانت يومًا تُحِب وتُحَب، تضحك وتقاوم، أما الآن فهي شبح يمشي باسمٍ لم يعد يعني لها شيئًا.

وفي تلك اللحظة، رن هاتفها.
رقم مجهول.
أجابت دون وعي، فجاءها صوت خافت، مألوف رغم الغياب الطويل:ليلى أنا إياد.
تجمدت في مكانها، اختنق صوتها بين البكاء والدهشة.
إياد؟ !بعد كل ده؟ أنت فين كنت؟
كنت بدور عليك .سامر مش هيسكت، ولازم تعرفي الحقيقة كلها قبل فوات الأوان.
لكنها لم ترد.
كانت تبكي فقط، بصمتٍ يوجع القلب.
وصوت إياد على الطرف الآخر يقول:ارجعي لي يا ليلى قبل ما كل حاجة تضيع.
كانت ليلى تسير في الشارع كما لو أنها تسير داخل حلمٍ رمادي لا صوت فيه.
الهواء بارد، والناس يتحركون حولها دون أن تراهم حقًا.
كل ما في ذهنها هو تلك المكالمة الأخيرة — صوته، نبرته، الكلمة التي لم تستطع قولها“ :اشتقت.”
لكنها لم تقلها.
أغلقت الهاتف ووضعت رأسها على الوسادة، وقررت ألا ترد على أحد بعد اليوم.
أصبحت أيامها نسخًا متكررة من الألم.

صمت، دموع، نظرات زائغة.
حتى سامي، الصغير الذي كان يملأ البيت ضحكًا، صار يراقبها بصمتٍ موجع.
في كل مساء، يجلس بجانبها على الأريكة، يحاول أن يُضحكها:ماما شوفي، رسمت لنا بيت فيه شجرة!
لكنها لا ترد.
تبتسم بخفة شاحبة، ثم تغيب بعينيها في فراغ بعيد.
وفي الليل، يسمع بكاءها وهي تظن أنه نائم.
ذات صباحٍ باكر، كانت السماء تمطر خفيفًا.
ارتدت ليلى معطفها القديم وقررت الذهاب إلى العمل، رغم أنها لم تعد قادرة على التركيز أو التحمّل.
ودعت سامي بقبلة على رأسه، فابتسم لها ابتسامة صغيرة وقال:ماما لما ترجعي، نلعب سوا، ماشي؟
أومأت بصمت، ومضت بخطواتٍ متعبة نحو الشارع.
الطريق كان مزدحمًا كعادته، وصوت السيارات يملأ الأجواء.
كانت تمشي وهي غارقة في أفكارها لا ترى سوى صورة سامي وهو يبتسم، وصوت إياد يتردد في عقلها.
خطوة واحدة فقط ثم صرخة.
صوت فرامل حاد، وصدى ارتطامٍ قوي مزّق السكون.
توقفت الحياة للحظة.

تجمّع الناس حول الجسد الملقى على الإسفلت، المطر يغسل الدم الذي امتزج بالماء.

امرأة تصرخ:يا ساتر !حد يتصل بالإسعاف!

ورجل يركض نحو الطفل الصغير الذي هرع من نهاية الشارع، وجهه مصفرّ، وصوته يرتجف:ماماااا!

ركض سامي بكل ما يملك من قوة، حاول أن يقترب، لكن أحدهم أمسكه قبل أن يرى المشهد كاملًا.

كان يبكي، يضرب بيديه الصغيرتين في الهواء وهو يصرخ:سيبوها !دي ماما !ماما!

حملها المسعفون بسرعة إلى سيارة الإسعاف، وجهاز الإنذار يشقّ السماء.

كان سامي يركض خلف السيارة حافي القدمين، عينيه لا تفارق جسد والدته الممدد.

صوته الصغير المبحوح يملأ الشارع:ماما قومي وعدتيني نلعب!

في المستشفى، كانت الأجهزة تومض بجانبها، وجهها شاحب، أنفاسها متقطعة.

الأطباء يتحركون بسرعة، وأحدهم يقول بقلق:النزيف داخلي الحالة حرجة جدًا.

بينما في غرفة الانتظار، جلس سامي على الكرسي، ملفوفًا ببطانية، عيونه شاخصة نحو الباب المغلق.

كل من حوله يتحرك، يتكلم، يركض إلا هو.
كل ما في رأسه صورة واحدة :أمه وهي لا ترد عليه.
كان الليل ساكنًا حين رفع إياد الهاتف ليتصل بها.
لا يعلم لماذا شعر فجأة بأن شيئًا ما سيئًا يحدث كأن قلبه ينتفض من دون سبب.
اتصل مرة مرتين ثلاثًا.
ولا رد.
جلس على المقعد، يحدّق في الشاشة المضيئة باسمها، يتنفس بسرعة، ثم قال لنفسه:
مش ممكن تكون لسه زعلانه لازم ترد.
ضغط على زر الاتصال مرة أخرى،وفي الجهة الأخرى، جاءه صوت صغير مبحوح باكٍ.
هلو؟
تجمد إياد للحظة، ثم قال بسرعة:مين؟ مين بيتكلم؟
رد الصوت الصغير وهو ينتحب:أنا سامي ماما مش بترد ماما بتـ بتموت!
تجمد الزمن في أذنه.
الهواء اختفى، وصدره انكمش وكأن أحدًا طعنه.
إيه؟ !بتقول إيه يا حبيبي؟ ماما فين؟ إنت فين؟
لكن الطفل كان يبكي بشدة:مش عارف الناس قالوا مستشفى وفيه دم كتير، وماما مش بتتكلم!

وقف إياد من مكانه بغريزةٍ عنيفة، أمسك المفاتيح بيدٍ ترتجف، وقال بصوتٍ حاد:اسمعني يا سامي، لازم تدي التليفون لأي حد كبير حواليك، حد من الممرضات، بسرعة!

سمع همهمات وصوت خطوات على الطرف الآخر، ثم صوت امرأة:ألو؟ مَن يتحدث؟

قال إياد بانفعال:أنا قريب المصابة، فين المستشفى؟

أجابته بسرعة بعد أن سألَت الممرضة أحد الأطباء:مستشفى النور المركزي، قسم الطوارئ.

رد بإصرار:خليها في العناية لحد ما أوصل أنا جاي حالًا.

ركب سيارته وانطلق بسرعة جنونية،كل لحظة تمر كانت كأنها خنجر في صدره.

طريق السفر بدا أطول من أي وقت مضى، والذكريات تتقافز في رأسه :ضحكتها، خوفها، كلماتها الأخيرة التي أغلقَت بعدها الهاتف.

قال بين نفسه بصوتٍ متهدج:كنتِ حاسة بحاجة ليه ما قلتيليش؟ ليه بعدتِ؟

وفي منتصف الطريق، أجرى مكالمة ثانية، هذه المرة إلى الرجل الوحيد الذي يجب أن يعرف :صالح اليوسف.

باشا ليلى في المستشفى.

جاءه الصوت من الطرف الآخر، ثابتًا في البداية، ثم

متصدعًا فجأة:إيه اللي بتقوله يا إياد؟!
اتصدمت بعربية، والنزيف داخلي، حالة حرجة جدًا .أنا في طريقي دلوقتي.
ساد صمت طويل على الخط، حتى قال صالح بصوتٍ مبحوح:ابني هو السبب سامر هو السبب .أنا اللي سبت الأمور توصل لكده.
ثم أغلق الخط دون كلمة أخرى، ونهض من مكانه، وجهه شاحب والدموع في عينيه، وهو يأمر سائقه:جهز العربية فورًا بنتي بين الحياة والموت.
في المستشفى، كان سامي جالسًا على الكرسي الصغير أمام باب العناية المركزة،
يداه الصغيرتان مضمومتان على صدره، ودموعه لا تتوقف.
كل ما يردده بصوتٍ خافت:ماما ما تموتيش أنا كنت بلعب، ماما سامحيني.
وحين وصلت سيارة سوداء مسرعة أمام البوابة، ترجل منها رجلان.
إياد أولًا، وجهه شاحب، خطواته سريعة، ثم تبعه صالح اليوسف بخطواتٍ متوترة وعينين دامعتين.
ركع إياد أمام الطفل وسأله بهدوء رغم ارتجاف صوته:إنت تعرفني يا سامي؟ أنا إياد، صاحب ماما هي

جوه، بس هتقوم، ما تخافش، ماشي؟
رفع الصغير نظره إليه، وجهه مبلل بالدموع، وقال بصوتٍ مكسور:قالوا إنها نايمة بس ماما لما تنام، بتسمعني، صح؟
أجابه إياد وهو يبتسم بحزنٍ عميق، والدموع في عينيه:أكيد يا حبيبي أكيد بتسمعك.
لم يكن سامر اليوسف يعرف لماذا قاده الطريق إلى المستشفى.
ربما بدافع الفضول، أو ليرى بأم عينه نهاية من كان يعتبرها سبب فشله.
أو ربما وإن لم يعترف لنفسه بدافعٍ خفي لم يكن يعرف له اسمًا.
دخل بهدوء، مرتديًا نظارته الداكنة ومعطفه الأسود،
مشى بخطواتٍ مترددة بين الممرات البيضاء الباردة،
حتى وصل إلى قسم العناية المركزة.
كان المكان يعجّ بالهمس والقلق، وأضواء الأجهزة تومض كأنها أنفاس متقطعة للحياة نفسها.
اقترب، فرأى صالح اليوسف جالسًا في صمتٍ لم يعتده أبدًا.
رجل كان يومًا صلبًا كالجبل، الآن منحنٍ على كرسي بلا حراك، رأسه بين يديه، ملامحه منهارة.

وبجانبه طفل صغير سامي عيناه محمرتان، صوته مبحوح من كثرة البكاء،
يضم دميته الصغيرة إلى صدره وهو يهمس:ماما، قومي عشان نرجع البيت وعدتيني.
توقف سامر في مكانه.
تجمّد.
شعر أن الهواء حوله صار أثقل من أن يُستنشق.
رفع الصغير رأسه ورآه، لم يعرف من هو، لكنه نظر إليه ببراءةٍ تمزق القلب.
تلك النظرة وحدها كانت كافية لتهز كيانه كله.
شيء ما في داخله انكسر.
تذكّر نفسه صغيرًا، يوم كان يجلس أمام باب مكتب والده، ينتظر كلمة حب لم تأتِ،
يوم كان يبكي بصمتٍ لأن أمه رحلت ولم يعد هناك من يحتضنه.
كان مثل سامي تمامًا طفلًا يبحث عن صدرٍ آمن، عن حضن لا يخذله.
لكن سامر اختار طريقًا آخر طريق القوة، والانتقام، والكراهية.
والآن، وهو يرى ذلك الطفل يبكي على أمه التي تصارع الموت،

أدرك أنه لم يكن المنتقم بل الجاني.
سمع صوت الطبيب يخرج من غرفة العناية، وجهه متعب، نظراته حزينة.
اقترب منه صالح بسرعة وسأله:قولّي يا دكتور بنتي حالتها إيه؟
تنهد الطبيب وقال بصوتٍ منخفض:هي دلوقتي في غيبوبة النزيف اتوقف، لكن عندها كسور متعددة، وحالتها غير مستقرة.
هنعمل المستحيل، بس لسه بدري عشان نعرف إذا كانت هتنجو.
ساد الصمت.
حتى الأجهزة بدت وكأنها توقفت عن الأنين للحظة.
أما سامر، فوقف متيبسًا في مكانه، لا يجرؤ على التقدم ولا على المغادرة.
نظر إلى والده، فوجد في وجهه شيئًا لم يره من قبل ضعفًا حقيقيًا، مكسورًا ومليئًا بالندم.
في تلك اللحظة، لم يعد يرى خصمه القديم، بل أباه رجلًا عجوزًا فقد كل شيء.
اقترب بخطواتٍ بطيئة،لكن صالح رفع رأسه فجأة،وحين التقت عيناهما، كان في نظرة الأب ما يكفي ليحرق روح الابن.

لم يقل شيئًا فقط نظر إليه طويلاً، نظرة خالية من الغضب،لكنها محمّلة بكل الخذلان في العالم.

تراجع سامر للخلف، أحس بأن الأرض تميد تحت قدميه. خرج من المستشفى بخطواتٍ مضطربة، والدموع التي لم يعرفها من قبل تملأ عينيه.

ركب سيارته، أدار المحرك، لكنه لم يتحرك.

أغمض عينيه بقوة، وانهارت الكلمات من شفتيه همسًا مرتجفًا:أنا السبب يا رب سامحني.

كانت أصوات الأجهزة في غرفة العناية المركزة تُحدث نغمةً ثابتة، كأنها تحاول أن تُبقي الحياة معلّقة بخيطٍ رفيع.

جلس صالح اليوسف بجوار سرير ابنته، يحدّق في وجهها الشاحب بأنفاسٍ متقطعة.

لم يرها بهذا الضعف من قبل.

ابنته التي كانت تتحدى العالم بابتسامتها، صارت الآن ساكنة كأنها غادرت الحياة وهي ما زالت على قيدها.

مدّ يده المرتجفة، ووضعها على كفها الباردة:ليلى بنتي، أنا آسف.

يمكن قصّرت معاكي، ويمكن ظلمتك لما صدّقت غيرك...

بس والله ما كنتش عارف إن الغياب بيوجع كده.

قومي يا ليلى، عشان سامي محتاجك، وأنا كمان

محتاجك.
دمعت عيناه وهو يضم كفها إلى جبينه،وصوت الأجهزة وحده كان يملأ الصمت كأنها تردّ على بكائه بنبضٍ متعب.
خارج الغرفة، كان إياد يقف مذهولًا.
منذ أن تلقّى اتصال الطفل لم يتوقف قلبه عن الارتجاف.
لم يكن مستعدًا لهذا المشهد، ولم يتخيل أن يراها بين الأجهزة والضمادات.
دخل بخطواتٍ بطيئة، وصوته يتهدّج وهو يقول:ليلى سامعاني؟ أنا جيت قومي بقى، مش هسيبك تروحي مني تاني.
اقترب منها، لامس شعرها برفق، وشعر أن العالم كله ينهار في لحظة واحدة.
كان الندم يلتهمه بصمت،كيف تركها وحدها؟
كيف سمح للظنون أن تفصل بينهما؟
لكنها لم تُجِب.
لم تفتح عينيها.
كانت ملامحها ساكنة، كأنها في عالمٍ آخر لا يسمع الندم ولا الدموع.
وفي الممر، جلس سامر على الكرسي، شارداً، لا يرى سوى وجه الطفل الصغير الذي يجلس مقابله.

كان سامي يضم دميته، عيونه منتفخة من البكاء، ينظر إلى الأرض ولا يصدر منه صوت.

اقترب منه سامر ببطء، جلس على ركبتيه أمامه وقال بصوتٍ منخفض:اسمك إيه يا بطل؟

ردّ الطفل بصوتٍ مبحوح:سامي.

ابتسم سامر رغم دموعه، وكأن القدر يسخر منه:سامي؟ زيي وأنا صغير كنت بلعب بدميتي كده.

سكت لحظة، ثم تابع بصوتٍ يرتجف:عارف مامتك هتقوم إن شاء الله.

بس لازم تبقى قوي، عشان هي بتحبك قوي، ومش عايزة تشوفك بتعيط.

نظر إليه الطفل بدموعٍ لامعة وقال:بس أنا خايف ماما نايمة ومش بترد.

لم يحتمل سامر أكثر.

مدّ ذراعيه واحتضنه بقوة،ضمّه إلى صدره كما لو كان يحاول أن يُصلح في تلك اللحظة كل ما انكسر بداخله.

وانفجر في بكاءٍ لم يعرفه من قبل بكاء الرجل الذي ظن أنه فوق الضعف،لكنّ طفلًا صغيرًا ذكّره بأنه لا يزال إنسانًا.

جلس الاثنان صامتين، والدموع تبلل كتف الصغير.

وفي الزاوية البعيدة، وقف صالح يراقبهما من خلف

الزجاج،رأى ابنه الذي طالما اتهمه بالقسوة،يبكي بين ذراعي حفيده دون أن يعلم أحدهما الآخر من يكون.
همس بصوتٍ متهدّج وهو يمسح دموعه:يمكن دي البداية يا سامر يمكن ربنا بيوريك الطريق اللي لازم تمشيه من جديد.
مرّت ثلاثة أسابيع، والمستشفى لم تعرف للسكينة طريقًا.
كل يوم، يدخل الطبيب المناوب إلى غرفة ليلى، يفحص العلامات الحيوية، ثم يخرج بنفس النظرة المكررة:حالِتها مستقرة لكنها ما زالت لا تستجيب.
كانت الكلمة الأخيرة تطعن قلوبهم جميعًا في الصميم.
فكلمة مستقرة صارت مثل سكين باردة، لا تقتل لكنها تمنع الحياة من المضي.
في الصباح، كان صالح اليوسف يجلس أمام النافذة الزجاجية لغرفة ابنته.
مظهره تغيّر شعره اشتعل شيبًا، ووجهه فقد تلك الصلابة التي عُرف بها.
لم يعد رجل الأعمال الجبّار، بل أب مكسور يحرس أنفاس ابنته.
كلما نظر إليها تذكّر آخر حديث بينهما، حين قالت له بصوتٍ متعب:بابا أنا مش عايزة غير تكون راضي عني.
فلم يردّ.

وقتها كان الكبرياء حاجزًا، أما الآن فقد صار عبئًا يقتله كل يوم.

أما إياد فكان يعيش في صراعٍ لا يهدأ.

يأتي يوميًا، يترك وردة بيضاء على طاولتها، يجلس بجانبها يحدثها كأنها تسمع:ليلى، النهارده الجو شبه يوم ما شفتك أول مرة ...فاكرة؟

كنتِ بتزعقي في واحد خبط عربيتك ورفضتي تمشي غير لما يعتذر.

كنتِ قوية، دايمًا قوية بس المرة دي أنا اللي هشيل الوجع عنك.

قومي، علشان أنا مش عارف أعيش من غيرك.

ثم يضع يده على يدها ويصمت،وكأنّه يحاول أن يُقنع النبض بالعودة من خلال قلبه هو.

في الخارج، كانت نادين تزور الطفل سامي في كل يوم تقريبًا.

تحاول أن تشغله عن الحزن، لكن عيونه الواسعة لم تعد كما كانت.

يجلس بجانب باب غرفة أمه، يمسك بدميته الصغيرة،
وحين تقترب نادين وتسأله:وحشتك ماما؟

يهز رأسه ويبكي بصوتٍ خافت:ماما مش بتسمعني، كل يوم أناديها ومبتردش.

كان المشهد يقتل سامر في صمت.
منذ ذلك اليوم لم يغادر المستشفى.
يقضي الليالي في الممر، لا يأكل إلا القليل، ولا ينام إلا على الكراسي الباردة.
يحاول أن يفعل أي شيء ليشعر أنه يُكفّر عن ذنبه،
فيساعد الممرضين، يشتري الطعام للعاملين، أو يسهر مع الطفل ليطمئنه.
لكن الليل، حين يسكن كل شيء،يجد نفسه جالسًا أمام باب الغرفة، يهمس بمرارة:أنا السبب يا ليلى كنت عايز أدمرك، بس دمرت نفسي معاك.
كل كلمة قلتها كانت طعنة في قلبي أنا.
وذات ليلة،دخل الطبيب ليطمئن على الأجهزة، وبعد دقائق من الفحص قال بهدوءٍ وهو ينظر إلى صالح:بدأت مؤشرات الدماغ تتحسّن، في أمل إنها تفتح عينيها قريب.
سقطت الكلمة على الجميع كالماء على الجمر.
الكل بكى بصمت نادين، إياد، صالح، وحتى سامر الذي أغلق وجهه بيديه وهو يتمتم:يارب، لو هتسامحني في حاجة خَلّيها تقوم.
في تلك الليلة، جلس إياد بجانبها كالعادة، وأمسك بيدها وقال:لو سامعاني، غمضي عينك مرتين.

لكنها لم تتحرك.

اقترب أكثر، وضع جبهته على يدها ودموعه تنهمر بصمت.

وفي الممر،كان سامر يراقب المشهد من بعيد، وشعر لأول مرة أن الغفران مؤلم مثل الذنب نفسه.

الليل كان ساكنًا في غرفة العناية المركزة،

ضوء خافت ينساب من خلف الستائر، وصوت الأجهزة لا يزال يطرق الصمت برتابةٍ مملة.

ليلى كانت هناك بين الوعي واللاوعي،تحاول أن تلتقط خيطًا واحدًا من بين آلاف الأصوات التي تدور حولها.

صوت بعيد ثم وجه صغير يبكي ويقول:ماما، قومي بقى ماما متسبينيش.

دمعة ساخنة سقطت على يدها،ومن قلب السكون،تحركت أصابعها لأول مرة منذ أسابيع.

كانت نادين تجلس بجوار السرير،وحين لمحت تلك الحركة، شهقت بصوتٍ خافت وصرخت:دكتور !دكتور !بتحركت إيدها!

ركض الطبيب والممرضات،وبينما الأجهزة تُصدر أصواتًا متسارعة،فتحت ليلى عينيها ببطءٍ شديد، كأنها تخشى الضوء أو تخاف من الواقع.

الضباب تلاشى ببطء،وأول وجه رأته كان إياد، عيناه

غارقتان في الدموع، وصوته متهدّج وهو يقول:ليلى سامعاني؟ دي أنا، إياد.

لم تستطع الرد،لكن دموعها انهمرت بصمت، وارتجفت شفتاها كأنها تهمّ بكلمة لم تكتمل.

دخل صالح اليوسف الغرفة بخطواتٍ مترددة،وحين رآها تفتح عينيها، وضع يده على فمه يكتم شهقة البكاء،اقترب ببطءٍ وقال بصوتٍ يختنق بالدموع:الحمد لله الحمد لله يا بنتي، رجعتي لي.

رفعت يدها المرتجفة بصعوبة، حاولت أن تلمس وجهه، فأمسك بها بقوة وقال:ما تخافيش كل حاجة هتبقى بخير، أنا مش هسيبك تاني.

وفي زاوية الغرفة،كان سامي يركض نحوها، صراخ فرحٍ يسبق خطواته الصغيرة:ماما !ماما فاقت!

احتضنها بكل قوته،فضمّته بذراعٍ مرتجفة، دموعها تختلط بشعره وهي تهمس بصوتٍ مبحوح:حبيبي يا سامي كنت فين؟ ماما هنا.

كان المشهد أبسط من كل الكلمات وأعظم من أي وصف. الطفل في حضن أمه، والأب يبكي من الفرح، والرجل الذي أحبّها يصلي في صمتٍ أن تكون البداية الجديدة لها.

في الخارج،وقف سامر ينظر من خلف الزجاج،رآها

تبتسم لأول مرة منذ زمن، والدموع انهمرت على وجهه دون أن يقوى على كبحها.

تمتم بصوتٍ واهن:الحمد لله إنك بخير يا ليلى يمكن ربنا لسه سايبلي فرصة أصلح اللي عملته.

ثم ابتعد ببطء،وعيناه لا تزال معلقتين بوجهها،كأنه يخاف أن تغيب من جديد إن أغلق عينيه لحظة.

مرّت أيام قليلة على استيقاظ ليلى،لكن جسدها ما زال هشًّا، والوجع يسكنها كضيفٍ لا يريد الرحيل.

الأطباء قالوا إن التعافي الجسدي يحتاج وقتًا،أما التعافي النفسي فالله وحده يعلم كم سيستغرق.

كانت تجلس قرب النافذة،تراقب المطر وهو ينساب على الزجاج كأن السماء تبكي معها.

كلمات الممرضات وهمس الناس بالخارج عن الفضيحة والإشاعات ما زالت تطرق أذنها رغم الصمت.

لم تكن تصدّق أن أحدًا استطاع أن يُلوّث سمعتها بهذا الشكل،

ولا تدري كيف تحوّلت من أم مكافحة إلى حديث الناس.

دخل إياد بخطواتٍ مترددة، يحمل باقة زهور بيضاء.

اقترب منها وقال بلطف:إزايك النهارده؟ شكلك أحسن.

أومأت بهدوء دون أن تنظر إليه،قالت بصوتٍ خافت متعب:كلهم فاكرين إني غلطت، محدش سمعني ولا

صدّقني.
اقترب منها أكثر، جلس أمامها وقال بصدق:أنا صدقتك يا ليلى، حتى لو اتأخرت، بس صدقتك.
واللي عمل فيك كده هيتحاسب.
رفعت عينيها إليه، فيها مزيج من ألم ودهشة:اللي عمل كده كان منّنا، مش غريب عنّا.
سكت إياد،يعرف تمامًا من تقصد، لكن الصدمة كانت أثقل من الكلمات.
بعد الظهر،دخل صالح اليوسف الغرفة ومعه شخص ظلّ واقفًا عند الباب دون أن يقترب.
رفعت ليلى نظرها، فتجمدت أنفاسها.
سامر لم تتوقع أن تراه بهذه السرعة.
وجهه شاحب، عيناه غائرتان، وكأنه يحمل على كتفيه جبالًا من الذنوب.
قال صالح بهدوءٍ حازم:ليلى، سامر عايز يتكلم معاكي لو مش قادرة دلوقتي، نخرج.
نظرت ليلى إلى الأرض قليلًا، ثم قالت بصوتٍ مبحوح:خليه يدخل.
اقترب سامر بخطواتٍ بطيئة،وقف أمامها صامتًا، لا يعرف كيف يبدأ.
كل ما حوله بدا صغيرًا أمام وجعها.

أخيرًا قال بصوتٍ مكسور:أنا غلطت، وكل كلمة طلعت مني كانت سُمّ كنت غِيران، كنت حاقد من غير سبب.
صدقت كل حاجة سيئة اتقالت عنك، وأنا اللي خلّيتها تكبر بس لما شوفتك نايمة بين الحياة والموت فهمت إن أنا اللي كنت ميت.
رفعت ليلى عينيها إليه، وفي نظرتها خليط من ألمٍ ودموعٍ وغضبٍ مكتوم:كنت أخويا يا سامر، أخويا عارف يعني إيه حد يطعن من دمه؟
أنت خدت مني كرامتي، وخلّيت ابني يسمع كلام يوجعه،دمرتني قدام نفسي.
انهار سامر على ركبتيه أمامها، دموعه تنهمر بلا توقف:سامحيني حتى لو عمري ما يكفّي، بس سامحيني.
سكتت ليلى طويلًا، ثم قالت بصوتٍ متهدّج:مش قادرة دلوقتي، يمكن يوم أقدر بس مش النهارده.
خرج سامر من الغرفة مكسورًا،وفي الممر كان صالح واقفًا، عيناه ممتلئتان بخيبة ووجع الأب الذي يرى أبناءه يتقاتلون.
اقترب منه بهدوء وقال:سامر، كل إنسان ليه نقطة يرجع منها يمكن دي فرصتك الأخيرة،خليك راجل يستحق اسمه.

أومأ سامر دون أن ينطق،وغادر المستشفى في صمت،بينما في الداخل، جلست ليلى تضم ابنها سامي إلى صدرها وتهمس له:مش هسيبك تاني يا حبيبي، مهما حصل.

وفي عينيها بريق جديد ليس بريق القوة القديمة، بل بريق امرأة جُرّحت بما يكفي لتعرف أن النهوض هو أصعب أشكال الشجاعة.

خرجت ليلى من المستشفى بعد شهرٍ من العلاج،تمشي بخطواتٍ مترددة، لكنها ثابتة،وفي يدها الصغيرة كانت يد سامي،تتشبث بها كأنها تمسك بالحياة نفسها.

الشمس في ذلك الصباح بدت مختلفة دافئة أكثر، كأنها تعتذر عن الغياب الطويل.

تنفست الهواء بعمق،وشعرت أن كل نسمة تمرّ على وجهها تقول:انتهى الألم أو على الأقل، بدأ يتراجع.

انتقلت ليلى إلى مدينةٍ صغيرة على الساحل،
بعيدة عن ضجيج العاصمة وأحاديث الناس.

استأجرت شقة بسيطة تطل على البحر،
وبدأت تعمل في مدرسة أهلية لتعليم الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.

كانت تبتسم كل صباح وهي تسمع ضحكاتهم،
تلمس فيهم شيئًا يذكّرها بالمعنى الحقيقي للحياة.

لكن في كل مرة ترى طفلًا يركض نحو أمه،كانت تشعر بوخزة في قلبها ذكرى الألم لا تموت بسهولة.

في المساء، بعد أن ينام سامي،تجلس أمام البحر، تدعو الله أن يمنحها السكينة:يارب، قوّيني على نفسي قبل أي حد،علّمني إزاي أعيش من غير خوف،واغفر لكل اللي أذاني، حتى لو قلبي مش قادر ينسى.

كانت كلماتها تخرج ممزوجة بالدموع،لكنها لم تعد دموع ضعف،بل دموع شفاءٍ متأخر، ووعيٍ مؤلم بأن الحياة تمضي مهما حدث.

وفي المدينة نفسها، على بُعد أميال قليلة،كان سامر يعيش حربًا داخلية لا تهدأ.

منذ رحيلها وهو يحاول أن يُصلح ما يمكن إصلاحه.

أوقف بعض العقود الفاسدة التي كانت تُدار باسم والده، وتبرع بجزءٍ كبير من أمواله لمؤسسة رعاية الأطفال الأيتام كأنه يحاول أن يغسل روحه بما تبقى من الخير فيه.

لكنه لم يخبر أحدًا،ولا حتى والده،فكل ما يفعله لا يراه كتكفيرٍ كافٍ.

في الليل، حين ينظر إلى مرآته، يرى وجهه كغريب، يهمس لنفسه:يمكن ربنا يسامحني لما تسامحني هي بس إمتى؟

وفي أحد الأيام،كانت ليلى تشرح درسًا لطفل صغير في المدرسة،
حين رأت من بعيد رجلاً يقف عند البوابة، ينظر إليها بصمت.
لم تتبيّن ملامحه، لكن قلبها خفق بشدة.
حين خرجت، كان المكان خاليًا،
ورأت على المقعد المجاور لبوابة المدرسة باقة وردٍ بيضاء ورسالة صغيرة:ما كنتش أستاهل غفرانك بس بدعي لك كل يوم تكوني بخير.
وقّعها :س .اليوسف.
وقفت ليلى صامتة، تحدّق في الوردة بين يديها.
لم تعد تشعر بالغضب كما في السابق،بل بشيءٍ غريب يشبه الحزن الممزوج بالرحمة.
همست لنفسها:يمكن كلنا محتاجين فرصة نرجع منها حتى اللي أذانا.
ثم وضعت الوردة في كوب ماء على مكتبها،
ابتسمت بخفة، وبدأت تصحح أوراق تلاميذها.
كان في ملامحها نور جديد،
نضجٌ وهدوء امرأة لم تعد تبحث عن الانتقام،
بل عن معنى السلام بعد العاصفة.
كانت ليلى تسير في حديقة المستشفى، تتنفس هواء

المساء الهادئ،
تحاول أن تُقنع نفسها بأن كل شيء عاد لطبيعته.
سامي يلهو بالقرب منها، ضحكته الصغيرة تُعيد للحياة موسيقاها القديمة.
لكنها فجأة سمعت صوتًا خلفها،صوتًا تعرفه جيدًا،كأنه خرج من أعماق الذاكرة ليلى تجمدت مكانها.
تسارعت أنفاسها، والتفتت ببطء.
كان سامر يقف على بُعد خطوات،وجهه شاحب لكن عينيه تمتلئان برجاءٍ صادق،كأن الزمن توقف عند لحظة خطئه الأول.
لم يقل شيئًا آخر.
اقترب منها بخطواتٍ مرتجفة،وعيناه تمتلئان بالدموع.
قال بصوتٍ مبحوح:أنا آسف آسف على كل لحظة وجعتك فيها.
ما كنتش بني آدم وقتها، بس ربنا عاقبني بندمي.
لم تردّ في البداية،لكن عينيها امتلأتا بالدموع التي حاولت حبسها طويلًا.
تقدّم خطوة، فابتعدت قليلًا ثم توقفت.
سكت كل شيء حولها، حتى صوت البحر البعيد.
وفجأة ألقى سامي بنفسه في أحضان سامر وهو يصرخ:خالو سامر!

ارتبك الاثنان.
نظر سامر إلى ليلى بخوف، كأنه يطلب الإذن أن يلمس هذا الطفل.
فلم تقل شيئًا، فقط أومأت بخفة.
جلس على ركبتيه وضم الصغير إلى صدره،ثم رفع رأسه نحوها كانت الدموع تنهمر من عينيه بلا توقف.
اقتربت بخطوات بطيئة،ترددت لحظة، ثم مدّت ذراعيها نحوه.
ضمّته بقوة كأنها تطرد كل الألم من قلبها في تلك اللحظة.
شعر سامر وكأنه عاد للحياة من جديد،فزاد من عناقه، حتى كادت أنفاسهما تختلط بين البكاء والراحة.
همس وهو يدفن وجهه في كتفها:سامحيني يا ليلى مش عايز غير كده.
فردّت بصوتٍ مرتجف:مش مهم اللي فات ..أهم إنك اتغيّرت فعلاً.
وفي تلك اللحظة،ظهر إياد على بُعد أمتار،كان قد جاء لزيارتها بعد أن علم بعودتها.
تجمّد مكانه،وعيناه تتابعان المشهد سامر يحتضنها بكل شوق، وهي تبكي في حضنه.
شعر إياد بوخزة حادة في صدره،غيرة مفاجئة اجتاحت

قلبه رغم أنه وعد نفسه أن يكون عقلانيًا.
لكن لا، ما رآه أمامه لم يكن مجرد مشهد عاطفي
كان لقاء روحين تاهتا ثم وجدتا طريقهما من جديد.
وقف صامتًا للحظات،ثم ابتسم ابتسامة خفيفة حزينة،
استدار بهدوء، وغادر المكان دون أن تراه.
مرت أسابيع قليلة منذ استيقاظ ليلى،وشيئًا فشيئًا بدأت
تستعيد لون الحياة في عينيها.
لم يكن الأمر سهلًا، لكنها هذه المرة لم تكن وحدها.
كان سامر لا يفارقها تقريبًا يرافقها إلى جلسات
العلاج،يحمل عنها الحقائب،ويحاول إضحاك سامي الذي
تعلّق به بسرعة.
أصبح كأنه يحاول تعويض كل ما فعله لا بالكلمات، بل
بالفعل.
وفي إحدى الأمسيات، جلست ليلى أمام البحر بصمت،
وإلى جانبها جلس سامر وهو يرمق الأفق البعيد.
قال بخفوت:تعرفي يا ليلى كنت فاكر إني لو خسرتك مش
هحس بحاجة.
بس لما شفتك هناك نايمة بين الحياة والموت، فهمت إني
كنت أعمى.
إنتي مش بس أختي إنتي نصّي الطيب اللي ضاع.
نظرت إليه طويلاً،ثم ابتسمت بدمعةٍ حارة وقالت:كفاية

إنك فهمت دا بالنسبالي غفران.
مدّ يده ووضعها على يدها لأول مرة بلا تردد،وشعرت هي أن تلك اليد التي آذتها من قبل،أصبحت اليوم اليد التي تسندها.
من بعيد، كان إياد يراقبهما من سيارته.
لم يقترب، لكنه اكتفى بتلك النظرة الطويلة التي جمع فيها كل شيء الحب، والغيرة، والاعتراف بالقدر.
عاد إلى بيته في تلك الليلة وهو يحمل قرارًا حاسمًا.
وقف أمام المرآة، نظر إلى نفسه طويلاً،وقال بصوتٍ خافت كأنه يخاطب قلبه:كفاية وجع المرة دي مش هسيبها تضيع.
في الصباح التالي،توجه إلى منزل صالح اليوسف بنفس الهدوء الذي يسبق العاصفة.
رحّب به صالح بترحابٍ خفي، فهو يعلم ما بداخله.
جلس إياد بثقةٍ وملامح جادة، ثم قال دون مقدمات:أنا جيت أطلب إيد ليلى رسميًا،عارف إنها لسه خارجة من تعب ومشاكل،
بس يمكن وجودي جنبها يكون سبب في استقرارها وفي سلامها.
توقف الزمن للحظة.
نظر صالح إليه طويلاً، ثم ابتسم ابتسامة هادئة وقال:لو

كنت جيت من شهور، كنت رفضت.
لكن دلوقتي يمكن تكون اللي محتاجاه فعلاً.
خرج إياد من المنزل وقلبه يخفق بعنف.
لم يكن يعرف هل هي بداية حب جديد أم معركة جديدة مع الماضي.
وفي تلك الليلة، بينما كانت ليلى تجلس مع سامي في غرفته،تلقت اتصالًا من رقمٍ مألوف.
ترددت، ثم أجابت:ألو؟
فجاءها صوت إياد، دافئًا وواثقًا:ليلى محتاج أكلمك في موضوع مهم،بس المرة دي وجهاً لوجه.
رفعت عينيها نحو النافذة،والقمر يعكس نوره على وجهها الشاحب بابتسامة صغيرة.
شعرت أن القدر لم ينتهِ بعد،وأن فصول قصتها ما زالت تُكتب لكن هذه المرة، بخطٍ أكثر هدوءًا وثباتًا.
في صباحٍ هادئ، جلست ليلى في شرفة منزلها الصغيرة، تحتسي قهوتها بصمت بينما النسيم يحرك خصلات شعرها.
منذ مكالمة إياد بالأمس، لم يهدأ قلبها.
كان صوته يحمل صدقًا لم تشعر به منذ زمن،لكن الخوف ما زال يسكن داخلها خوف من أن تكون السعادة مجرد فخّ جديد من القدر.

طرق سامر الباب بخفة، ثم دخل مبتسمًا وقال:صباح الخير يا أختي الجميلة، إيه؟ وشك متغيّر كده ليه؟
حاولت ليلى الابتسام،ولا حاجة بس بفكر.
جلس أمامها، ثم التقط فنجان القهوة من يدها وقال بمشاكسه أخوية:بتفكّري في مين؟ في إياد مثلاً؟
رفعت عينيها نحوه بدهشة، وصمتت.
لكن نظراتها كانت كافية لتكشف كل شيء.
سكت سامر للحظة،ثم ارتسمت على وجهه نظرة غريبة، مزيج من الحيرة والغيرة والخوف،
وقال بصوتٍ منخفض:هو قالك حاجة؟
اتصل بيا، وقال إنه عايز يتكلم في موضوع مهم.
شعر سامر بشيء يشتعل داخله.
وقف من مكانه فجأة، وأخذ يتنفس بعمق كأنه يحاول كبح نفسه.
موضوع مهم؟!
ماشي يا ليلى واضح إنه قرر ياخد خطوة!
نظرت إليه بخوف:سامر، ما تبقاش متسرّع، إياد إنسان محترم وأنا.
قاطعها بعصبية مكتومة:أنا مش ضدك، بس مش قادر أصدق إنك بعد كل اللي حصل هتفتحي باب جديد كده ببساطة.

اقترب منها وقال بنبرة أخٍ خائف أكثر من غاضب:اللي زي إياد ما بيتعلقش بسهولةً، ولو دخل حياتك المرة دي، مش هيسيبك تاني.

بس هل إنتي فعلاً مستعدة؟

لم تستطع الرد.

عيناها امتلأتا بالدموع،وقالت بصوتٍ متحشرج:أنا تعبت يا سامر مش عايزة غير حياة هادية، ليا ولسامي.

مدّ يده وربت على كتفها:أنا معاكِ يا ليلى، بس خدي بالك الحب ساعات بييجي في وقت غلط، وبيكلفنا غالي.

وفي تلك اللحظة، رنّ هاتف سامر.

نظر إلى الشاشة، فتبدّل وجهه تمامًا.

كان إياد هو المتصل.

تردد سامر لوهلة، ثم ردّ بنبرةٍ هادئة تخفي عاصفة:أهلاً يا إياد.

صباح الخير، حبيت أبلغك قبل أي خطوة أنا هاجي النهارده أطلب إيد ليلى رسمي من والدها.

سكت سامر للحظات، وكأن الدم تجمّد في عروقه،

ثم قال بخفوتٍ كاذب الهدوء:تمام هنكون مستنيينك.

أغلق الهاتف، ووضعه على الطاولة ببطء،ثم خرج من الغرفة دون أن ينظر إلى ليلى،وعيناه تلمعان ببريقٍ

غامض في المساء،كان البيت هادئًا على غير العادة،ليلى ترتدي فستانًا بسيطًا،وسامر يجلس في صمتٍ ثقيل بجوار والدهم.

وحين دخل إياد بخطواتٍ ثابتة،تقاطعت نظراته مع سامر نظرة لم تحمل سوى سؤالٍ واحدٍ لم يُنطق بعد:هل ستتركها لي؟

جلس الجميع في غرفة الجلوس الكبرى، الجوّ مشحون بهدوءٍ غريب.

ليلى جلست بجوار والدها صالح اليوسف، ترتجف أصابعها من التوتر.

أما سامر فكان صامتًا، يضغط على كفه بشدة، كأنه يقاوم شيئًا يغلي في داخله.

دخل إياد بهدوئه المعتاد، لكنه بدا مختلفًا هذه المرة، في عينيه تصميم واضح، وفي صوته ثقة ناعمة قال وهو يحيّي الجميع:مساء الخير آسف لو جيت من غير سابق إنذار، بس الموضوع بالنسبة لي مهم.

أشار له صالح بالجلوس، وقال بهدوء:أهلاً يا إياد، نعرف إنك صاحب موقف قول اللي عندك.

أخذ إياد نفسًا عميقًا، ثم نظر نحو ليلى مباشرةً، نظرة لم تحتملها، فخفضت عينيها إلى الأرض.

جيت النهارده أطلب إيد الآنسة ليلى رسمي،

مش بس لأني بحبها،لكن لأنها كانت دايمًا أقوى من كل حاجة حاولت تكسرها وأنا نفسي أكون القوة اللي تسندها، مش الوجع اللي يزيدها.

ساد الصمت لثوانٍ،قبل أن يضحك سامر بخفوت، ضحكة حاول أن يُخفي بها اضطرابه.

جميل الكلام ده يا إياد، بس ليلى لسه خارجة من وجع كبير،إنت متأكد إنك جاهز تشيل الحِمل ده؟

رد إياد بنبرة واثقة:يمكن ما أقدرش أمسح الماضي، بس أقدر أكون مستقبله.

تحولت نظرات الجميع إلى ليلى،كانت ملامحها متوترة، ودموعها تلمع بخفة في عينيها.

تذكرت كل شيء :خذلان كريم، مكائد ديلا، قسوة سامر، صراعها من أجل ابنها،ثم نظرات إياد التي كانت دائمًا تتابعها بصمت، لا تطلب شيئًا سوى الاطمئنان عليها.

قال صالح اليوسف بهدوءٍ حازم:الكلمة الأخيرة ليها هي.

رفعت ليلى رأسها ببطء،ترددت، ثم قالت بصوتٍ مرتجف:أنا محتاجة وقت أفكر، الموضوع مش سهل عليّ.

أومأ إياد بابتسامةٍ متفهمة،خدي كل وقتك، أنا مش مستعجل اللي يهمني إنك تكوني مرتاحة.

أما سامر، فنهض فجأة متجهًا نحو الباب،قال بصوتٍ

بارد يخفي غليانًا داخله:أنا طالع شوية، محتاج أتنفّس.
خرج من المنزل وسار في الشارع ليلًا،يتذكّر وجه ليلى وهي تبكي ذات يوم بسببه،وصوت إياد وهو يطلبها للزواج اليوم.
توقف أمام البحر، ثم همس لنفسه:أنا اللي ضيعت كل حاجة بس مش هسمح إن الماضي يرجع يكسرها تاني، حتى لو تمن ده إني أكون بعيد.
في الوقت نفسه، جلست ليلى في غرفتها أمام المرآة،
تلمس شعرها بهدوء، وتهمس لصورتها:هل أقدر أبدأ من جديد فعلاً؟
ولا أنا لسه جوّه نفس الجرح اللي ما قفلش؟
وفي الخارج، كان إياد يقف أمام باب بيتها،ينظر إلى النور المنبعث من غرفتها،ويبتسم بخفوتٍ كمن ينتظر وعدًا لم يُكتب بعد.
كانت ليلى تمشي في حديقة صغيرة قريبة من المدرسة التي تعمل بها.
الهواء عليل، والسماء مائلة إلى الغروب،
وأصوات الأطفال تتلاشى شيئًا فشيئًا حتى لم يبقَ إلا الهدوء.
خطواتٌ مألوفة اقتربت منها ببطء،
التفتت فوجدت إياد يقف خلفها، يحمل بيده وردة

بيضاء.
ابتسم وقال بخفوتٍ يشبه الخجل:ممكن أقعد جنبك؟
هزت رأسها بالإيجاب دون أن تنطق.
جلس إلى جوارها بصمتٍ طويل، كأن الكلمات تخاف أن تُفسد اللحظة.
قال أخيرًا وهو ينظر إلى الأفق:بتعرفي يا ليلى أول مرة شفتك كنتِ منهارة،
كنتِ بتحاولي تظهري قوية،بس عينيك كانت بتكذبك.
من ساعتها وأنا وعدت نفسي لو الزمن سمحلي أكون سبب في ضحكتك، مش هفوّت الفرصة.
سكت قليلاً، ثم أضاف وهو يلتفت نحوها:بس لو مش جاهزة، أنا كمان مستعد أستنى العمر كله.
كانت الدموع تلمع في عينيها،همست بصوتٍ مرتجف:إياد أنا مش خايفة منك،أنا خايفة من نفسي من إني أتعلّق، وأخسر تاني.
الحب بالنسبالي بقى خوف مش أمان.
مدّ يده نحوها، وقال برفقٍ شديد:الحب مش وعد بالأمان يا ليلى،بس ممكن يكون فرصة نداوي بيها اللي وجعنا قبل كده.
لم تستطع الرد، لكنها اكتفت بأن وضعت يدها على يده بخجلٍ صادق.

نظرت إليه وابتسمت، فابتسم هو بدوره،
وفي تلك اللحظة، شعر الاثنان أن الكلمات لم تعد ضرورية.
لكن القدر لا يترك سكون القلب طويلًا.
في المساء، وبينما كانت ليلى تغلق باب بيتها،سمعت صوتًا مألوفًا خلفها.
التفتت بصدمة كان كريم واقفًا أمامها، شاحب الوجه، عيناه مليئتان بالندم.
ليلى مش قادرة أتخيل إنك فعلاً مشيتي من حياتي بالشكل ده.
يمكن كنت غبي، يمكن ظلمتك، بس والله ما نسيتك يوم.
نظرت إليه بجمود، وصوتها منخفض لكنه حاد:بعد كل اللي حصل يا كريم، لسه عندك الجرأة ترجع؟
أنا اللي كنت بدور عنك وقت ضعفي وإنت كنت السبب.
اقترب منها خطوة، حاول أن يمسك يدها لكنها تراجعت:أنا اتغيّرت يا ليلى، والله بقيت إنسان تاني عايز أبدأ من جديد، عشان سامي عشانك.
ردّت بصوتٍ مبحوح:التغيير الحقيقي مش بالكلام يا كريم، أنا دلوقتي مش نفس ليلى اللي كنت تعرفها.
اللي اتكسرت خلاص ما بترجعش زي الأول.

ثم أكملت بثباتٍ مؤلم:أنا سامحتك بس ما فيش رجوع.
بقي واقفًا في مكانه ينظر إليها بعجزٍ واضح،في حين أغلقت الباب خلفها، وأسندت ظهرها إليه وهي تبكي بصمتٍ طويل.
أما إياد، فكان في الخارج يتأمل تلك الشقة الصغيرة من بعيد.
رأى الضوء يُطفأ ببطء، وشعر أن شيئًا تغير تلك الليلة ربما سقط آخر جدار بينها وبين قلبه.
كانت ليلى تجلس مع ابنها سامي في الحديقة الخلفية للمنزل،تراقبه وهو يركض بين الزهور الصغيرة ويضحك بصوتٍ صافٍ،ضحكةٌ أعادت إلى قلبها الحياة بعد شهورٍ من الألم والخوف.
ولم تكن تدري أن هذا اليوم لن يكون عاديًا على الإطلاق.
في الداخل، كانت التحضيرات تسير بهدوءٍ غامض.
سامر يتحرك متوترًا أكثر من العادة،وصالح اليوسف يراجع بعض الأوراق،بينما الخدم يتهيأون لاستقبال ضيوفٍ لم تُخبر ليلى عنهم بعد.
وبينما كانت تستعد للدخول، سمعت صوت سيارة تتوقف أمام البوابة.
رفعت رأسها لتجد إياد يترجل منها مرتديًا بدلة رمادية

أنيقة،وفي يده باقة من الورد الأبيض، تمامًا كما فعل يوم لقائهما الأول في الحديقة.

تجمّدت للحظة،تبادلت معه نظرة قصيرة، لكنها حملت كل ما لم يُقال.

اقترب منها بخطواتٍ واثقة وقال بابتسامةٍ خفيفة:ممكن أدخل؟ المرة دي جاي رسمي.

تنفست بعمق، وكأن قلبها يريد أن يسبق عقلها،لكنها اكتفت بإيماءة صامتة.

دخل إياد المنزل، حيث كان صالح اليوسف ينتظره بابتسامةٍ ودودة.

صافحه بحرارة وقال:كنت متوقع اليوم ده من بدري يا إياد.

جلس الجميع، وبدأ إياد حديثه بنبرةٍ صادقة وواضحة:أنا جيت النهاردة أطلب يد ليلى رسمي،مش بس كراجل بيحبها،لكن كحد شايف فيها كل معنى للثبات،رغم كل اللي مرّت بيه، لسه واقفة ولسه عندها ضوء.

نظر إلى سامي الصغير الذي كان يقف مترددًا بجوار والدته،وانحنى إليه بابتسامة وقال:وإنت كمان، لو تسمحلي، نفسي أكون جزء من حياتك.

ركض سامي إليه بخجلٍ واحتضنه دون تردد،

فارتسمت ابتسامة على وجه الجميع، حتى سامر الذي جلس في الخلف بصمت،يحاول أن يخفي مشاعره المضطربة،لكن نظرته نحو أخته كانت مليئة بالحنان والفخر.

قال صالح اليوسف بنبرة حازمة لكنها دافئة:أنا ما كنتش أتمنى لليلى إلا راجل يحافظ عليها ويخاف عليها ولو هي راضية، يبقى من النهارده أعتبرها أمانة في رقبتك يا إياد.

نظرت ليلى إلى والدها، ثم إلى إياد،دموعها سبقت كلماتها وهي تهمس:أنا راضية يا بابا.

ساد صمتٌ جميل للحظة، ثم انطلقت الزغاريد الخفيفة من الخدم،وضحكة سامي الصغيرة ملأت المكان كأنها توقيع الفرح.

أما إياد، فاقترب من ليلى بخطواتٍ هادئة،وأعطاها الوردة البيضاء نفسها التي حملها أول مرة،وقال بصوتٍ منخفض لا يسمعه سواها:دي الوردة اللي بدأت القصة ودي كمان اللي هتكمّلها.

رفعت عينيها نحوه بابتسامةٍ ناعمة،وفي تلك اللحظة، شعر كلاهما أن الماضي بكل وجعه قد صار أخيرًا خلفهما.

كانت ليلة الخطوبة مختلفة عن أي ليلة عاشتها ليلى من قبل.

البيت امتلأ بالأنوار والضحكات والموسيقى الهادئة التي اختارها سامر بنفسه،والجميع كانوا يتحركون بخفةٍ وكأنهم يريدون أن يعوضوا ليلى عن كل دمعةٍ ذرفتها في حياتها السابقة.

وقفت ليلى أمام المرآة، ترتدي فستانًا بلونٍ سماوي ناعم، ينسدل على كتفيها بخفةٍ كأن النسيم يحمله،
وشعرها مرفوعٌ بنعومة، يزينه تاج بسيط من اللؤلؤ.
تأملت انعكاسها، وابتسمت بخجلٍ وهي تهمس لنفسها:
هو أنا فعلاً هبدأ من جديد؟

دخلت سمر الغرفة بخفةٍ وهي تصفق بفرح:يا بنتي القمر طالع من أوضته !إياد هيطير لما يشوفك!

ضحكت ليلى بخجل، ثم نظرت إليها قائلة:دعيلنا يا سمر نفسي المرة دي يكون السلام طويل.

في الخارج، كان إياد يقف مع سامر وصالح، يبدو عليه التوتر رغم محاولته إخفاءه.

سامر ربّت على كتفه قائلاً:خد بالك منها مش بس عشان أختي، عشان هي طيبة زيادة عن اللزوم.

أجابه إياد بابتسامةٍ جادة:هكون سندها طول العمر يا سامر، زي ما هي كانت دايمًا نور المكان اللي فيه.

دخلت ليلى القاعة الصغيرة، وكل العيون اتجهت نحوها.
كان إياد أول من وقف، كأن روحه سبقته إليها.

لم يرَ أحدًا سواها.
تقدّم نحوها بخطواتٍ بطيئة، حتى صار أمامها تمامًا،
ثم همس بصوتٍ منخفض:كل لحظة استنيتك فيها، كانت تستاهل.
أمسك بيدها، وبدأت مراسم الخطوبة وسط التصفيق والضحكات.
لكن بين تلك الوجوه، كان هناك وجهٌ واحد لم يشارك الابتسامة كريم.
وقف بعيدًا، بدعوةٍ اضطرارية من صالح اليوسف،
يراقب المشهد بعينين متعبتين،يحاول أن يخفي رجفة أنامله حين رأى ليلى تبتسم لإياد.
لم يصدق أن من كانت يومًا زوجته أصبحت حلمًا لا يخصه.
بعد انتهاء الحفل، اقترب من سامر بصوتٍ خافت:كنت غلطان في حقها، وفي حق نفسي.
بس كنت فاكر لسه في فرصة.
نظر إليه سامر ببرودٍ ممزوجٍ بالمرارة وقال:الفرص يا كريم مش بتتكرر لما تكسر اللي وثق فيك.
رحل كريم بخطواتٍ بطيئة، كمن يحمل وزنه وذنبه معًا،
بينما في الداخل كانت ليلى تجلس مع إياد في ركنٍ هادئ من الحديقة.

.النسيم يداعب فستانها، وضوء الشموع يتراقص بجانبهم
قالت له بخجلٍ خافت:أنا ساعات بخاف يا إياد من الماضي،
من كل حاجة راحت وممكن ترجع.
اقترب منها أكثر، وضع يده برفقٍ على يدها وقال:طول ما
.أنا معاكي، الماضي مكانه ورا أنا وعد، مش مجرد حب
نظرت إليه بصمتٍ طويل، ثم ابتسمت تلك الابتسامة التي
غابت عن وجهها لسنوات،وبينما كان يقترب منها
أكثر،لمحت من بعيد نظرة غريبة من ديلا،نظرة لم تكن
مريحة أبدًا، فيها شيء من الحسد وربما الخوف.
لكن ليلى تجاهلتها،لأن الليلة كانت ليلتها ولأن قلبها أخيرًا
بدأ يتنفس حياةً جديدة.
كانت أضواء الحفل بدأت تخفت، والضيوف يغادرون
،الواحد تلو الآخر
لكن ديلا لم تكن قادرة على الرحيل.
،وقفت بعيدًا تراقب ليلى وهي تتحدث مع إياد
ابتسامته لها، طريقته في النظر إليها كل شيء كان يشعل
شيئًا مظلمًا داخلها.
همست لنفسها بمرارة:كانت مجرد غريبة والنهارده بقت
كل حياته.

تقدّمت بخطواتٍ متزنة نحو ليلى، وفي وجهها ابتسامة زائفة تخفي خلفها الغليان.

قالت بصوتٍ ناعمٍ يحمل سُمًّا خفيًا:ليلى مبروك الخطوبة .

ما شاء الله، شكل الدنيا ابتسمت لك أخيرًا.

رفعت ليلى رأسها بابتسامةٍ مهذبة وقالت بهدوء:شكرًا يا ديلا، أتمنى لك السعادة كمان.

ضحكت ديلا بخفةٍ مزيفة واقتربت منها أكثر حتى صار صوتهما خافتًا:سعادة؟ بعد اللي عملتيه؟

تعرفي يا ليلى، الناس مش هتنسى بسهولة.

الكل بيقول إن إياد اندفع، وإنه ضيّع سمعته عشان واحدة لكنها لم تُكمل.

فقد جاء صوت قوي من خلفها قطع كلماتها كالسيف:كمّلي يا ديلا، عشان أشوف إزاي ممكن تواجهي نفسك بعد كده.

التفتت بخوف، فكان إياد يقف خلفها،عيناه تشتعلان غضبًا، وصوته يحمل من الهيبة ما جعلها تتراجع خطوة.

قالت مرتبكة:إياد !أنا كنت بس بهزر.

اقترب منها بخطواتٍ بطيئة، وقال ببرودٍ قاتل:اللي فيه نية أذية عمره ما بيهزر.

آخر مرة يا ديلا آخر مرة تقربي من ليلى أو تحاولي

تمسيها بكلمة.
حاولت التماسك وقالت بعنادٍ خافت:يعني خلاص نسيت كل اللي بينا؟ نسيت مين كانت جنبك زمان؟
رفع حاجبه وقال بنبرةٍ قاطعة:أنا مافيش بيني وبينك غير حدود احترام وانتهت.
ليلى خطيبتي، وأي تجاوز تجاهها هعتبره إساءة ليّ شخصيًا.
غادرت ديلا المكان والدموع تحرق عينيها، بينما ليلى كانت تنظر إليه في صمتٍ وامتنان.
اقترب منها إياد، وضع يده على كتفها بلطف وقال:ما تزعليش الناس لما تحس إنك قوية بيحاولوا يكسروا فيك، بس أنا مش هسيب حد يقرب منك.
أجابت بصوتٍ مبحوح:أنا مش زعلانة بس وجعني إن في ناس بتتمنى لي الأذى حتى بعد كل اللي مريت بيه.
ابتسم إياد ابتسامةً خفيفة وقال:سيبيهم اللي بيحاول يطفي نورك، في النهاية بيتحرق بضوءك.
تلك الليلة، حين عادت ليلى إلى غرفتها،جلست على السرير تفكر بكلماته، ودمعة ساخنة انزلقت على خدها،ليست دمعة ألم، بل دمعة امتنان لأن أحدًا أخيرًا وقف ليحميها لا ليؤذيها.
لم تكن ديلا تنام تلك الليلة.

جلست أمام المرآة، نظراتها غارقة في الغضب والخذلان.
كل مرة تذكرت فيها كيف أوقفها إياد أمام الجميع،كانت تشعر بطعنةٍ في كرامتها.
قالت لنفسها وهي تمسح دموعها بعنف:مش ممكن أخليه ينسى إني كنت كل حاجة بحلم بها وحتى هو و حياته.
مش ممكن أخلي ليلى تاخد كل اللي كنت بحلم بيه.
فتحت هاتفها، واتصلت برقمٍ مجهول، بصوتٍ منخفضٍ ومليء بالكراهية:نفّذ اللي قلت لك عليه عايزة كل حاجة تخصها تنتشر.
صور، أخبار، أي حاجة تخلي الناس تشك فيها.
في الجهة الأخرى، كانت ليلى تعيش هدوءًا نادرًا.
بعد سنواتٍ من الألم والخذلان، بدأت تشعر بالأمان أخيرًا.
وجود إياد قربها كان كنسمةٍ دافئة بعد عاصفة طويلة.
في أحد الأيام، بعد انتهاء عملها،
جاء إياد ينتظرها عند باب المدرسة بسيارته.
تفاجأت بوجوده، فابتسمت وقالت بخجل:ما كانش لازم تتعب نفسك، كنت راجعة تاكسي.
ضحك قائلاً:ولو تعبت نفسي شوية علشانك؟ الدنيا هتزعل؟

ركبت السيارة، ودار بينهما حديثٌ هادئ عن يومها، عن سامي،
عن المستقبل الذي بدأ يبدو أقل قسوة.
لكنها لم تكن تعلم أن الغيوم لم تتبدد بعد.
في اليوم التالي،استيقظت ليلى على رسائل لا حصر لها في هاتفها.
صور قديمة من أيام زواجها بكريم، مقتطفات مشوّهة من حياتها الخاصة،
وأقاويل تقول إنها عادت إليه سرًا.
تسارعت أنفاسها، شعرت بأن الأرض تميد تحت قدميها.
أمسكت الهاتف بيدٍ مرتجفة، وهمست:مين اللي بيعمل فيا كده تاني؟ ليه؟!
قبل أن تتمكن من التفكير، كان إياد قد اتصل بها.
صوته كان حازمًا ومتوترًا:ليلى، ما تفتحيش الإنترنت دلوقتي في شوية إشاعات طلعت وأنا بحاول أسيطر عليها.
أجابت بصوتٍ مختنق:أنا شوفتها يا إياد نفس الأسلوب نفس الألم اللي كنت فاكرة خلص.
قال بثقةٍ ودفء:أنا مش هسيب حد يؤذيك ولا حد يلوث اسمك تاني.
بدأ إياد تحقيقه الخاص، وبذكائه، توصّل إلى المصدر.

رقم الهاتف الذي أُرسلت منه الصور يعود لشخصٍ كان يعمل مع ديلا سابقًا.
وعندما واجهه، انهار الرجل وقال بخوف:هي اللي طلبت مني قالت لي أعمل كده علشان أنت لازم تعرف حقيقتها.
لم يتردد إياد لحظة.
ذهب إلى ديلا، كانت جالسة في المقهى الفخم كأن شيئًا لم يكن.
جلس أمامها، وعيناه باردتان كحدّ السيف.
قال بهدوءٍ قاتل:هدمتي إنسانة ما عملتلكش حاجة.
لو في يوم كنتِ غالية عندي، دلوقتي انتي انتهيتِ بالنسبالي.
كل حاجة بينا خلصت.
ابتسمت بسخريةٍ حزينة وقالت:خلصت من بدري يا إياد بس إنت اللي كنت مش شايف.
غادر، تاركًا خلفه امرأةً مهزومة،بينما عاد إلى ليلى التي كانت تنتظره بعيونٍ ممتلئة خوفًا.
حين رآها، لم يقل شيئًا.
اقترب منها، رفع وجهها برفق وقال:خلصت يا ليلى كل حاجة خلصت.
واللي حاول يؤذيك، هيتعاقب، بس إنتِ لازم ترجعي تبتسمي تاني.

نظرت إليه طويلاً، ثم همست:مش عارفة أبتسم من غيرك.
ضحك وهو يمسح دمعتها وقال:يبقى ما تسيبيش إيدي تاني.
في تلك اللحظة،كان في مكانٍ آخر ديلا تراقبهما من بعيد،وفي قلبها نار لم تخمد بعد فحتى بعد انكشاف أمرها، لم تنتهِ قصتها بعد،بل كانت تخطط لشيءٍ أكبر، شيءٍ قد يغير كل شيء.
امتلأت القاعة بأضواء خافتة،
وأصوات الموسيقى الكلاسيكية تنساب برقة في الأجواء.
الكل كان يظن أن الحفل مجرد احتفال بسيط لتكريم مجموعة من المتفوقين،لكن المفاجأة كانت تنتظر الجميع.
وقف إياد على المنصة، بثباتٍ ووقار،عيناه تبحثان بين الحضور حتى استقرتا على ليلى،التي كانت ترتدي فستانًا أبيض بسيطًا يليق برقتها،وبجانبها ابنها سامي الذي لم يفارق يدها.
أخذ إياد نفسًا عميقًا وقال بصوتٍ قويٍّ وهادئ:في حياتي قابلت ناس كتير بس في واحدة علمتني يعني إيه القوة،يعني إيه تعيش رغم الألم،عشان كده، أنا

النهارده، قدامكم كلكم،بطلب رسميًا يد الأستاذة ليلى صالح اليوسف.

ساد الصمت القاعة لثوانٍ طويلة،

ثم تعالت الأصوات بالتصفيق والتهاني،بينما وجه ليلى احمرّ خجلًا،ونظرت إلى إياد وعيناها تغرورقان بالدموع.

لكن، لم يكن الجميع سعيدًا.

في الصفوف الخلفية،كان كريم يقف مذهولًا،لم يتوقع أن يرى حب حياته السابق يُعلن ارتباطه رسميًا أمامه من رجلٍ آخر.

خرج مسرعًا من القاعة، ووجهه متجهم،ولحقته ديلا بخطواتٍ مترددة.

كريم، استنى!

التفت نحوها بعينين تشتعلان غضبًا،وصاح بصوتٍ خافتٍ لكنه مليء بالاحتقان:ده اللي كنتي عايزاه، صح؟

إنتي السبب في كل ده!

لعبتِ بعقول الناس، شوهتِ صورتها، وبعد كده سبتِ الأمور تتفاقم!

تراجعت بخوف وقالت:كريم، إنت فاهم غلط، أنا ماليش دخل.

قاطعها بعنف:كل حاجة من يوم ما دخلت حياتها وإنتِ حواليها، المشاكل ما وقفتش!

كنتي عايزة تبقي مكانها، صح؟
وفضلتِ تلفي وتدوري لحد ما خدتِ كل حاجة في طريقك!
دمعت عيناها وقالت بصوتٍ مرتجف:أنا كنت بحبك يا كريم وكل اللي عملته كان عشانك.
ضحك بسخريةٍ مرة وقال:حب؟
الحب مش دمار، ولا حقد، ولا أذية الناس.
إنتِ السبب إن قلبي مات، بس صدقيني أنا مش هسيبك ترتاحي بعد كده.
تركها واقفة والدموع تسيل من عينيها،بينما كان يعود إلى سيارته،يضرب المقود بيده بعنف،يحاول استيعاب أن المرأة الوحيدة التي أحبها حقًا
صارت اليوم ملك رجلٍ آخر.
في داخل القاعة، اقترب إياد من ليلى،أمسك يدها أمام الجميع وقال بابتسامةٍ خفيفة:ابتسمي بقى الناس كلها مستنيّة تشوف العروسة.
ضحكت بخجلٍ وارتبك سامي وهو ينظر إليهما قائلاً بصوتٍ طفولي:يعني بابا إياد خلاص هيبقى معانا دايمًا؟
ابتسم إياد وانحنى إليه قائلاً:لو أنت تسمح لي يا بطل.
ضحك سامي وهزّ رأسه بحماس،فانفجرت القاعة بالتصفيق مجددًا،بينما في الخارج،كانت ديلا تراقب من

بعيد،وعلى وجهها ملامح امرأة فقدت كل شيء لكنها لم تستسلم بعد.

كانت شمس المساء تُلقي بأشعتها الذهبية على مدخل الشركة الجديدةفي عمله الجديد،حيث اصطحب إياد ليلى لتُقابل بعض زملائه بعد إعلان الخطوبة رسميًا.

كانت متوترة قليلًا، ترتب حجابها وملابسها بين الحين والآخر،بينما كان هو ينظر إليها بابتسامةٍ مطمئنة:ما تقلقيش، الناس هنا محترمين، وهيحبّوكي من أول مرة.

لكن قلبها لم يكن مطمئنًا ككلماته،كانت تشعر بشيءٍ غامض ينتظرها هناك.

وما إن دخلا القاعة الواسعة حتى لفتت أنظار الجميع، الجميع يعرف إياد،لكن القليلون فقط يعرفون تلك المرأة الجميلة التي كانت تقف عند الطرف الآخر.

كانت فتاة في منتصف العشرينات،شعرها الأسود منسدل بنعومةٍ على كتفيها،عيناها بلون العسل تلمعان بذكاء،وملابسها الراقية تعكس ذوقًا رفيعًا وثقة عالية بنفسها.

وما إن وقع نظرها على إياد،حتى ركضت نحوه بخفةٍ مفاجئة،وقبل أن يفهم أحد ما يحدث،كانت تحتضنه بشدة أمام الجميع!

تجمّد الزمن في عيني ليلى،وانقبض صدرها بشعورٍ لاذع.

نظرت حولها، الكل يتهامس،وصوت بداخلها يصرخ:إزاي تعمل كده قدام الناس؟ !ومين البنت دي أصلاً؟!
انكمشت يدها لا إراديًا،شعرت بحرارةٍ غريبة تسري في وجهها ودموعٍ تختنق في عينيها.
ابتعدت قليلًا، تحاول إخفاء اضطرابها،لكن قلبها كان يطرق بقوة من شدة الغيرة والصدمة.
بينما كانت هي على وشك المغادرة،سمعت صوت إياد يناديها بلطفٍ ممتزجٍ بالدهشة:ليلى !استني!
عايز أعرّفك على حد مهم جدًا.
استدارت ببطء، ملامحها متوترة،اقتربت منه بخطواتٍ مترددة،في حين كانت الفتاة الجميلة تنظر إليها بابتسامةٍ واسعة ومليئة بالود.
قال إياد وهو يضع يده على كتف الفتاة:دي بيسان أختي الصغيرة.
تجمّدت ليلى في مكانها.
الثوانٍ لم تستطع النطق،ثم همست بارتباك:أختك؟!
ضحكت بيسان بخفةٍ وقالت وهي تمد يدها لليلى:أكيد كنتي فاكراني حد تاني، صح؟
دايمًا الناس بتستغرب لما يشوفونا سوا إحنا شبه بعض قوي.
أحمرّ وجه ليلى من الخجل،وضعت يدها في يدها

وقالت بابتسامةٍ مرتبكة:أنا آسفة جدًا، ما كنتش فاهمة.
ضحك إياد وقال مازحًا:واضح الغيرة كانت شغالة بسرعة الصوت.
رمقته ليلى بنظرةٍ عتاب خفيفة وهمست:مش مضحك على فكرة.
اقترب منها وقال بصوتٍ خافت لا يسمعه سواها:بالعكس أول مرة أشوفك غيرانة كده، وكان شكلِك جميل جدًا.
خفضت رأسها بخجلٍ واضح،بينما كانت بيسان تراقبهما بابتسامةٍ خبيثة بعض الشيء،ثم قالت ممازحة:واضح إن خطيبتي المستقبلية قوية الشخصية عجبتني.
ضحك إياد بينما ليلى شعرت ببعض الارتياح،لكنها لم تلاحظ أن عينَي بيسان كانت تخفي وراء تلك الابتسامة شيئًا آخر ربما ليس الغيرة، ولكن اهتمامًا غامضًا بما يجري حول أخيها وليلى.
كانت الأيام التالية تمر بهدوءٍ ظاهري بعد الموقف المحرج في الشركة،لكن شيئًا في قلب ليلى ظلّ غير مرتاح.
رغم أن ليان أظهرت لطفًا مبالغًا فيه،
إلا أن نظراتها أحيانًا كانت تحمل شيئًا يصعب تفسيره شيئًا بين الفضول والمراقبة.

في اليوم التالي، تلقت ليلى اتصالًا من رقمٍ مجهول.
كانت المفاجأة حين جاء الصوت الرقيق من الطرف الآخر يقول:صباح الخير، أنا بيسان أخت إياد.
فكرت أخرجك النهارده نتمشى شوية ونتعرف أكتر،
ما يصحش تبقي جزء من عيلتنا وأنا لسه معرفكيش كويس.
ترددت ليلى لوهلة، لكنها ابتسمت وقالت بلطف:أكيد، يسعدني جدًا أنا خلص شغلي الساعة خمسة.
في المساء،وصلت بيسان بسيارتها الفاخرة،كانت أنيقة كعادتها، يعلو وجهها ذلك اللمعان الهادئ الذي يخفي ما لا يُقال.
ركبت ليلى بجانبها، وسرعان ما تحوّل الصمت بينهما إلى حديثٍ خفيف مليء بالمجاملات.
بيسان :إياد قليل الكلام عن نفسه بس لما بيتكلم، دايمًا يجيب سيرتك.
ليلى تبتسم بخجل:يمكن عشان ساعدني كتير، أنا مدينة له.
بيسان:هو بيهتم بيكي بطريقة مشفتهاش منه قبل كده.
نظرت إليها ليلى بتساؤلٍ خفي:كنتو قريبين زمان؟
ضحكت بيسان بخفة:كنا دايمًا مع بعض، بس بعد ما سافرنا واتفرقنا شوية، رجع مختلف هادي بس حذر.

بس إنتِ، واضح إنك رجعتي له الحنية اللي راحت منه.
كانت كلماتها دافئة،لكن نبرتها في آخر جملة حملت شيئًا غريبًا، كأنها تزن ليلى بعينٍ خبيرة.
في المقهى الفخم المطلّ على البحر، جلستا تتحدثان طويلًا.
بيسان كانت تعرف كيف تُشعر مَن أمامها بالراحة،تحكي بخفة، تضحك برقة،لكنها بين كل سؤالٍ وسؤالٍ كانت تزرع كلماتٍ صغيرة
كأنها تختبر ردود ليلى دون أن تشعر.
بيسان:قولّي يا ليلى، إنتي بتحبي إياد فعلًا؟
ولا لسه مترددة بعد اللي حصل مع كريم؟
تجمدت ليلى، ارتبكت قليلًا وقالت بهدوءٍ مصطنع:الماضي انتهى وأنا بحترم إياد جدًا.
ابتسمت بيسان، رفعت كوب القهوة وقالت:كويس لأن إياد بيستحق واحدة حقيقية مش مجرد ذكرى.
لم تفهم ليلى مقصدها،لكن نغمة صوتها كانت تحمل شيئًا يشبه التحذير أكثر من المودة.
وعندما أوصلتها بيسان إلى بيتها،أمسكت يدها وقالت بابتسامةٍ رقيقة:انبسطي، إحنا بقينا أصحاب خلاص، صح؟
ردت ليلى بابتسامةٍ خفيفة:أكيد، أصحاب.

لكن ما إن أغلقت الباب خلفها،حتى سقطت ابتسامة بيسان،وتحوّل وجهها إلى ملامح جادةٍ وباردة،ثم أخرجت هاتفها واتصلت بشخصٍ مجهول قائلةً بصوتٍ منخفض بدأت تثق فيّ الخطوة الجاية هتكون أسهل.

بعد إعلان خطوبة ليلى وإياد وبدء حياتهما الجديدة، تبدأ الأمور بالاستقرار تدريجيًا، لكن سرعان ما يظهر توتر خفي يهدد هذا الهدوء.

يدخل إياد في دوامة من الشك بعدما يلاحظ تصرفات غريبة من شقيقته بيسان مكالمات سرّية، زيارات في أوقات متأخرة، وتصرّفات متناقضة بين الحنان والقلق.

في البداية يحاول تجاهل الأمر، لكنه يشعر أن هناك شيئًا كبيرًا تخفيه، خاصة بعد أن يسمع حديثًا مقتطعًا بينها وبين شخص غامض، يتحدثان فيه عن حماية العائلة وعدم كشف السرّ.

من جهة أخرى، تلاحظ ليلى أن إياد أصبح شارد الذهن، متوترًا، قليل الكلام.

يحاول تبرير ذلك بأنه ضغط العمل، لكنها تشعر أن هناك سرًّا يخفيه عنها ربما متعلقًا ببيسان، أو بأمرٍ أكبر.

غيرة خفيفة تتسلل لقلبها، ممزوجة بخوفٍ غير مفهوم، فتبدأ تراقب سلوك إياد بصمت وتتحرى الأمر بطريقتها.

وبينما يحاول كلٌّ منهما حماية الآخر من الحقيقة، تبدأ

الخيوط تتشابك أكثر.

بعد أشهر من الهدوء، تهتز حياة ليلى من جديد حين تنتشر أخبار وصور مشوهة على مواقع التواصل، تتهمها بأنها خائنة وأنها تخدع إياد.

الكل يتحدث، والاتهامات تنهال من كل اتجاه.

حتى المدرسة التي تعمل فيها تبدأ بالتحقيق في الأمر، في حين تحاول ليلى الصمود رغم الألم والعار الذي لم تسببه لنفسها.

إياد يشعر بالغضب والارتباك، لا يصدق أن ليلى يمكن أن تفعل شيئًا كهذا، لكنه يُصاب بالشك للحظة ثم يبدأ بالتحقيق بنفسه لمعرفة من يقف وراء الحملة.

وفي خضم الفوضى، يختفي سامر تمامًا.

لا أحد يعرف أين ذهب، فتبدأ الشكوك تتجه نحوه باعتباره الوحيد الذي يملك الدافع لتدمير ليلى بعد أن خسر احترام والده واهتمام الجميع بها.

لكن صالح اليوسف، والد ليلى وسامر، يقف بثبات في وجه الجميع، مدافعًا عن ابنه، مصممًا أن سامر بريء، وأن هناك من يريد تفكيك العائلة من الداخل.

ليلى، المرهقة نفسيًا، تحاول أن تثبت براءتها، بينما إياد يتأرجح بين الحب والواجب، والناس من حولها يتغيرون بسرعة كالعواصف.

يحاول إياد حمايتها، لكنّه يلاحظ في الوقت نفسه تصرفات غريبة من شقيقته بيسان، فيبدأ يشكّ أن من يحاول تشويه سمعة ليلى شخص قريب منهما جدًا.

يبدأ في مراقبة المكالمات والرسائل، ويتتبع مصدر الصور والمعلومات المضللة المنتشرة عنها، ليكتشف أن وراء الأمر شبكة صغيرة من التلاعب والابتزاز، هدفها تدمير سمعة ليلى والإضرار بإياد نفسه.

لكن المفاجأة أن الخيوط تُشير إلى اسمٍ مألوف شخص يعرف تفاصيل دقيقة من حياة ليلى الماضية، ويبدو أن ليان على تواصل معه.

في الوقت الذي تحاول فيه ليلى الصمود، يزداد قلق إياد من أن الحقيقة قد تكون أعمق مما يتصور ربما هناك من يسعى للانتقام القديم، أو لإخفاء سرّ عائلي مرتبط بماضي والدها صالح اليوسف.

تعيش ليلى مرحلة صعبة بعد انتشار شائعات تشوه سمعتها دون أن تعرف مصدرها.

تحاول أن تتماسك أمام الجميع، لكن في داخلها تنهار ببطء، خصوصًا بعدما بدأت تلاحظ تغيّر سامي الصغير.

ابنها الذي كان لا يفارقها، أصبح الآن هادئًا، منطويًا، يبتعد عنها شيئًا فشيئًا، وكأنه يحمل في قلبه الصغير أسئلة لا يجرؤ على طرحها.

كلمات زملائه في المدرسة بدأت تترك أثرًا قاسيًا عليه، فصار يتجنب النظر في عيني أمه، مما يزيد من حزنها ووجعها الداخلي.

في الوقت نفسه، يحاول إياد جاهدًا معرفة من يقف وراء كل هذا الخراب.

يتتبع الرسائل المجهولة التي تصل إلى الصحف والمواقع، فيكتشف أن هناك معلومات دقيقة لا يمكن أن يعرفها إلا شخص قريب جدًا من العائلة.

تبدأ الشكوك تحوم حول ليان بعد أن يلاحظ إياد اتصالها المتكرر بشخص غامض، بينما ليلى نفسها تشعر أن هناك أحدًا يراقبها ويتعمد تدميرها ببطء.

يعيش الجميع في دوامة من الصمت، الغيرة، والخيانات الخفية.

وتتقاطع نظرات إياد وليلى بين الحب والشك والخوف على سامي.

حتى تأتي اللحظة التي يكتشف فيها إياد دليلًا صغيرًا مكالمة مسجلة، أو صورة في هاتف بيسان تغيّر كل شيء وتكشف بداية الحقيقة.

كانت ليلى تجلس على حافة سريرها، تنظر إلى صورة قديمة تجمعها بسامي حين كان يضحك بين ذراعيها.

ابتسامة خفيفة شقّت وجهها للحظة لكنها سرعان ما

انطفأت حين سمعت صوته البارد وهو يهمّ بالخروج من الغرفة.
سامي استنى يا حبيبي، فطرتك لسه ما خلصتش.
توقف الطفل دون أن يلتفت، قال بصوت خافت:مش جوعان، ماما.
وغادر.
كانت تلك الكلمات البسيطة كالسهم الذي اخترق صدرها.
ابنها الذي كان لا ينام إلا وهي تحكي له قصة ...صار يتجنّبها وكأن بينهما جدارًا من الغربة.
تتبّعته بنظرها حتى اختفى خلف الباب، ثم أسندت وجهها إلى كفيها وبكت بصمت، خوفًا أن يسمعها.
في تلك اللحظة، كان إياد في مكتبه، عيناه غارقتان في شاشة اللابتوب أمامه.
يتفحّص رسالة إلكترونية وصلته من حساب مجهول تحمل عنوانًا واحدًا:الحقيقة ليست كما تراها.
فتحها فوجد فيها صورة قديمة لليلى، ملتقطة خلسة من مكان عملها السابق، وإرفاق بعبارات مسيئة.
لكنّ ما لفت انتباهه هو توقيع إلكتروني أسفل الرسالة باسم رمزي p.L
ضغط بإصبعه على حافة المكتب، يتأمل الحروف بعينين ضيقتين.

في اليوم السابق، رأى في سجل هاتف ليان مكالمة من رقم غير معروف ينتهي بنفس الأحرف التي ظهرت في البريد.
تجمّدت أنفاسه .هل يمكن أن تكون ليان متورطة؟ أم أن هناك من يستخدمها دون علمها؟
عاد إلى المنزل متأخرًا تلك الليلة.
وجد ليلى جالسة على الأريكة، أمامها كوب شاي بارد وعيونها متورّمة من البكاء.
اقترب منها بخفة، جلس بجانبها وقال بصوت منخفض:ليلى في حاجة مضايقاكي؟
نظرت إليه، بعينين تائهتين كمن غرق في العاصفة:ابني يا إياد مش بيكلّمني، مش بيحضني أنا مش فاهمة عملت إيه علشان يبعد كده.
أمسك يدها بحذر وقال:سامي محتاج وقت، كل اللي حواليه بيحاولوا يشوّهوا صورتك، بس هتعدّي أنا أوعدك.
لكنها لم تجب.
نظرت إلى الفراغ وقالت:كل مرة أحاول أبدأ من جديد، ألاقي حد بيحاول يهدّ اللي بنيته.
كادت دموعها تسقط مجددًا، فضمّها إياد إليه في صمت، بينما كان في عقله سؤال واحد يتردد بلا توقف:

من يكرهها إلى هذا الحد؟
في اليوم التالي، أثناء تفقده لهاتفه، وصلته رسالة صوتية مجهولة صوت امرأة تتحدث بصوت منخفض قائلة:احذر من أقرب الناس الحقيقة أقرب مما تتخيل.
رفع رأسه ببطء، عيناه تتجهان نحو باب الغرفة حيث ظهرت بيسان للحظة، تحمل هاتفها وتنظر إليه بابتسامة باهتة.
تسارعت دقات قلبه هل يمكن أن تكون هي؟ أم أن هناك من يحركها من الخلف؟
وفي زاوية أخرى من البيت، كان سامي يجلس في غرفته يرسم على ورقة بيضاء شكل طائرة، وكتب تحتها بخطه الصغير:نفسي أطير بعيد أنا وماما.
كانت ليلى تبدو كمن تمشي فوق حافة الألم.
وجهها شاحب، عيناها خاليتان من الحياة، وصوتها حين تنادي على سامي صار هامسًا كأنها تخشى أن يُسمع.
منذ أيام، لم تضحك ولم تفتح الستائر.
كل شيء في البيت صار صامتًا، حتى نغمة التلفاز انطفأت، كأن الحزن خيّم على الجدران.
سامي، الذي كان يُملأ المكان ضحكًا، صار يجلس في زاوية غرفته، يضم لعبته القديمة إلى صدره، ويتأمل وجه أمه بخوفٍ لا يعرف كيف يصفه.

كان يحاول أن يتحدث، أن يقول لها إنه يشتاق لصوتها وضحكتها ...لكن الكلمات كانت تختنق في حلقه.
كل ما يفعله أنه يقترب منها بين حينٍ وآخر، يلمس يده الصغيرة، ثم يعود بصمت.
ذات مساء، جلست ليلى أمام النافذة تنظر إلى السماء الرمادية.
أمسكت بصورة لسامي عندما كان رضيعًا، ومرّ بخاطرها كل ما خسرته :بيتها القديم، حبها، ثقتها بالناس، وحتى نفسها.
همست بصوتٍ متهدج:يمكن المشكلة فيّ يمكن أنا السبب إن ابني بقى كده.
وفي الوقت نفسه، كان إياد يقف في موقف السيارات، يراقب بيسان من بعيد.
توقفت سيارتها أمام مقهى صغير في أطراف المدينة، نزلت وهي تنظر حولها بحذر، ثم دخلت.
بعد دقائق، خرج رجل غريب يرتدي معطفًا أسود، جلس أمامها، وتبادلا حديثًا سريًا.
أخرجت بيسان من حقيبتها ورقة بيضاء ودفعتها نحوه، ثم غادرت بعد أن نظرت حولها بتوتر.
اقترب إياد من المقهى بعد أن رحلت، فسأل العامل هناك عن الرجل، لكن العامل هز رأسه قائلاً:بيجي كل أسبوع،

بس ما بنعرف اسمه دايمًا بيدفع كاش ويمشي بسرعة.
في تلك الليلة، عاد إياد وهو يشعر أن قلبه يثقل أكثر.
كان يريد أن يخبر ليلى بما رآه، لكنه وجدها جالسة في الظلام، ودموعها على وجنتيها.
اقترب منها بهدوء، جلس عند قدميها وقال بصوتٍ مترددد:ليلى، أنا عارف إنك موجوعة بس لازم تعرفي إن في حاجة كبيرة بتحصل حد بيحاول يدمرك متعمد.
رفعت عينيها نحوه، بصوتٍ مبحوح:أنا خلاص يا إياد، تعبت حتى ابني مش طايقني، الناس بتبصلي كأني غريبة إيه اللي باقي بعد كده؟
لم يجد جوابًا، فقط أمسك يدها بشدة، وهو ينظر إلى سامي النائم في حضنها، كأنه يحلف في داخله ألا يسمح لأحد بأن يأخذ منها أكثر مما أُخذ.
لكن في زاوية الغرفة، كان الهاتف يضيء فجأة برسالة جديدة:اقتربت النهاية كل شيء سيتضح قريبًا.
كانت الليلة باردة على نحو غريب، كأن المطر في الخارج يحاول غسل ما تراكم من أسرار في قلوب الجميع.
جلس إياد في سيارته مقابل منزل بيسان، يراقبها من بعيد.
منذ أيام، لم يهدأ له بال بعد لقائه بالرجل الغامض في

المقهى.

كان وجهه مألوفًا، يحمل شيئًا يثير الريبة تلك النظرة المألوفة في عينيه لم تفارقه منذ رآه.

فتح هاتفه، أعاد تشغيل الفيديو الذي التقطه خلسة، وبمجرد أن ظهرت ملامح الرجل، أحس بقشعريرة تسري في جسده.

مستحيل ده هو!

تسارع تنفّسه.

ذلك الرجل لم يكن سوى عادل صوان، المدير السابق في شركة صالح اليوسف والذي اختفى منذ عشر سنوات بعد اختلاسٍ ضخم تسبب في انهيار إحدى فروع الشركة.

كان الجميع يظنه هرب خارج البلاد، لكن وجوده الآن يعني أن شيئًا كبيرًا يُطبخ في الخفاء.

في تلك الأثناء، كانت ليلى جالسة في غرفتها، تحتضن ابنها سامي الذي غلبه النعاس بعد بكاء طويل.

مسحت على شعره بحنانٍ مرتجف، وهمست:معلش يا حبيبي، ماما هنا، مش هتسيبك أبدًا.

لكن قلبها كان مليئًا بالخوف.

كل يوم تستيقظ على إشاعة جديدة، وكل صديق قديم يبتعد عنها واحدًا تلو الآخر.

حتى زملاؤها في المدرسة باتوا يتحدثون بصوتٍ خافت حين تمرّ من أمامهم.
كانت تشعر وكأنها تسير في نفق مظلم، بلا نهاية.
رنّ هاتفها فجأة.
كان إياد.
ردّت بصوتٍ متعب :فيه إيه يا إياد؟
قال بسرعةٍ قلقة:ليلى، لازم أشوفك حالًا الموضوع خطير.
ترددت قليلاً، ثم وافقت.
التقيا في سيارته أمام البحر، حيث الموج يضرب الصخور بعنف وكأنه يشاركهما التوتر.
أدار إياد شاشة الهاتف نحوها، وأراها الصورة التي التقطها للرجل في المقهى.
شهقت ليلى:ده ده عادل؟!
كان بيشتغل مع والدي من سنين بس بابا قال إنه خان الشركة وهرب!
أومأ إياد ببطء:واضح إن اللي حصل ما كانش صدفة والرجل ده على صلة ببيسان.
صمتت ليلى، ثم همست:يعني اللي بيشوّه سمعتي له علاقة بماضي والدي؟
قال بثبات:واضح كده .ودي مش مجرد إشاعات دي

خطة انتقام قديمة راجعة من الماضي.
هبت نسمة باردة، فارتجفت ليلى.
حدّق إياد في عينيها طويلاً، وقال بصوتٍ منخفض:أنا مش هسيبك لوحدك، بس لازم نعرف الحقيقة كلها حتى لو كانت مؤلمة.
رفعت ليلى رأسها نحوه، نظراتها مليئة بالدموع والتصميم في آن واحد:أنا مش هھرب تاني يا إياد، مش هخليهم ينتصروا.
وفي تلك اللحظة، كان سامر يدخل مكتب والده صالح اليوسف بعد منتصف الليل.
صالح كان جالسًا أمام النافذة، ملامحه غاضبة ومرهقة.
قال بصوتٍ متحشرج:عادل صوان رجع، وساكت.
وإنت عارف ده معناه إيه يا سامر الماضي اللي حاولنا ندفنه، بيطلع دلوقتي.
ابتسم سامر ابتسامة خفيفة وقال ببرود:يبقى لازم نتصرف قبل ما ليلى تعرف الحقيقة.
لم تكن تلك الليلة كبقية الليالي.
المدينة تغط في ظلامٍ ثقيل، والهدوء لا يقطعه سوى أنين المطر على زجاج النوافذ.
جلس إياد في سيارته أمام مبنى قديم في أحد الأحياء المنسية، يراقب الداخل والخارج بترقبٍ لا يهدأ.

كان يعلم أن عادل صوان سيأتي.
منذ ثلاثة أيام وهو يتتبّع خطواته، حتى عرف أن هذا المكان يُستخدم كمخزنٍ قديم للأوراق التابعة لشركة صالح اليوسف التي كانت في الماضي عامرة بالنجاح والهيبة.
وبالفعل، بعد دقائق، توقفت سيارة سوداء أمام الباب الخلفي، ونزل منها عادل بخطواتٍ حذرة.
حمل حقيبة صغيرة ودخل.
انتظر إياد قليلاً، ثم تبعه بصمت.
من خلال نافذة مكسورة، استطاع أن يرى عادل يفتح أحد الصناديق القديمة ويُخرج منها ملفاتٍ مغبرة، يضعها على الطاولة ويبدأ بتمزيق بعضها.
لكن عيني إياد تجمدتا عندما لمح اسمًا واضحًا على أحد الملفات قبل أن يُمزّق ليلى صالح اليوسف سري للغاية تراجع ببطء وهو يحاول استيعاب ما رأى.
لم يصدق هل ليلى نفسها كانت محور قضية قديمة تخص والدها دون أن تدري؟
أسرع يلتقط صورة للملف قبل أن يختفي الأثر، ثم انسحب قبل أن يُكشف وجوده.
في الصباح التالي، كانت ليلى جالسة في غرفتها، تنظر إلى وجهها الشاحب في المرآة.

لم تعد تشبه تلك المرأة التي كانت تبتسم للحياة.
سامي جلس عند باب الغرفة صامتًا، يرسم خطوطًا غريبة على دفتره.
اقتربت منه برفق، لمست شعره وقالت بابتسامة باهتة:مالك يا حبيبي؟ مش عايز تروح المدرسة؟
أجابها دون أن يرفع عينيه:العيال بيقولوا كلام مش حلو عنك يا ماما بيقولوا إنك عملت حاجات غلط.
تجمدت ليلى مكانها، شعرت كأن الأرض تدور تحتها.
حاولت أن تتماسك أمامه، لكن الدموع سالت رغماً عنها.
احتضنته بقوة وقالت بصوت مرتجف:ما تصدقش حد يا سامي، ماما عمرها ما عملت حاجة غلط ماما بتحبك وبس.
لكنه ظلّ صامتًا، وصوته الخافت تمتم بعدها:بس بابا قال إنك السبب إن حياتنا اتغيرت.
تلك الكلمات كانت كافية لتكسر ما تبقى من قلبها.
تركت كل شيء وسارت نحو النافذة، تبكي بصوتٍ مكتوم، بينما سامي ينظر إليها بخوفٍ وندمٍ طفولي.
في الوقت نفسه، عاد إياد إلى مكتبه، وأخرج الصورة التي التقطها من المخزن.
تكبير بسيط للملف كشف جملة مكتوبة بخط اليد أسفل الاسم الابنة التي لا تعرف الحقيقة المشروع 27 عادل

صوان.
شعر بالدوار هل كانت ليلى ضحية في خطة قديمة تورط فيها والدها؟
هل بيسان تعرف شيئًا عن هذا الملف؟
الأسئلة تتزاحم في رأسه، والشك يتسلل إلى قلبه من جديد.
في تلك الليلة، اتصلت بيسان بإياد بصوتٍ متوتر:إياد، في حد بيدور عليّ حسّيت إن فيه عربية بتتبعني من بعد ما خرجت من الشركة!
فقال بجدية:ما تتحركيش من مكانك، أنا جاي فورًا والموضوع ده لازم ينتهي الليلة.
كانت الساعة تقترب من منتصف الليل حين وصل إياد إلى الشقة الصغيرة التي استأجرتها بيسان في طرف المدينة.
طرقات خفيفة على الباب، تلاها صوته القلق:بيسان أنا إياد، افتحي بسرعة.
فتحت الباب بعينين متعبتين، وارتجفت وهي تقول:كنت متأكدة إن في حد بيراقبني يا إياد شفت نفس السيارة مرتين في نفس اليوم!
أغلق الباب خلفه وتفقد المكان بعينيه، ثم قال بجدية:مش صدفة يا بيسان في حاجة كبيرة بتحصل.

واللي اكتشفته أخطر مما توقعت.
مدّ يده من جيبه وأخرج الصورة التي التقطها لملف ليلى صالح اليوسف، ووضعها أمامها على الطاولة.
تجمدت بيسان وهي تقرأ الاسم، ثم رفعت نظرها إليه بارتباك:ده اسم ليلى ليلى اللي بتحبها، مش كده؟
هز رأسه ببطء، وصوته كان مليئًا بالتردد:الملف ده كان في مخزن تابع لشركة والدها القديمة، ومكتوب عليه المشروع 27 بس الأغرب إن اسم أبوها صالح اليوسف مذكور في توقيع الملف، وكأنه هو المسؤول عن المشروع ده.
تقدمت بيسان بخطوة وجلست قبالته، وصوتها انخفض:إياد، المشروع 27 ده مش مجرد ملف عادي ده كان مشروع تجارب سرية، بيتعلق بصفقات غير قانونية وشبهات مالية كبيرة أنا شفت وثائق عنه قبل سنين لما كنت بشتغل مع عادل صوان، وكنت فاكرة إن الموضوع انتهى.
رفع حاجبيه بدهشة:انتي كنتي تعرفي عادل؟
نظرت إليه بمرارة وقالت:كنت أشتغل سكرتيرته لفترة قصيرة ولما اكتشفت بالصدفة إن المشروع ده بيتعلق بأسماء ناس ما ليهمش ذنب من ضمنهم صالح اليوسف حاولت أبلغ، بس بعدها اتفصلت فجأة واتهددت ومن

ساعتها وأنا بتجنب أي شيء له علاقة بالموضوع ده.
جلس إياد بصمت، يحاول أن يستوعب كل كلمة.
الصدمة كانت تزداد حين تذكّر أن عادل صوان ما زال يظهر في حياة ليلى بشكلٍ غامض، وأنها دائمًا ما تتجنب الحديث عنه.
قال ببطء:يعني ممكن يكون صالح اليوسف اتورّط بالغصب؟ أو حتى تم استغلال اسمه؟
أجابته:ده الاحتمال الأكبر بس في حاجة أهم لازم تعرفها، إياد.
نظرت إليه بعينين تلمعان بالقلق وقالت:المشروع 27 اتقفل رسميًا بعد حادثة كبيرة حصلت في المصنع التابع لهم .
وكان في طفلة صغيرة وقتها، اتأذت وتم إخفاء قصتها عن الإعلام.
سألها فورًا:طفلة؟ يعني ليلى؟
أومأت ببطء:أيوه الطفلة دي كانت ليلى ومحدش يعرف لحد النهارده إنها كانت الشاهد الوحيد على اللي حصل في المصنع.
صمتٌ طويل خيّم على المكان.
الهواء كان ثقيلاً كأن الكلمات نفسها لا تريد أن تُقال.
قال إياد أخيرًا:ده يفسر كل حاجة خوفها، انطوائها، كوابيسها اللي كانت بتحكي عنها من وهي صغيرة...

حتى جملتها اللي قالتها لي مرة :في ناس ظلموا بابا وأنا اللي بدفع التمن.

وقف فجأة وقال بعزمٍ لم تعرفه بيسان من قبل:مش هسيب الموضوع ده، لازم أعرف مين اللي بيشوّه سمعتها وبيستغل اسم المشروع ضدها لو صالح اليوسف كان بريء، يبقى لازم نرجّع له حقه.

وفي تلك اللحظة، سُمع صوت خافت من خلف الباب طرق خفيف، ثم صدى خطواتٍ تبتعد.

اقترب إياد بحذر، فتح الباب سريعًا فلم يجد أحدًا فقط ظرف صغير على الأرض مكتوب عليه بخطٍ غريب:المشروع لم ينتهِ والمرحلة الثانية بدأت.

نظر إلى بيسان بقلق، ثم عاد يغلق الباب بسرعة.

قالت بيسان بصوتٍ مرتجف:ده معناها إن في حد لسه بيتابعنا المشروع لسه حي يا إياد.

جلسا بصمتٍ ثقيل، وكأن العالم كله يتنفس حولهما سرًا مخيفًا.

وفي تلك الليلة، كانت ليلى في بيتها البعيد، تتقلب في نومٍ مضطرب تحلم بصرخاتٍ قديمة، وأصوات رجال، وضوءٍ أحمر يغمر المكان ثم تستيقظ فجأة وهي تهمس بخوف:المصنع المشروع بابا!

كانت ليلى تجلس على السرير في الغرفة المضيئة بنور

خافت، أنفاسها متسارعة بعد أن استفاقت من الكابوس ذاته للمرة العاشرة في أسبوع.
مدّت يدها نحو كأس الماء، لكنها توقفت فجأة حين لاحظت صورة قديمة كانت موضوعة على المنضدة بجانبها صورة لها وهي طفلة صغيرة في معطفٍ رمادي، وإلى جانبها رجل يحملها ويضحك صالح اليوسف.
عيناها امتلأتا بالدموع وهي تهمس لنفسها:بابا إنت كنت فين؟ ليه خبّوا عني كل ده؟
وفي تلك اللحظة، انفتح الباب بهدوء ودخل إياد يحمل بيده بعض الأوراق.
تردد للحظة حين رآها تبكي، ثم جلس بجانبها وقال بلطف:ليلى، إحنا لازم نتكلم أنا لقيت حاجة ممكن تغيّر كل حاجة عرفناها.
ناولها ورقة رسمية عليها شعار شركة قديمة، وعليها توقيع صالح اليوسف.
تجمدت وهي تقرأ السطر الأخير:المشروع 27 تم وقفه حفاظًا على حياة الطفلة.
رفعت عينيها إليه بارتباك:الطفلة دي أنا؟
هز رأسه بخفة وقال بصوتٍ حنون:أيوه يا ليلى، كنتي الشاهد الوحيد على اللي حصل في المصنع .واللي شافوه كان لازم يختفي علشان يحموك.

بدأت الدموع تنساب على خديها:كل ده وأنا فاكرة إن بابا هو السبب في كل المصايب وطلعت الحقيقة إنه هو اللي أنقذني!

اقترب منها إياد أكثر، وأمسك بيديها المرتجفتين وقال بجديةٍ عميقة:علشان كده أنا مش هسيبك تواجهين ده لوحدك الناس اللي بيحاولوا يرجّعوا المشروع للسطح مش هيسكتوا، بس المرة دي مش هتكوني لوحدك.

نظرت إليه بعينين ممتلئتين بالدموع:بس يا إياد، كل اللي بيقرب مني بيتأذى مش عايزة أخسرك زي ما خسرت الكل.

ابتسم ابتسامة خفيفة لكنها مليئة بالألم وقال:أنا مش زيهم، ليلى أنا اخترت الطريق ده وعايز أكمله معاكي، بخوفك، بوجعك، بكل حاجة.

ثم توقف لحظة، أخرج من جيبه علبة صغيرة وفتحها أمامها خاتم بسيط، ناعم، يشبهها تمامًا.

قال بصوتٍ خافت لكنه ثابت:ليلى صالح اليوسف تتجوزيني؟ مش علشان الحب بس، علشان أكون جنبك، أحميك، وأواجه معاك اللي جاي.

غطّت فمها بيدها من الصدمة، ثم انفجرت بالبكاء وهي تهمس:إياد أنا ما استاهلكش.

اقترب منها أكثر، ووضع يده على خدها وقال بابتسامةٍ

هادئة:بل أنا اللي ما استاهلش واحدة زيك نجت من كل ده ولسه عندها قلب قادر يحب.

وضعت يدها على يده وقالت بصوتٍ مبحوح:أنا موافقة يا إياد بس أوعدني، لو الدنيا كلها وقفت ضدنا، متسيبنيش.

رد عليها وهو يضمها إلى صدره:وعد من النهارده، ما فيش خوف، وما فيش وحدة.

خارج الغرفة، كانت بيسان تقف بصمت، تمسك بهاتفها وتقرأ رسالة غامضة وصلت لتوها:احذري زواجهم لن يتم المشروع له ثمن، وأنتِ تعرفين من سيدفعه أولًا.

رفعت بصرها بقلق نحو الباب المغلق، وابتلعت ريقها بخوفٍ عميق كأن القدر نفسه يهمس لها:القصة لم تنتهِ بعد.

كان اليوم التالي لإعلان الخطوبة أشبه بيومٍ ملبّد بالغيوم، رغم أن الشمس كانت ساطعة.

انتشرت التهاني في الشركة، الجميع يبتسم، لكن نظراتهم كانت تخفي شيئًا آخر خليطًا من الفضول والريبة.

أما إياد فكان يشعر بثقلٍ في صدره لا يعرف مصدره، وكأن أحدهم يراقبه في كل خطوة.

دخل مكتبه، فوجد على مكتبه ظرفًا أبيض بلا اسم.

فتحه ببطء فوجد بداخله ورقة مطبوعة بصورة واضحة لليلى وهي خارجة من المستشفى، وفي الخلفية شاب غريب يتحدث معها.

أسفل الصورة كُتب بخطٍ دقيق:هل تعرف من تراها كل ليلة بعد عملها؟

قبض على الورقة بيده، وعينيه تمتلئان بالشك، لكنه في أعماقه يعرف أن أحدهم يحاول إشعال النار بينه وبينها.

أغلق الورقة ووضعها في الدرج، محاولًا ألا يُظهر شيئًا.

في تلك اللحظة، كانت ليلى في عملها الجديد في مركزٍ صغير للأطفال تجلس بين الصغار وتقرأ لهم قصة عن الأمل، بينما سامي يجلس بجانبها يرسم.

نظرتها كانت حزينة رغم ابتسامتها، كأن قلبها في مكانٍ آخر.

وفي المساء، وبينما كانت تغادر المركز، رأت من بعيد رجلًا يقف قرب سيارتها، يحمل باقة ورد.

اقتربت ببطء حتى تجمّدت في مكانها كريم.

قال بنبرةٍ هادئة:ما كنتش ناوي أضايقك يا ليلى، بس لما عرفت إنك هتتجوزي، ما قدرتش أعيش وأنا ساكت.

نظرت إليه ببرودٍ قاتل:اللي بينا انتهى يا كريم خلاص، في حاجات ما ينفعش تتصلّح.

أجابها وهو يقترب خطوة:بس في طفل محتاج أبوه

وأنتِ ناسيه ده.
سكتت لحظة، ثم قالت بصوتٍ مختنق:سامي محتاج أم ما تنهارش كل مرة تشوفك.
ثم تركته وغادرت، لكن أحد المارة كان يلتقط صورة لهما من بعيد صورة ستصل لاحقًا إلى إياد.
في المساء، جلست بيسان في غرفتها تتصفح ملفات أبيها القديمة، عندما توقفت عند ملف يحمل اسم غريب عادل صوان تعاون داخلي
فتحت الملف وبدأت تقرأ كل الأدلة كانت تشير إلى أن هناك شخصًا داخل الشركة كان يبيع المعلومات مقابل المال.
لكن الصدمة لم تكن في الأوراق نفسها، بل في التوقيع الموجود أسفل المستندات:ليان .
شهقت بيسان وهي تهمس:بس دي أنا!
تجمدت يدها، وبدأت تتذكر مكالمات غريبة من رقمٍ مجهول منذ أسابيع، ورسائل تهديد جعلتها تغيّر اسمها من ليان إلى بيسان.
أدركت الآن أنها ليست بريئة تمامًا من الماضي وأنها، دون قصد، كانت جزءًا من شبكة سرية مرتبطة بالمشروع 27.
في نفس اللحظة، تلقى إياد مكالمة من رقمٍ غير

معروف، وصوت رجلٍ خشن يقول:لو عايز تحافظ على خطيبتك، سيب الملف اللي في درج مكتبك الليلة قبل منتصف الليل.
ثم أُغلق الخط.
ارتجف قلبه، أسرع نحو الدرج وفتح الملف الذي وضع فيه صورة ليلى ليجد ورقة جديدة موضوعة فوقها لم تكن هناك من قبل:اللي باعك مش بعيد الخيانة الثالثة بدأت.
توقف الزمن للحظة.
رفع عينيه ببطء نحو الباب المغلق، وقلبه يتمتم باسم واحد:بيسان؟!
كانت الليلة ثقيلة، والجو داخل شقة ليلى مشحون بصمتٍ غريب.
جلست على الأريكة تحتضن كوب القهوة البارد دون أن تشربه، بينما سامي الصغير يرسم على الأرض قربها.
منذ أيام وهي تلاحظ أن إياد تغيّر صار شاردًا، مترددًا في كلماته، وكأن شيئًا خفيًا يبتعد بينهما ببطء.
أرسلت له رسالة قصيرة وحشتني، كل حاجة بخير؟
لكنها ظلت دون رد حتى منتصف الليل.
وفي الوقت نفسه، كان إياد في مكتبه يحدق في شاشة الكمبيوتر أمامه.

27 على الشاشة، عرض مفتوح لملفٍ بعنوان المشروع القسم الأسود.
الصفحات تمتلئ بأسماء وأرقام وتحويلات مالية مشبوهة، وكلها تحمل توقيعًا مألوفًا ليان.
أغمض عينيه وهو يحاول تصديق ما يراه.
بيسان؟ يعني كانت تعرف؟ طول الوقت ده كانت تعرف؟
فتح الملف المرفق التالي ليجد تسجيلًا صوتيًا قصيرًا.
صوت بيسان وهي تقول بوضوح:نقل المعلومات تم، والمرحلة الأخيرة تبدأ لما نكسب ثقة إياد.
ضرب بيده على المكتب بقوة، وانكمش وجهه من الغضب والخذلان.
لكنه لم يكن يدري أن هذا التسجيل لم يكن كما يبدو فقد تم تعديله لإخفاء جملةٍ مهمة في نهايته:علشان نحمي ليلى من اللي بيحاولوا يقضوا عليها.
في اليوم التالي، كانت بيسان تجلس مع ليلى في المقهى.
بدت مرهقة، عيناها متعبتان كمن لم تنم منذ أيام.
قالت بصوتٍ خافت:ليلى، لو حصلِّي حاجة خدي المفتاح ده، في خزانة في الطابق السفلي للشركة فيها كل الحقيقة.
نظرت إليها ليلى بقلق:انتي بتتكلمي كده ليه؟ في إيه يا

بيسان؟
لكن بيسان اكتفت بابتسامة حزينة وقالت:في حاجات لازم تتقال في وقتها ولسه وقتها مجاش.
بعد دقائق، غادرت بيسان المقهى، وبينما كانت تعبر الشارع، مرت سيارة سوداء بسرعةٍ مريبة كادت تصدمها، لكنها انحرفت في اللحظة الأخيرة.
صرخت ليلى وهي تجري نحوها، لكن السيارة اختفت بين الزحام.
سقط المفتاح من يد بيسان أرضًا دون أن تنتبه له.
في المساء، عاد إياد إلى ليلى.
كانت تقف عند النافذة، تنظر إلى الأفق بصمتٍ مرهق.
قالت دون أن تلتفت:كنت فين؟ الدنيا كلها بتقلب حوالينا، وإنت ساكت.
اقترب منها ببطء، ثم قال بصوتٍ منخفض:ليلى إنتي واثقة فيا؟
نظرت إليه بقلق:سؤال غريب بس طبعًا واثقة.
أجابها وهو ينظر بعيدًا:أنا مش متأكد إني أقدر أقول نفس الشيء عن الناس اللي حوالينا.
رفعت حاجبيها باستغراب، لكن قبل أن ترد، رن هاتفها رقمٌ مجهول، وصوت رجلٍ مبحوح يقول:لو بتحبي تعرفي مين السبب في تدمير حياتك، دوري في خزانة

الطابق السفلي المفتاح في جيبك.
أغلقت الهاتف بسرعة، ومدّت يدها إلى جيب معطفها لتجد المفتاح الذهبي الصغير الذي أسقطته بيسان دون قصد.
تجمدت للحظة، ثم نظرت إلى إياد وقالت بحذر:إياد لازم نروح الشركة الليلة.
في الطابق السفلي للشركة، كانت رائحة الغبار تعبق بالمكان.
فتح إياد الخزانة بالمفتاح، ووجد بداخلها ملفات مغلقة بشريط أسود مكتوب عليه سري للغاية المشروع 27 النسخة الأصلية.
فتحها ببطء، لتسقط منها صور ووثائق وتسجيلات.
بينها تقرير بخط يد صالح اليوسف نفسه:ابنتي بيسان هي من تتولى المراقبة لحماية ليلى لا أحد يعلم هويتها إلا أنا.
رفع إياد عينيه بدهشة، بينما ليلى تضع يدها على فمها من الصدمة.
قالت بصوتٍ مرتعش:يعني بيسان كانت بتحميني مش بتخوني؟!
أجابها إياد بصوتٍ خافتٍ محمّل بالندم:وأنا صدّقت العكس أنا ظلمتها.

لكن قبل أن يُكمل، انطفأت الأنوار فجأة، وانبعث صوت خطواتٍ يقترب في الظلام، ومعه همسة غامضة:اللي بيدوّر على الأسرار لازم يدفع الثمن.

كانت الأيام الأخيرة قاسية على ليلى كأن كل جرحٍ مرّت به عاد يزداد عمقًا.

عزلت نفسها، قلّ كلامها، وازدادت نظرات سامي القلقة نحوها يومًا بعد يوم.

رأى إياد أن الوقت لم يعد يسمح بالانتظار.

في يومٍ هادئ، وقف أمامها، أمسك يديها بخفّة وقال بصوتٍ دافئ:ليلى اتجوزيني.

رفعت عينيها نحوه، والدموع تتجمّع دون أن تفهم.

قالت بخفوت:أنا مكسورة يا إياد يمكن ما أستحقش.

هز رأسه وهو يلامس خدّها بإصبعه:أنتِ تستحقي الدنيا كلها وأنا عايز أكون جنبك، أداويكي وأحميكي.

خلّيني أبقى بيتِك، وسندك مش هسيبك تضيعي تاني.

انهارت بين ذراعيه تبكي، ليس حزنًا بل راحة.

وفي خلال أسبوعين، تم الزواج في حفل بسيط وهادئ، لم يحضره إلا المقرّبون.

وقف سامر وسامي بجانبها، ووقف صالح اليوسف خلفها كأنه يحميها من العالم، بينما كريم وقف بعيدًا بعيني رجلٍ خسر كل شيء.

لكن المفاجأة كانت ما فعله إياد في اليوم التالي مباشرة.
دخل عليها وهي ترتّب أغراض سامي، ومدّ لها ظرفًا وقال:جهزي شنطتك إحنا مسافرين.
نظرت إليه بارتباك:فين؟ وليه؟
اقترب منها، ابتسم نصف ابتسامة وقال:عايز آخد مراتي وابني الهدايا الإسبانيا عايز أغير الجو أطلعك من كل ده.
أرجّع ضحكتِك.
لم تستطع أن تقول لا.
شيء داخلي في قلبها كان يصدّق أن السفر قد يكون بداية جديدة.
على شاطئ إسبانيا بعد ساعات طويلة، وجدت نفسها على شرفة فندق يطل على بحرٍ صافٍ، سماؤه زرقاء بلا شوائب.
جلس سامي على الرمال يبني قلعة صغيرة، بينما جلس إياد بالقرب منها يراقبها بصمتٍ محب.
سألته بخجل:هو ليه بتعمل كل ده عشاني؟
رد وهو يمد يده ليمسك يدها:عشانك تستاهلي وعشان أحبك.
وأنا وعدت نفسي إن اللي آذاكي مش هيكسب.
ارتجفت شفتيها، شعرت بشعورٍ غريب يدفئ قلبها.
أول مرة منذ أشهر طويلة تشعر بالأمان.

بدأت تخرج من عزلتها تضحك قليلًا، تتكلم أكثر، وتلعب مع سامي كما لم تفعل منذ زمن.

كان إياد يراقب كل تفصيل، وكل ضحكة، كأنه يجمعها في قلبه.

وفي إحدى الليالي، بينما كانوا يتناولون العشاء على ضوء الشموع، وضعت ليلى يدها فوق يده وقالت:إياد إنت رجعت لقلبي الحياة.

ابتسم وهو يرفع يدها ليقبّلها:ولسه اللي جاي أحلى.

لكن الهدوء لا يدوم بينما كانت ليلى تستعيد نفسها شيئًا فشيئًا، بدأ سامي يتصرف بغرابة يبتعد فجأة يتجمّع الظلام في عينيه ويقول جملة واحدة تكررت أكثر من مرة:ماما هو هيرجع ياخدني؟

سألت ليلى بقلق:مين يا سامي؟

نظر إلى البحر ثم قال بصوتٍ خافت:الراجل اللي كان بيكلمني قبل ما نسافر.

ارتجفت ليلى.

تجمد إياد.

الهواء توقف.

هناك شخص شخص كان يصل إلى سامي دون أن ينتبه أحد.

والسفر لم يكن هروبًا منه بل كان بداية مواجهته.

كان الليل في إسبانيا هادئًا بشكلٍ غريب، وكأن الكون يتعمّد إعطاء ليلى هدنة قصيرة بعد الألم الطويل.

لكن قلب إياد لم يكن مطمئنًا وجملة سامي الأخيرة ظلت تدور في ذهنه كجرس إنذار لا يتوقف:الراجل اللي كان بيكلمني قبل ما نسافر.

جلس إياد على الشرفة يُراقب البحر، بينما ليلى تحاول إقناع سامي بالنوم.

لكن الطفل كان متوترًا، يفتح عينيه كل دقيقة ويتأكد من أن أمّه ما تزال قربه.

وحين نام أخيرًا، خرجت ليلى وجلست بجانب إياد بصمت.

سألته بخوف:إياد تفتكر هو كان يقصد مين؟

أجاب دون أن ينظر إليها:الطفل ما بيكذبش يا ليلى وده أكتر اللي مخوّفني.

وضعت يدها على يده، لكن يدها كانت ترتجف.

همست:يعني في حدّ لسه بيدوّر علينا؟

نظر إليها هذه المرّة كانت عيناها تعودان للقلق القديم الذي حاول انتزاعه منها.

قال بحزم:لو في حدّ بيفكر يقرّب منكم هاعرفه وهخلص الموضوع من جذوره.

أخذ إياد سامي للنزهة قرب الميناء السياحي بينما بقيت

ليلى في الفندق.
كان الطفل هادئًا، لكن فجأة وقف في منتصف الطريق
حدّق في رجل طويل يرتدي معطفًا داكنًا، يقف عند أحد
الأكشاك، وكأنه يراقبهم.
سامي همس بخوف:ماما قالت ما أتكلمش معاه.
تجمد إياد.
انحنى بجانب الصغير وسأله:إمتى شوفته قبل كده؟
أشار سامي بإصبعه المرتجف:ده اللي كان ييجي للبيت
زمان .يقول إنه صديق بابايا.
كريم؟
لا كريم لم يكن يومًا بهذا الوصف.
الرجل لم يتحرك، فقط ظلّ يراقب الطفل بعيون غريبة
باردة.
اقترب إياد خطوة بخطوة.
لكن ما إن شعر الرجل بذلك، حتى استدار واختفى وسط
الزحام.
عادت ليلى تتصفح هاتفها، فإذا بها تجد رسالة جديدة
وصلت من رقم مجهول:السفر مش هيخبيكم.
ابنك مش ملكك.
سقط الهاتف من يدها.
انهارت على الأرض تبكي بصمت، واضعة يديها على

فمها حتى لا يخرج صوتها.
كل خوف عاشته، كل تهديد، كل ألم عاد دفعة واحدة.
دخل إياد فوجدها جالسة على الأرض، وجهها شاحب، وعيناها متورمتان.
ركض نحوها فورًا:ليلى !في إيه؟!
لم تستطع الكلام فقط رفعت الهاتف له.
قرأ الرسالة، ووجهه تغيّر بالكامل.
ذلك الهدوء الذي كان يحاول الحفاظ عليه انهار.
قال بعزمٍ لا يقبل النقاش:مش هنستنى.
هبلغ الشرطة هنا.
واللي بيهددنا ده هنعرفه ونوصل له.
لكن ليلى هزّت رأسها بقوة:لا يا إياد ما أقدرش أرجع الدائرة الخوف دي تاني ما أقدرش أعيش مطاردة!
ضمها إليه بقوة، وكلماتها تتكسر على صدره.
قال بصوتٍ خافت لكنه ثابت:أنا مش هسيبك.
مش هسيب حد يقرب منكم.
واللي بيلاحق سامي هيتكشف.
وفي تلك اللحظة، نهض سامي من سريره وهو يبكي ويقول:ماما الراجل تحت بيبص علينا من الشباك.
ركض إياد نحو النافذة فتح الستارة بحدة لكن لم يجد أحدًا.

الشارع كان فارغًا تمامًا.
الظلال جاءت معهم، وتهديدٌ جديد يلاحقهم في الغربة.
لكن هذه المرة ليست ليلى وحدها من يقف أمام الخطر.
إياد، وسامر، وصالح اليوسف الجميع سيُختبر.
بعد تدهور حالة ليلى النفسية، قرر إياد أن يصطحبها في رحلة قصيرة إلى مكان هادئ بعيدًا عن الضغوط .اختار منتجعًا صغيرًا لا يعرفه أحد، وحرص على أن تظهر الرحلة وكأنها مجرد استجمام ...لكن الحقيقة أنه جاء وفي باله احتمال أن من يحاول أذية ليلى قد يتتبعها حتى هنا.
منذ لحظة وصولهما، كان إياد يتصرف وكأنه لا يهتم بشيء سوى ليلى .يمسك يدها، يساعدها على النزول من السيارة، يبتسم لها، يطمئنها.
لكن خلف هذه الابتسامة عقله يعمل بأقصى سرعة.
قبل السفر بيومين فقط، رتّب مع فريق خاص يعرفه من العمل .ثلاثة رجال وامرأة، متنكرون
نزيل في المنتجع
نادلة في المطعم
موظف استقبال
وزائر عادي يقرأ الكتب قرب النافورة
كلهم يراقبون المكان دون أن يثيروا أي شبهة.

ليلى كانت تمشي بجانبه، تنظر للأشجار والبحيرة الصغيرة لا تدري أن المكان كله أصبح تحت حماية غير مرئية.
في إحدى اللحظات، أحسّت ليلى بشعور غريب كأن أحدًا يتبعها لكنها حاولت أن تتماسك.
أما إياد، فكان يتظاهر بعدم ملاحظة أي شيء، حتى عندما لمح من زاوية عينه شخصًا يقف قرب سور المنتجع وكأنه ينتظر شيئًا.
رفع كوب العصير إلى فمه، وتظاهر بأنه يستمتع بالمنظر بينما المراقب المتخفي بجوارهم أرسل له رسالة خفيفة اهتز بها هاتفه:الشخص نفسه الذي ظهر قرب شقة ليلى قبل أسبوع وصل ننتظر تعليماتك.
إياد لم يغيّر ملامحه اكتفى بأن وضع يده على ظهر ليلى بلمسة هادئة وهو يقول لها:تحبين نمشي على البحيرة ولا نريح أول؟
ابتسمت وهي تهز رأسها، لكن صوتها كان ضعيفًا:نمشي يمكن أروق شوي.
سارا معًا، وإياد بجانبه يحميها وهو في كامل هدوئه لكنه من الداخل نار.
عيناه تراقبان كل تفصيلة :العابرين، النوافذ، الممرات.
وفريقه يرسل له تحديثات متتالية:الشخص تحرك دخل

المطعم يجلس بمقربة منكم.
لكن إياد بقي ثابتًا، وكأنه لا يرى شيئًا.
في النهاية، أرسل لهم رسالة قصيرة:راقبوه لا تتحركوا حتى أعطي الأمر.
بعدما تلقّى إياد آخر رسالة من فريقه، شدّ على يد ليلى قليلًا، كأنه يطمئنها بلا كلام .هي لم تكن تعرف أن قلبه يدق بقوة وأن عينيه تراقبان كل زاوية.
جلسا قرب البحيرة، والهواء البارد يلامس وجهيهما .ليلى كانت صامتة، شاردة، ودموعها محتبسة لكن وجود إياد بجانبها كان يمنحها شيئًا من الأمان، رغم عدم وعيها بما يحدث حولها.
وفجأة مرّ رجل غريب على مسافة ليست بعيدة.
خطواته بطيئة جدًا، وعيناه لا تفارق ليلى.
إياد حسّه لا يخونه.
تظاهر بأنه لم يلاحظ الرجل إطلاقًا، بل مدّ ذراعه على ظهر ليلى وأقربها نحوه أكثر، ليعطي ظهره للرجل ...
وفي الوقت نفسه يتابع انعكاسه على سطح الماء الهادئ أمامهم.
بعد ثوانٍ، شعر إياد أن الرجل توقف خلفهم مباشرة.
فتحت ليلى فمها لتتكلم، لكنه بلمسة لطيفة على يدها قال:اهدّي أنا معك.

ثم تلقى رسالة جديدة من أحد عناصر فريقه:الهدف اقترب أكثر من اللازم يبدو أنه ينتظر لحظة معيّنة.
إياد لم يرسل ردًا.
بدل ذلك، نهض فجأة وهو يقول:تعالي نمشي شوي لداخل المنتجع.
كانت خطوة محسوبة.
الرجل تبعهم كما توقع تمامًا.
بينما كانا يمشيان في الممر المؤدي إلى بهو المنتجع، لمح إياد ذلك الرجل مرة أخرى، وهذه المرة كان يلتقط صورًا خفية من خلف عمود رخامي.
لم يعد أمامه فرصة للتجاهل.
أرسل فريقه رسالة صوتية قصيرة سرًا:ثبّتوه بس من بعيد، أنا هتعامل.
ليلى لاحظت ارتباكًا بسيطًا على وجهه، فسألته بصوت ضعيف:إياد في حاجة؟
ابتسم، لكن عينيه لم تكونا تبتسمان:ولا حاجة بس هروح أجيب قهوة ونرجع الغرفة، استنيني هنا دقيقة.
قبل أن تعترض، وضع يده على خدها:لو سمحتي يا ليلى ثقي فيّا.
تركها جالسة، ثم تحرك بخطوات هادئة اتجاه الرجل الذي كان يحاول الهروب ناحية البوابات الخلفية.

لكن فريق إياد كان أسرع.
اثنان أوقفاه قبل أن يخرج، بينما جاء الثالث من الخلف وصادر هاتفه.
إياد وصل في آخر لحظة.
وجهه تغير قسوته الحقيقية ظهرت لأول مرة.
اقترب من الرجل وقال بصوت منخفض لكنه
مرعب:هتفضل تتبعها لحد إمتى؟ مين اللي باعتك؟
الرجل حاول التهرب:أنا أنا ما.
إياد لم ينتظر .أخذ الهاتف من يد رجاله وفتح الصور بصمت.
صور كثيرة كلها لليلى.
عند بيتها، عند عملها، عند المدرسة أثناء ذهابها لأخذ
سامي إياد رفع رأسه ببطء، وصوته تغيّر:اسمع لو ما اتكلمتش، مش هتخرج من هنا.
الرجل بدأ ينهار لكن قبل أن يعترف، وصلت رسالة للفريق
من مراقب آخر:في سيارة سوداء مركونة برا فيها شخص يراقب المخرج وينتظر إشارة من هذا الرجل.
إياد فهم فورًا أن الموضوع أكبر من مجرد شخص واحد
هناك منظّم، مخطِط، أحد يريد إيذاء ليلى بشكل مدروس.

وقبل أن يكمل استجوابه سمع صوتًا خلفه:إياد؟ إنت بتعمل إيه؟

.التفت، ليجد ليلى واقفة، وجهها شاحب، وصوتها مرتجف

.كانت قد خرجت تبحث عنه وشاهدت جزءًا من المشهد

ولأول مرة، رأت الغضب الحقيقي في عيني إياد ذلك الغضب الذي لم يكن موجّهًا لها، بل لمن يحاول إيذائها.

حين اقتربت ليلى ورأت إياد محاطًا برجاله والرجل الممسوك بينهم، شعرت بأن الأرض تميد تحت قدميها.

اقتربت خطوة بخطوة، وصوتها يخرج مكسورًا:إياد إنت بتعمل إيه؟

مين الشخص ده وليه ماسكينه كده؟

التفت إياد إليها، وحاول سريعًا تهدئة ملامحه، لكنه لم ينجح تمامًا.

.عيناه بقيتا تحملان غضبًا هائلًا لا تستطيع هي تفسيره

ليلى بس روّقي الموضوع مش عليك، ده واحد كان بيراقب المكان.

!بيراقب؟

.طلبت أن ترى الهاتف

.ومع تردد واضحة، سلّمها إياد الجهاز

لحظة واحدة كانت كافية لتفقد أنفاسها صور لها في كل

الأماكن.
صور مع سامي.
صور عند باب بيتها.
صور وهي تبكي على مقعد الحديقة وصور من داخل المدرسة حيث يدرس ابنها.
يديها بدأت ترتجف، وصوتها اختفى تمامًا.
نظرت إلى إياد بعينين مليئتين بالخوف لأول مرة:إياد ده بقاله قد إيه بيتتبعني؟ مين اللي بيعمل كده؟
وهل هل ممكن يأذي سامي؟
اقترب منها إياد فورًا، ووضع يديه على كتفيها ليمنع انهيارها:مش هيقرب منكم لا هو ولا اللي وراه .أنا معاكِ، ومش هسيب حد يلمس شعرة منك.
لكن ليلى لم تسمع سوى كلمة واحدة:اللي وراه يعني في حد أكبر حد يخطط.
بعد أن هدأها إياد قليلًا، رفع نظره للرجل الممسوك وسأله بنبرة حادة:اتكلم مين بعتك؟
لو قلت الحقيقة هخففها عليك لو كذبت هتندم.
الرجل كان يرتجف حرفيًا، ثم قال:أنا كنت بتعامل مع واحد بيبعتلي فلوس عشان أصور الست دي.
إياد:اسمه إيه؟
ماعرفش اسمه الحقيقي بس بيتصل من رقم مخفي

كان بيقول لي دايمًا :صورها، صور اللي حواليها،
وخصوصًا الراجل اللي معها.
"إياد تضيق عيناه:الراجل اللي معاها؟ تقصد أنا؟
أيوه قال لازم يعرف كل حركة بتعملها ومين بتقابل.
ليلى تضع يدها على فمها في خوف.
ثم يضيف الرجل جملة قلبت كل شيء:وقال إن هي سرقت
حاجة تخصه ولازم يدمرها، خطوة بخطوة.
ليلى شعرت بصدمة كهربائية تخترق جسدها.
إياد مباشرة فهم أن المسألة انتقام شخصي لا شائعة ولا
غيرة فقط.
بل شيء أخطر.
قبل أن يكمل الرجل كلامه جاء صوت من الجهاز
اللاسلكي مع أحد رجال إياد:باشا السايق اللي في العربية
السودا هرب !العربية اتحركت بسرعة شديدة.
إياد ضرب بقبضته على الطاولة الحديدية بجانبه:ما
تسيبوش حد !اقفلوا المخارج.
خرج ركضًا خارج المنتجع، فيما تبعه رجاله.
السيارة السوداء ظهرت على باب المنتجع الخلفي، تتسلل
بنعومة أولًا ثم تنطلق كأنها سهم.
!إياد صاح:واراها !بسرعة
،عشر ثوانٍ فقط والسيارة دخلت شارع جانبي سريع

واختفت بين السيارات بطريقة محترفة.
لكن أحد رجال إياد التقط رقم اللوحة قبل اختفائها.
عاد إياد لليلى وهو يلهث قليلًا، ممسكًا بذراعها:ما تخافيش جبنا رقم العربية .هنوصّل لصاحبها وهعرف مين اللي عمل كل ده.
لكن ليلى بدأت ترتجف بقوة، والدموع تنزل دون توقف:يعني في حد من زمان بيلاحقني وأنت ما تقولّيش؟ كنت خايفة، إياد أنا تعبت مش قادرة أعيش وأنا مراقبة!
ضمّها إياد بقوة لدرجة أن ذراعيه كانتا تحميان ظهرها بالكامل:أنا آسف آسف لأني أخفيت جزء من اللي عرفته بس كنت عايز أبعد الخوف عنك.
وتزداد دموعها.
في نفس الليلة، بينما كانت ليلى في غرفتها محاطة بحراسة مشددة، تلقى إياد اتصالًا من التحقيق الميداني:الباشا عربية السودا اتسجلت باسم شركة وهمية لكن كاميرات الطريق جابت لنا لقطة للسائق قبل ما يلبس الكمامة.
إياد يقف فجأة:هاته.
عُرضت الصورة على شاشة صغيرة.
السائق كان شابًا صغيرًا، لكن ملامحه واضحة.

!إياد صُدم.مش معقول ده ده واحد اشتغل قبل كده مع سامر أي شقيق ليلى نفسه.

وهنا فهم إياد شيئًا مخيفًا:سامر ليس وحده هناك من يستخدمه، أو يتحكم فيه أو كلاهما.

وقصة الانتقام ليست فقط غيرة أخ بل شيء أعقد وأعمق.

عاد غرفة ليلى، وجدها مستيقظة تنتظر سماع الحقيقة.

جلس بجانبها، أمسك يدها:ليلى اللي بيحصل أكبر مما تتخيلي وأنا لازم أقولك الحقيقة.

تنظر له بخوف:مين اللي ورا كل ده؟

إياد ينظر في عينيها مباشرة:اللي ورا ده مش غريب عليك. تتسع عيناها.

ويقول:أخوكي سامر جزء من الموضوع بس في شخص أخطر منه واحد عايز يمحي حياتك من الأساس.

ليلى ترتجف:مين؟

شخص مرتبط بماضيك.

وينتهي المشهد على صدمة ليلى، وقبضة إياد المشدودة، وصوت المطر بالخارج يزيد التوتر.

جلس إياد بجانب ليلى، وكانت يداه تعانقان يديها كأنه

يحاول نقل الطمأنينة إليها بالقوة.
عيناها كانتا ترتجفان خوفًا من الجواب، لكنه لم يعد
يستطيع إخفاء شيء.
قال ببطء:ليلى سامر مش هو الشخص اللي وراك.
تحدّق فيه بصدمة:مش سامر؟ طب ليه كل الدلائل ضده؟
ليه كل حاجة بتشير ليه؟
إياد يتنفس بعمق:لأن في حد أذكى حد استخدم اسمه
ورجاله وفلوسه من غير ما يعرف.
عقدت حاجبيها:حد مين؟
ينظر لها نظرة ثابتة:الشخص ده كان أكبر سر في حياتك .
سر حتى إنتِ ما كنتيش تعرفيه.
تتسارع نبضات قلبها.
اتكلم يا إياد مين؟
ناصر اليوسف :أخ أبوكي عمّك الحقيقي.
تهتز ليلى كأن أحدًا ضربها.
شرح إياد :ناصر اليوسف كان شريك والدها صالح
اليوسف في الشركة.
كان يريد أن يرث كل شيء، لكن بعد ولادة ليلى، أدرك أن
صالح كتب معظم أملاكه باسم ابنته الصغيرة حفاظًا عليها.
غضب ناصر، وبدأ يخطط لإقصاء صالح لكن وفاة

والدها المفاجئة قلبت كل شيء.

وبعد سنوات حين ظهرت ليلى مرة أخرى في حياتهم، اكتشف ناصر أن الوثائق ما زالت قائمة ليلى وريثة رسمية لجزء كبير من الشركة.

ومن هنا بدأ إرسال أشخاص لمراقبتها

تشويه سمعتها

الضغط النفسي عليها

ستخدام سامر كواجهة دون علمه

التحريض على إبعاد سامي عنها

محاولة دفعها للانهيار حتى تتخلى عن كل شيء

ليلى وضعت يدها على فمها، مصدومة، غير مصدّقة:يعني كل ده عشان ورث؟ عشان فلوس؟

عشان الطمع ولأنه بيكره إن اسم اليوسف يروح في فرع غير فرعه.

دموعها تسقط:بس أنا ما كنتش أعرف ولا عمري طلبت حاجة!

هو كان عارف إنك أنضف من إنك تطلبي وكان عارف إن أبوكي حماك وهو عايش فقرر ينتقم بعد ما مات.

يميل إياد نحوها ويقول:سامر ضحية زيه زيّك ناصر هدده، وخلاه يصدق إنك كنت سبب مشاكل قديمة بين أبوكم وبينه.

!سامر كان فاكر إنه بيحمي أبوه من حاجة ما يعرفهاش
وتظهر ذكريات سامر الأخيرة في المستشفى، ودموعه وسقوطه أرضًا بجانب سريرها.
ليلى تشهق بالبكاء:سامر بريء؟
بريء وغلبان وكان أداة.
ليلى تنهار تمامًا.
تحاول أن تتنفس لا تستطيع.
عيناها تتسعان، والدموع تغمر وجهها:ليه ليه محدّش حبّني؟ ليه كلهم اتخلّوا عني؟
يحملها إياد بين ذراعيه بسرعة:أنا هنا أنا مش هسيبك ولا هخلي حد يلمسك.
لكنها تبكي بعنف:حتى سامي ابني بيبعد عني بيخاف كله راح يا إياد!
يضمها بقوة تكاد تكسر ضلوعها:لا أنتِ مش لوحدك وأنا مش هتخلى عنك تزوجتك عشان أحميك وهافضل جنبك مهما حصل.
بعد أن هدأها، خرج إياد لغرفة العمليات الخاصة برجاله.
فتح الخريطة الإلكترونية على الشاشة اسمعوني الهدف الأساسي :ناصر اليوسف.
وبشكل سري طلب إياد فحص تسجيلات سنوات ماضية هل وفاة والد ليلى كانت مدبّرة؟:

رجاله يتبادلون نظرات صامتة.
في الوقت نفسه كان سامي يجلس في زاوية الغرفة، ينظر لوالدته وهي تبكي بين ذراعي إياد.
وجهه حزين جدًا.
طفل يشعر بأن العالم حوله ينهار ولا يفهم لماذا.
جلس بجانبها بعد أن هدأت، وضع رأسه على رجلها:ماما إنتي ليه زعلانة؟"
ليه ما بقتيش تضحكي زي زمان؟
ليلى انفجرت من جديد، وضمت ابنها بقوة:ماما جنبك يا حبيبي ومش هسيبك أبدًا.
سامي يهمس بخوف:في ناس بيقولوا عنك حاجات وحشة وأنا زعلان بس أنا بحبك يا ماما.
هنا انهارت أكثر.
وبصوت مخنوق قالت:أنا هرجع قوية عشانك عشانك أنت بس يا سامي.
يجلس إياد قربهما، يضع يده فوق أيديهما:اسمعوا من اللحظة دي إحنا تلاتة فريق واحد.
هندافع هنهاجم وهندمر كل اللي حاول يدمرنا.
ينظر لسامي:وأول حد هتحميه هو أنت يا بطل.
سامي يهز رأسه بشجاعة طفولية.
ليلى تمسح دموعها، تنظر لإياد بنظرة مختلفة نظرة ثقة

كاملة لأول مرة:إياد أنا مستعدة لأي حاجة جاية.
ويبتسم:اللي جاي بداية النهاية.
لم يجرؤ سامر على دخول غرفة ليلى في البداية.
كان يقف عند الباب، رأسه منحني، والصمت يأكل ملامحه.
سامي الصغير لاحظه أوّلًا، فاقترب منه بحذر:خالو سامر إنت زعلان؟
رفع سامر رأسه بعينين حمراوين:أنا أنا غلطت كتير يا بطل.
سامي مدّ يده إليه وسحب أصابعه بخجل لحظة ناعمة، أذابت جزءًا من الجليد في صدر سامر.
حين رفعت ليلى رأسها ورأته، ارتجفت.
لم تعرف ماذا تقول.
لكن سامر سبقها جلس على الأرض أمام سريرها، ووضع جبهته على السرير وبدأ يبكي بحرقة:أنا آسف آسف يا ليلى أقسم بالله ما كنت أعرف كنت أعمى كنت غبي كنت مت سامحيني manipulated.
يد ليلى ارتجفت، ثم وضعتها بهدوء فوق شعره سامر أنا عمري ما كرهتك.
رفع وجهه بسرعة، مدهوشًا:بس بعد كل اللي عملته؟
كنت فاكر إنك بتكرهني وأنا كنت فاكرة إني سبب

تعاستكم بس الحقيقة أكبر مننا يا سامر.
انهار من جديد لكنها هزّت رأسها:خلّص خلّينا نكون إخوات بجد.
سامر ضمّ يدها بقوة ووقفت صورة إياد عند الباب يراقب المشهد بصمت، والغيرة تشتعل قليلاً، لكن ابتسامة صغيرة ظهرت حين رأى صلحاً ينتظره منذ وقت طويل.
بعد دقائق كان إياد في غرفة العمليات الخاصة بفريقه.
على الشاشة صور، ملفات، حسابات بنكية، كاميرات مراقبة، وأسماء لها علاقة بناصر.
إياد قال بصرامة تشبه إعلان حرب:من اللحظة دي ناصر اليوسف مطلوب قانونيًا وعمليًا.
انتشرت الخطة تجميد شركاته الوهمية ملاحقة سائقه التحقيق في وفاة والد ليلى اللي رباها كشف حساباته الخارجية
اعتقال رجاله واحدًا واحدًا رصد كل تحركاته بالدقيقة
أحد الضباط قال:باشا ناصر مش سهل، ده ليه نفوذ.
إياد نظر له نظرة جعلت الغرفة كلها تصمت:لو كان سهل ما كانش تحدّانا.
بس أنا مش بخسر معارك.
كانت المواجهة غير مباشرة لكنها قوية.

في المكتب الزجاجي الضخم لناصر، رنّ الهاتف.
ألو؟
جاءه صوت ثابت وواثق:ناصر اليوسف؟
مين؟
إياد المحمدي.
تجمّد ناصر للحظة.
ابتسم ابتسامة باردة:أهلاً بيك سمعت عنك كتير .بس ما توقعت مكالمة شخصية.
إياد بصوت منخفض لكن مخيف:أنا مش بكلمك أنا ببلغك.
تبلغني بإيه؟
اللعبة خلصت.
ناصر ضحك بخفة:على أساس إنك فاهم كل حاجة؟
إياد:فاهم أكتر مما تتوقع.
وعارف إنك حطيت سامر في وش المدفع.
وعارف إنك وراك محاولة اغتيال فاشلة قبل شهور تخص حد مهم.
هنا توقفت أنفاس ناصر لحظة واحدة لحظة فقط لكن إياد التقطها.
إياد أكمل:عارف إنك بتدور على ملفات قديمة وعارف السر اللي مات عشانه اللي ربى ليلى.

ناصر يرد ببرود:أنت فاكر إنك هتخوفني؟
إياد يبتسم:أنا مابخوّفش أنا بنفّذ.
ثم قال الجملة التي جعلت وجه ناصر يفقد لونه:ليلى تحت حمايتي وابنها وشقيقها وكل اللي يخصّها.
لو قربت خطوة واحدة بس هخلّي اسمك ينتهي للأبد.
ناصر يصرخ لأول مرة، يفقد أعصابه:أنت ما تعرفش أنا مين!
إياد بردٍ قاتل:بالعكس أنت مش أكتر من رجل هيبدأ العد التنازلي لسقوطه الليلة.
وقبل أن يغلق الخط قال:وصدقني نهايتك هتكون على إيد بنت اسمها ليلى.
وأغلق.
ناصر رمَى الهاتف بقوة، وتحطّم على الأرض.
داخل المكتب لأول مرة منذ سنوات شعر بالخوف.
في تلك الليلة كانت ليلى جالسة في حديقة المستشفى بعد أن سمحوا لها بالخروج القصير.
سامر يجلس عند قدميها، وسامي في حضنها، وإياد واقف خلفها كأنه حارس أبدي.
قالت بصوت منخفض لكنه قوي:أنا مش ههرب تاني.
ومش هسيب حد يتحكم في حياتي.
اللي حاولوا يدمروني هواجههم.

إياد وضع يده على كتفها:وأنا معاكي خطوة بخطوة.
سامر أضاف بنبرة ندمية صادقة:وأنا كمان أختي.
اقترب سامي وقال بعفوية:وإحنا هنكسب يا ماما؟
ليلى قبلت رأسه:هنكسب وهنتخلص من كل الشر.
ثم تهمس لنفسها:ناصر انتهى وقتك.
بعد أيّام طويلة من الشكوك والضغط النفسي، يجتمع الجميع في قاعة الاجتماع الواسعة في الشركة إياد، ليلى، سامر، صالح اليوسف، ديلا، كريم، بيسان وكل شخص كانت له يد ظاهرة أو خفية في ما جرى.
الجو مشحون نظرات متوترة وقلوب تخفق.
إياد يدخل بثقة، وعلى وجهه نظرة حاسمة، ثم يضع ملفات وصور وتسجيلات على الطاولة ويقول ببرود:قبل ما نتّهم حد لازم نعرف الحقيقة كاملة واللي حصل مع ليلى كان أكبر من مجرد غيرة أو سوء تفاهم.
الجميع يصمت وسامر ينظر لوالده بخوف، ما زال يشعر بالذنب رغم أنه لا يعرف الحقيقة.
ثم يلتفت إياد نحو سامر ويقول:سامر أنت مش المذنب.
يتجمد وجه سامر، لا يصدق ما يسمع.
يفتح إياد التسجيل الأول ويظهر صوت رجل يحاول إقناع موظّف في الشركة بنشر إشاعة ضد ليلى.
ثم تظهر صور لشخص يدخل خلسة إلى مكتب ليلى

قبل الحادث بأسابيع.
ولحظة التوتر تنفجر عندما يعلن إياد بصوت قوي:اللي كان بيشوّه سمعة ليلى واللي حاول يوقع بينها وبين الكل مش سامر.
المجرم الحقيقي هو شخص من برّا العيلة، كان عايز يبتز صالح اليوسف ويوقع الشركة.
يظهر الاسم مدير قسم الحسابات المُقال سابقًا فراس.
صمت كامل ثم تنهار ديلا بالبكاء لأنها كانت متهمة نفسها أنها السبب.
وصالح اليوسف يرتعش غضبًا وندمًا وهو يلتفت نحو سامر الذي جلس منكمشًا في زاوية الغرفة، وعيناه ممتلئتان بالدموع.
الصغير سامي يركض نحو سامر ويحضنه، كأنه يشعر أنه لم يكن يومًا سيئًا.
وسامي يقول بصوته الصغير المهزوز:خالي سامر طيب ما يعملش كدا.
وسامر يبكي وليلى تتأثر وصالح يقترب من ابنه ببطء ويهمس:سامر ظلمتك وأنا آسف.
سامر ينهار في حضن والده، لأول مرة منذ سنوات يشعر أنه يُرى ويُفهم.
في صباح اليوم التالي، يدخل فراس الشركة كعادته،

متخفّيًا بثقة زائفة لكنه يفاجأ برجال الأمن يحاصرونه، وإياد يقف ببرود أمامه.
فراس يحاول التماسك:إياد أكيد في سوء سوء تفاهم.
إياد يقاطعه:سوء تفاهم؟
دا أنت حاولت تضرب سمعة ليلى، وتبتز أبو سامر،وتوقع الشركة كلها عشان طمعك!
يخرج إياد تسجيلًا لفراس يهدد موظفًا آخر:لو مشيت معايا هترجع الشغل بضعف الراتب.
فراس يجحظ بعينيه ينكمش يعرف أن اللعبة انتهت.
ويضيف إياد:على فكرة أنت مش بس شوهت سمعة واحدة بريئة أنت كنت السبب غير المباشر في الحادث اللي دخلها غيبوبة!
رجال الشرطة يدخلون يتم القبض عليه.
الجميع ينظر لإياد بإعجاب وصمت خاشع.
سامر أصبح أهدأ أكثر نضجًا بعد ما حدث.
كلما رأى ليلى يطأطئ رأسه ويقول:حقك عليّ من قلبي.
وليلى تبتسم له ابتسامة خفيفة تكسر جبل العداوة القديم.
سامر لأول مرة يشعر أن لديه أختًا وليلة الحادث أصبحت تطارده وتعيد تشكيله من الداخل.
بعد الأزمة سامي تغير.

ابتعد سكت صار يخاف أن تتركه ليلى أو تحصل لها مصيبة أخرى.
كلما أرادت أن تحضنه، كان يتراجع ويقول:ماما أنت هتنامي تاني وما تصحيش؟
كلمات صغيرة لكن الخنجر الذي خلفها كان عميقًا.
ليلى تبتسم أمامه وتنهار وحدها.
مع معاناة سامي وتدهور ليلى النفسي ورغبتها الدائمة في الانعزال إياد يتخذ القرار:إحنا لازم نسافر دلوقتي.
لازم نغير الجو نرجّع روحك.
لم يناقشها.
جمع أوراق السفر.
أقنع صالح.
طمأن سامر.
وطلب منها ترتّب حقيبتها، لأنه لن يتركها تنهار ثانية.
ليلى تحاول تعترض لكنها منهارة لدرجة تجعلها عاجزة عن الرفض.
في المطار كانت صامتة وعيناها تائهتين.
وسامي يتمسك بيدها بخوف لا يشبه أي شيء مرّ به من قبل.
إياد ينحني للطفل ويقول:أنا هنا وهفضل معاكم عمرك ما هتفقد مامتك.

سامي يركض ويحضن إياد وهي اللحظة التي جعلت ليلى تدمع بصمت.

يستقر الثلاثة في دولة هادئة، لا يعرفهم فيها أحد.

أجواء دافئة، البحر قريب الهدوء يغطي المكان.

أول يوم ليلى تبكي.

ثاني يوم تنام كثيرًا.

ثالث يوم يبدأ سامي يلعب قليلًا.

وفي اليوم الرابع حدث ما قلب الأحداث.

إياد، الذي كان يتظاهر بالاسترخاء، في الحقيقة كان يراقب المكان.

عين مراقبين متخفّين يرصدون كل حركة.

وفي ليلة هادئة يأتي أحد المراقبين إليه ويقول:باشا اللي كان بيلاحق مدام ليلى في البلد ظهر هنا.

التهديد الحقيقي تبعهم للسفر.

بداية جديدة لكن الخطر supposed to be السفر كان كان أسرع منهم.

ليلٌ هادئ في الشقة الساحلية موج البحر قريب والمدينة نائمة.

لكن إياد مستيقظ.

ينتظر تقرير المراقبين.

فجأة يهتز هاتفه إنذار.

باشا الشخص اللي كنا متابعين تحركاته ظهر قدام الفندق.
واضح إنه اتبعكم لغاية هنا.
إياد ينهض فورًا.
يحدّق في ليلى النائمة، شعرها مبعثر، وجهها شاحب...
وسامي نائم على صدرها، متمسك بها كأن العالم كله قد
ينهار لو افترقا.
يتمتم بينه وبين نفسه:مش هسمح لحد يقرب منكم.
المفاجأة أن المراقبين يرسلون تسجيلًا رجل مجهول، يحمل
ملفًا، يلتقط صورًا للشقة يتحدث في الهاتف:لازم نرجّع
الولد بأي طريقة وإلا كل حاجة هتضيع.
الولد؟
سامي؟
إياد يتجمد.
هل الحكاية أكبر من تشويه سمعة؟
هل هناك سر مخفي عن نسب سامي ذاته؟
لكن لا وقت للغوص الآن.
الأولوية حماية ليلى.
في اليوم التالي، ليلى تقرر لأول مرة الخروج قليلًا.
وجهها لا يزال حزينًا لكنها تريد أن تعود للحياة.
إياد يسير خلفها وعلى جانبيها رجال لا تعرفهم،

متنكرون كعائلات وسياح.
في لحظة واحدة رجل يرتدي قبعة يقترب منها بشدة، يحاول لمس ذراع سامي.
سامي يصرخ:إيييياد!!
إياد يندفع كالبرق يمسك الرجل من معصمه ويكاد يكسره:لو لمست الطفل تاني هقطع إيدك.
الرجل يحاول التعلثم:كنت كنت بسأل عن.
إياد يضربه ضربة قاسية تُسقطه أرضًا.
ليلى تنهار بالدموع وهي تمسك سامي وتضمه بقوة:مش عايزة أي حد يقرب من ابني مش عايزة!
إياد يلتفت إليها يقترب يمسك كتفيها لأنهما يرتجفان:ولا حد هيقرب منك أنا معاكِ.
كلمات قليلة لكنها الكلمة التي كسرت خوفها، وأذابت جزءًا من الجدار الذي بنته حول قلبها.
بعد الحادث، ليلى تجلس على الشرفة، بينما البحر يمتد أمامهما.
سامي نائم في الداخل.
ليلى تهمس بصوت مكسور:أنا تعبت يا إياد كل ما أقف حاجة جديدة توقعني.
إياد يجلس بجوارها وقال بحنان غير معتاد منه:أنا هنا عشان تمسكي فيّ مش عشان أقف أتفرج.

ليلى تحدّق ببقع الضوء على الماء وتشعر أن صدرها يضيق ثم ينفتح.
لم تعد تبكي بصوت، لكن دموعها تنزل ببطء وإياد لا يبتعد.
يتركها تبكي ويترك كتفه لها.
عندما هدأت، أرادت أن تنطق:لو لو مش أنت كنت معايا كنت زماني.
إياد يقاطعها وهو يرفع وجهها من ذقنها:ما تقوليش أنا فاهم.
وبرعشة خفيفة، وهي أول مرة يحدث شيء كهذا بينهما خاطفة. يقترب تقترب قبلة قصيرة جداً.
لكنها كانت كفيلة بأن تغيّر كل شيء بينهما.
ليلى تتراجع مصدومة تضع يدها على فمها وإياد يشيح بنظره، كأنه يخشى أن يلمحوا مشاعره الحقيقية.
لكن لم يعد أي منهما قادرًا على إنكار ما حدث.
بعد تلك الليلة، يقف إياد وحده على الشرفة، يفكر بعمق.
لازم أحميها ولازم أكمل اللي بدأته.
أنا جوزها وهحميها مهما حصل.
في صباح هادئ، جلس إياد في الشرفة يتفحص ملفًا تسلّمه من رجاله.
ملف ثقيل لكنه يحمل الإجابة التي كان يخشاها.

.الورقة الأولى كانت صورة للرجل الذي حاول لمس سامي
والثانية تقرير:الرجل يعمل لحساب جهة خاصة تبحث عن
.طفل مجهول الأب مواصفاته تطابق سامي
.إياد يضرب الطاولة بقبضة صامتة
.إذن الخطر ليس على ليلى وحدها
.الخطر على سامي أيضًا
.ثم ينتقل للصفحة الأخيرة وهنا يشيح بوجهه في صدمة
اسم رجل يبحثون عنه منذ سنوات سامي صالح اليوسف
.ابن صالح اليوسف الحقيقي
.الوريث الشرعي الذي اختفى وهو رضيع
إياد يغمض عينيه:سامي الصغير هو الوريث اللي كانوا
.بيدوروا عليه
وهذا يعني أن من يريد الطفل
.لا يريد الخير له إطلاقًا
ليلى دخلت الشرفة خفيفة الخطوات، ويبدو أنها كانت
تستجمع شجاعتها لتتحدث عنهما وعن قبلة الأمس
.لكنها رأت وجه إياد المتوتر
جلست بجانبه:إياد في حاجة حصلت؟

تردد لحظة لكنه لم يستطع الكذب عليها بعد الآن.
ناولها التقرير.
ليلى قرأت اسم صالح اليوسف ثم اسم سامي ثم الكلمة التي خانت قلبها:وريث
وجهها شحب.
يدها ارتجفت.
يعني ابني بخطر؟
حد عايز ياخده؟
ليه؟
اليه؟!!
إياد يمسك يدها بسرعة:ولا حد هيقرب منه.
أنا وعدتك وهفضل على وعدي.
لكنها تبكي تتنهّد وتضع رأسها على صدره لأول مرة دون خوف.
أنا مش قادرة خايفة يا إياد خايفة أفقده زي ما فقدت نفسي سنين.
إياد يحتضنها بقوة، وكأنه يحتضن مخاوفها كلها:مش هتفقدي حد طول ما أنا موجود.
قاطع لحظتهم اتصال طارئ.
إياد ردّ بقلق:إياد باشا عندنا مشكلة.
الرجل اللي كان بيلاحق الطفل اختفى من الفندق.

اختفى؟!
والأسوأ لقينا ورقة في سيارته مكتوب عليها عنوان الشقة اللي أنتم فيها.
إياد وقف بسرعة.
ليلى وضعت يدها على فمها من الرعب.
وهنا كان القرار:لازم نمشي الليلة.
مهما كان الثمن.
بعد الاتصال المزعج، لم يكن أمام إياد أي خيار.
دخل غرفة ليلى وقال بصوت منخفض لكنه حازم:جهزي شنطة خفيفة هنمشي فورًا.
ليلى حدّقت فيه بخوف:دلوقتي؟ في نص الليل؟
أيوه المكان اتكشف.
سامي كان نائمًا، فحملته ليلى بسرعة، وقلبها يدق كطبول حرب.
خرجوا من الباب الخلفي للشقة.
سيارة سوداء تنتظرهم دون أضواء داخلية، ورجال متخفون ينتشرون في الشارع كظل غير مرئي.
ليلى تجلس بالمقعد الخلفي، تضغط سامي إلى صدرها، بينما إياد يجلس بجوار السائق يراقب كل منعطف.
لم يبتعدوا سوى 10 دقائق حتى لمح إياد سيارة رمادية تتبعهم على بعد مناسب.

قال للسائق:غيّر الطريق دلوقتي.
السيارة انعطفت بسرعة، لكن السيارة الرمادية تغيّر اتجاهها معهم.
ليلى شهقت:بيتبِعُونا؟!
إياد أمسك يدها:ومتخافيش أنا معاك.
رفع جهازًا صغيرًا وقال:الوحدة ألفا جهزوا نقطة الإغلاق.
وعند نفق ضيّق، خرج رجلان من الظل ووقفا في منتصف الطريق.
السيارة الرمادية حاولت التراجع لكن سيارة أخرى سدت الخلف.
وبلا صراخ ولا إطلاق نار،أُمسك الرجلان داخل السيارة في لحظات.
سامي يهمس بصوت صغير:ماما إحنا هنموت؟
ليلى تضمّه:لأ يا حبيبي إحنا بخير.
لكن صوتها كان يرتجف.
في مكان آمن أُدخل الرجل الرئيسي إلى غرفة التحقيق.
ليلى بقيت في غرفة خارجية صغيرة، جالسة على كرسي، وسامي متمسك بملابسها.
إياد دخل ليطمئن عليها:هبدأ التحقيق لو سمحتِ استريحوا هنا.
ليلى تهز رأسها، لكنها تخفي بكاءها.

إياد يلمس كتفها:مش هسمح لحد يقرب منكم ولا حتى خطوة.
ثم يغادر.
من خلف الباب، تسمع صوت الرجل وهو يصرخ:إحنا عايزين الولد !!الطفل ده مش ابنها أصلا!
ليلى وضعت يدها على صدرها كأن قلبها انقسم نصفين.
بعد ساعة، خرج إياد منهكًا، لكنه أخفى القلق بعناية.
اقترب منها ببطء:ليلى لازم نسافر تاني.
الخطر مش شخص ده تنظيم كامل.
ليلى حدّقت في الأرض:يعني طول الوقت ده أنا كنت عايشة وأنا مش عارفة إن سامي.
قطع كلامها بسرعة:سامي ابنك.
انسي كل اللي اتقال جوا.
متخليش حد يشكك في ده.
لكن دموعها سبقت كلماتها.
بس ليه ليه أنا؟
ليه ابني؟
ليه حياتي بقت كده؟
أنا تعبت تعبت أوي يا إياد.
وهناك انفجر الجزء الذي كانت تخبئه.
بكت في حضنه لأول مرة.

بكاء انكسار وبكاء روح فقدت الأمان.
إياد يضمّها بقوة:أنا هنا ومش هسيبك.
كانوا يستعدون لمغادرة المكان الآمن عندما وصل اتصال آخر.
إياد رد، وبعد ثوانٍ تغيّر لون وجهه.
ليلى سألت بخوف:في إيه؟
إياد أغلق الهاتف ببطء وقال:ده بخصوص بيسان.
ليلى عقدت حاجبيها:بيسان؟ عملت إيه المرة دي؟
تنفس إياد بعمق:بيسان اتصوّرت وهي بتدخل مكان مش المفروض حد يعرفه.
مكان تابع لنفس الجهة اللي بتطارد سامي.
ليلى اتسعت عيناها:يعني هي معاهم؟!
إياد shook his head: مش متأكد لكن الواضح إنها مش بريئة.
ليلى تشهق:يا رب ده معناه إن الخطر أقرب مما كنا فاكرين.
إياد ينظر إليها نظرة تختلف عن أي مرة:ومعناه كمان إني مش هسيبك لحظة واحدة يا ليلى.
وأول مرة منذ زمن هي لم تعترض.
في المساء، تلقّى إياد ملفًا جديدًا من فريق المراقبة.
عندما فتحه اتسعت عيناه.

الصور تُظهر بيسان مع الرجل الذي حاول اختطاف سامي.
بيسان تدخل مبنى تابع للمنظمة التي تبحث عن الوريث.
بيسان تتبادل رسائل مع جهة مجهولة.
ثم المفاجأة بيسان ليست مجرد أخت بالتبني.
بل كانت على علم بسر سامي قبل الجميع.
إياد أغلق الملف بقوة:يا بيسان إيه اللي عملتيه؟
بعد يومين فقط، بينما كانت ليلى تغسل الصحون وسامي يلعب في غرفة المعيشة سمعت صوت ارتطام خفيف في الشرفة.
وعندما خرجت رجل مقنّع يقف داخل الشرفة
وقد أمسك سامي من ذراعه!
سامي يصرخ:ماماااا!
ليلى تجري نحوه بلا تفكير، لكنه يدفعها بقوة فتصطدم بالجدار.
قبل أن يهرب الرجل بالطفل سمعوا صوتًا مدويًا:وقف مكانك!
إياد اندفع مثل عاصفة، وطرح الرجل أرضًا، ثم كبّله بانفعال غير مسبوق.
ليلى انهارت وهي تحتضن سامي:يااارب ارحمنا مش عايزة أفقده!

إياد اقترب، يرتجف غضبًا:مش هيقربوا منه طول ما أنا عايش.

مسح دموع ليلى، وضع يديه على وجهها وقال:إحنا هنختفي.

أنا وانتِ وسامي لحد ما نكشف كل حاجة.

ليلى تحدّق فيه بخوف:و وبيسان؟

حنى رأسه قليلًا ثم قال:هواجهها ومش هسامح أي حد يهددك حتى لو كانت هي.

كانت تلك اللحظةأول مرة تشعر فيها ليلى أن إياد ليس فقط زوجًا بل سندًا ودرعًا ومصيرًا جديدًا.

عاد إياد إلى المنزل قرب الفجر.

كان وجهه ممتلئًا بالإرهاق، وصوته يحمل ثقل شيء لم يستطع بعد أن يبوح به.

وجد ليلى نائمة على الأريكة بجانب سامي، كأنها خافت أن تنام وحدها.

اقترب ليغطيهما، لكن قلبه اعتصر لقد تأكدت شكوكه :

بيسان ليست كما تدّعي، وهي تحيط ليلى بخطر لم تتخيله.

لكنه لم يرد أن يصدم ليلى قبل أن يعرف الحقيقة كاملة.

في اليوم التالي، بينما كانت ليلى تحاول استعادة هدوئها، رن هاتفها.

رقم مجهول لكن الصوت لم يكن مجهولًا.
كريم.
كريم بصوت بارد :ليلى وصلِك تبليغ المحكمة ولا لأ؟
ليلى تتجمد :أي محكمة؟
كريم :المحكمة اللي راح تاخد فيها حضانة ابني سامي.
اسودّت الدنيا في عينيها.
حضانة سامي؟
الآن؟
بعد كل شيء يفعله بها؟
ليلى :كريم مستحيل !سامي ما بيروح معك!
كريم بسخرية :الليلك ولي انتي صرت متزوجة، وحياتك
مو مستقرة، ومرضك النفسي مسجّل بالمستشفى.
أنا الأحق فيه.
ارتجفت يداها، كأن الأرض اهتزت تحتها.
ليلى :سامي مستحيل يروح معك انت آخر واحد يفهم شو
يعني أمّ!
كريم :بنشوف بالمحكمة وأنا متأكد إن سامي نفسه
بيختارني.
أغلق الخط.
وانهارت ليلى من جديد.

إياد كان عند الباب، استمع لكل شيء.
اقترب منها بسرعة، حمل وجهها بين يديه.
إياد :ليلى قومي طالعي فيني.
!ليلى تبكي :بده ياخد سامي بده ياخده مني
ضمها بقوة، بقوة رجل خاف لأول مرة أن يخسر كل شيء.
إياد :على جثتي.
ولا بالمستحيل ياخده.
أنا موجود، والمحامي موجود، والقانون معنا.
ثم تراجع خطوة ونظر إليها بعمق إياد :اسمعيني من هاللحظة ما اردیك تخافي.
كل شي رح ينحل وهاد وعد.
لكن داخله كان يغلي.
كيف يجرؤ كريم على لعب هذه الورقة؟
ومن أعطاه الجرأة؟
ومن الذي يزوّده بمعلومات عن ليلى وحالتها النفسية؟
الأكثر قسوة من الدعوى هو تصرف سامي بعد الظهر.
عاد من المدرسة وهو متغير.
لم يقبّل ليلى كما يفعل كل يوم، لم يركض نحوها، فقط دخل غرفته.
ليلى بحزن :سامي تعال عندي.

سامي متردد :ماما بابا قال إنك إنك بتكرهيني أنا.
جمدت الكلمات في حلقها.
ليلى :سامي !مستحيل !مين قال ؟!
سامي قال :لما تصرخي أو لما تبكي انك بتتمني ما أكون موجود.
انهارت ليلى أرضًا من الصدمة.
هذه ليست كلمات طفل هذه كلمات شخص زرعها داخله.
وإياد أدرك وقتها الخطر ليس من الدعوى، بل من العقل الذي يعبث بسامي.
في تلك الليلة، تلقى إياد رسالة من أحد المراقبين الذين وضعهم سرًا.
كانت صورة لبيسان مع شخص يخرج من نفس مركز المحاماة الذي رفع كريم منه الدعوى.
والأسوأ كانت تسلّمه ملفًا أبيض.
فتح إياد الهاتف، يده ترتجف قليلًا.
ملف الحضانة.
بيسان لها يد في الموضوع.
وهذا يعني شيئًا واحدًا هناك من يستخدم بيسان أو يعمل معها لإسقاط ليلى.
عاد إياد للبيت، ليلى كانت على السرير تحتضن سامي الذي نام من كثرة البكاء.

جلس بجانبها.
إياد بهدوء لكنه ممزوج بالغضب :ليلى لازم تعرفي شي.
بس قبل ما أتكلم اريد وعد.
مهما كان ما رح تخافي ولا رح تلومي نفسك.
رفعت عينيها المرهقتين.
ليلى :وعد.
تنفس إياد بعمق
بعد كشف دور بيسان، بدأ إياد بجمع الخيوط.
كل خطوة، كل معلومة، كل حركة من كريم أو سامر أو حتى الأطراف المتخفّية.
إلى أن جاءه اتصال من المراقب الثاني:باشا في شخص جديد دخل على الخط.
اسمه سامي اليوسف.
تجمّد إياد في مكانه.
سامي اليوسف الأخ الأكبر لليلى.
الشخص المختفي من سنوات.
الاسم الذي كانت ليلى ترتجف كلما ذكره أحد.
لكن لماذا عاد الآن؟
ولماذا يتواصل مع نفس المجموعة التي تدعم كريم؟
في المساء، جلس إياد معها.
كان عليه أن يخبرها، مهما كانت الصدمة.

ليلى في شخص ظهر بهدوء: إياد.
شخص من عيلتك.
رفعت رأسها ببطء، وصوتها بالكاد خرج ليلى: سامر؟بابا؟
لا: إياد.
سامي.
شهقت ليلى، وارتعشت يداها وكأن أحدهم صفع روحها.
ليلى: مستحيل سامي مات أبي قال إنه سافر وما رجع إياد :
هو حي.
ومش بس هيك شكله داخل بقصة الحضانة وتشويه سمعتك.
وضعت يدها على فمها تمنع صرخة، وانهارت دموعها بلا صوت.
الطفلة التي كانت ليلى البنت التي لم تعرف الحنان إلا قليلًا كانت دائمًا ترى ظلًّا في البيت، يكره وجودها، يطردها من غرفته، يفتعل لها مشاكل.
سامي لم يكن مجرد أخ كان جرحًا.
كان يرى ليلى سبب خراب البيت بعد زواج والدها الثاني.
كان يحمّلها كل ذنب، ويستخدم قسوته لإخفاء عقدته من والدته التي تركته.
والآن عاد ليكمل ما بدأه.

في اليوم التالي، بينما كانت ليلى تغادر عملها، رأت رجلاً يقف بالقرب من بوابة الشركة.
طويل، أنيق، يحمل نظرة باردة تعرفها جيدًا.
توقفت خطواتها.
عجزت قدماها عن التحرك.
سامي.
رفع نظره إليها ابتسم ابتسامة مائلة، فيها كل الاحتقار الذي ظنّت أنها هربت منه لسنوات.
سامي :لسه عايشة؟
كنت مفكر رح تختفي من زمان.
لم تستطع الرد.
حتى دموعها رفضت أن تسقط.
ثم أكمل، بصوت منخفض يحمل سمًا سامي :سامي ولدك؟
ولا ولد كريم؟
ولا ولد مين بالضبط؟
طعنة في القلب.
طعنة جعلتها تتراجع خطوة للخلف.
اقترب منها وهمس سامي :ما تخافيش لسى الوقت ما حانش علشان تشوفي أسوء أيامك.
ثم رحل.

تركها حولها هواء خانق ونَفَس مرتجف وقلب حائر بين الماضي الذي عاد، والمستقبل الذي بدأ ينهار.

عادت للبيت وهي ترتجف، سامي يقترب منها:

سامي :ماما انتي بردانة؟

ليلى بصوت مكسور :لأ ماما بس تعبانة شوي.

لكنها كانت منهارة.

منهارة لدرجة أن إياد، عندما رأى عينيها، فهم فورًا إياد :

شافِك صح؟

سامي شافِك؟

أومأت ليلى بلا صوت.

ضمها إياد بقوة وقال :طالما أنا موجود ولا حتى يلمس شعرة منك.

ولا يفكّر يقرب من سامي.

لكن الحقيقة كانت أقسى:سامي لم يعد مجرد تهديد بل أصبح عقل التخطيط، والمحرّك الحقيقي لكل المصائب.

المساء كان ثقيلاً من النوع الذي يهبّ فيه الصمت كعاصفة بلا صوت.

ليلى جلست قرب النافذة، ذراعاها تعانقان نفسها، ووجهها شاحب.

لم تكن تلك المرأة القوية التي واجهت العالم...

كانت طفلة محاصرة في زاوية، ترى شبحًا يشبه

الماضي يعاود مطاردتها.
إياد خرج من الغرفة بعد مكالمة طويلة مع أحد رجاله.
عندما رأى وجه ليلى، أدرك أنه لم يعد هناك وقت.
اقترب منها ووضع يده على كتفها إياد :ليلى في شي لازم تحكيه.
شو عمل فيك رامي زمان؟
أغلقت عينيها بقوة، وخرج صوتها ممزوجًا بالخوف ليلى :
كان يكرهني.
يكره مجرد وجودي.
كان يلقّبني بالخطأ.
كان يحمّلني ذنب كل شي.
ذنب أمّه ذنب أبونا حتى ذنب حياته هو.

تنفست بصعوبة ليلى :إياد سامي ما بيرحم.
وإذا رجع يعني جاي يخرب.
أمسك إياد وجهها بكل رفق وقال إياد :وأنا موجود حتى ما يقدر يعمل شي.
بس لازم أعرف شو جاي يدور عليه.
سحب هاتفه، وقال بحزم إياد :اليوم رح أحكي معه.
بعد ساعة فقط، تلقّى إياد رسالة إذا بدك تتكلم تعال على الكافيه اللي تحت الشركة.

سامي
ابتسم إياد ببرود إياد :واضح إنه مستعجل يواجهني.
قبل أن يغادر، وقفت ليلى أمامه، جسدها يرجف ليلى :إياد
لا تستفزه.
رامي ما بيتعامل بالعقل.
لمس وجهها بحنان إياد :وأنا ما بخافش من حدا خصوصًا
اللي بيهدد مرتي.
ثم خرج.
في زاوية الكافيه، جلس سامي يرتدي ملابس سوداء، نظرة
حادة، وثقة متعالية.
عندما وصل إياد، رفع رامي رأسه ببطء وتأمل الرجل
الذي استطاع أن يحتضن ليلى ويحميها.
ابتسم بسخرية سامي :أخيرًا العريس العظيم.
جلس إياد أمامه بثبات لم يهتز لحظة.
إياد :خلّصني من سخافتك ماذا تريد من ليلى؟
ضحك سامي ضحكة ساخرة سامي :مني أنا؟ أنا مش جاي
آخد منها.
هي اللي أخذت كل شي.
أخذت أبي.
وأخذت اسمي من حياتي.
وأخذت الشركة اللي كان لازم تكون لي.

انحنى للأمام وهمس بصوت بارد سامي :والآن أريد آخد ابنها.
انقلب وجه إياد للحظات، لكنّه بقي ثابتًا.
إياد بصوت مخنوق بالغضب:سامي؟
الصغير؟
ماذا تريد منه؟
رفع سامي حاجبيه ببرود سامي :بدي أوجّعها وما في شي بيوجع أم زي ابنها.
هنا فقط لمع الشر في عينَي إياد.
إياد :اسمعني منيح لو مدّيت إصبع واحد باتجاه سامي والله ما رح تلاقي مكان بالعالم تهرب فيه.
ضحك سامي بلا خوف سامي :هيك؟ بلّشت الغيرة؟
ولا خايف إنّي آخذ مكانك عند ليلى؟
هيا تحب الضعفاء مو الرجال.
هنا وقف إياد.
اقترب من سامي لدرجة أنه شعر بأنفاسه إياد:أنا مش خايف منك.
بس شوف.
إذا قربت على ليلى أو سامي رح تعرف أنا مين قبل ما تتنفس.
ثم غادر تاركًا سامي خلفه، نظرة حقد تلتمع في عينيه.

بعد لحظات، تلقّى سامي
سامي :إيه؟
نعم ابدأ بالخطة.
حياة ليلى كانت على وشك الدخول في مرحلة أخطر وسامي لم يكن مجرد أخ حاقد كان عدوًا يعرف تمامًا أين يضرب.
وهي بتقفل السِتارة قبل النوم، عينها وقعت على عربية سودا واقفة تحت العمارة مش عارفة ليه، قلبها اتقبض فجأة.
نادت بصوت مكسور ليلى :إياد ممكن تيجي لحظة؟
دخل بسرعة ولما شاف وشّها عرف إن في حاجة غلط.
إياد :في إيه يا ليلى؟
ليلى :العربية اللي تحت بقالها كتير واقفة.
حاسّة إنها مش طبيعية.
قرب من السِتارة وبَص، ملامحه اتشدّت هو فهم فورًا.
العربية اختفت في لحظة قبل ما ليلى تلحق تبص تاني.
ابتسم لها ابتسامة مطمئنة لكن مش حقيقية إياد :عربية عدّت وخلاص ما تقلقيش.
وبمجرد ما دخلت لجوه بعت رسالة لرجالته:راقبوا المكان سامي بدأ يتحرك.
دخلت ليلى أوضة سامي تظبط له السرير، لقيته قاعد

في الركن، ساكت وعينيه مليانة دموع.
قلبها وقع فورًا.
ليلى :سامي مين زعلك يا حبيبي؟
ماما بابا كريم كلّمني :مسح دموعه بسرعة سامي.
صوتها اتقطع ليلى :إمتى؟
وليه ما قولتش؟
سامي وهو يبص للأرض :قالّي إنك مش عايزاني وإن إياد هياخدك مني وإنك مش بتحبيني زي زمان.
الكلام دخل صدرها زي سكينة.
ليلى :الكلام ده كذب! حضنته بقوة
إنت ابني روحي محدّش يقدر يبُعدني عنك أبداً ولا إياد ولا أي حد.
بس سامي ما ردش وما حضنهاش زي كل مرة.
كان فيه حاجة اتغيرت جواه حاجة اتزرعت بسمّ.
في أوضة فندق شيك، رامي قاعد يتفرج على فيديو سامي وهو بيعيط صوت الطفل متكسر.
ضحك براحة سامي :كده تمام خلّي ليلى تتعلم يعني إيه خسارة.
رفع تليفونه سامي :ألو، كريم يلا نكمل الولد بدأ يبعد عنها وزمانها هتتهد.
كريم بتردد:بس مش عايز سامي يتأذي يا سامي.

سامي بسخرية:هو مش هيتأذى إلا لو ليلى ما فهمتش الرسالة.
ليلى ما نامتش كانت داخلة طالعة بين أوضتها وأوضة سامي، خايفة عليه من الهوا.
جلست جنبه، لمست خُصل شعره، وقالت بصوت مخنوق
ليلى :يا رب هو رجع ليه؟
سامي سيبني في حالي.
دمعة نزلت وأول مرة تحس إنها فعلاً مش قادرة تصمد أكتر.
الصبح، لقاها قاعدة في البلكونة، شكلها منهار.
قعد جنبها إياد :ليلى انتي مخبية عليا إيه؟
ردّت بصوت ضعيف ليلى :إياد سامي بيبعد عني وباباه بيلعب في دماغه وسامي جاي ينتقم مني في ابني.
ساعتها إياد حط إيده على إيدها وقال إياد :اسمعيني أنا هنا. ومش هسمح لحد يقرب منكم.
هعرف مين بيعمل إيه وهوقفه عند حدّه.
وقفت ليلى قدامه، وشها مليان خوف ليلى :إياد أنا خايفة يخدوه مني.
قرب منها وحضنها بس عينُه كانت نار.
وعد إن دي هتكون آخر مرة حد يرعب ليلى.

كانت الليلة هادية، بس قلب ليلى كان مليان دوشة .قاعدة في الصالة، ضامّة إيديها في بعضها، وكل شوية تبص ناحية باب الشقة كأنها مستنية حاجة تحصل أو حد يظهر.
إياد خرج من أوضته بعد ما خلّص مكالمة طويلة تخص القضية بتاعة كريم، ولما شاف وجهها الشاحب قرب منها بهدوء.
إياد:مالك يا ليلى؟ من ساعة ما رجعنا وإنتي ساكتة في حاجة تعبّاكي؟
ليلى هزّت راسها وقالت بصوت واطي:حاسة إن الدنيا بتقرب عليّا يا إياد كريم رافع قضية على الحضانة، وسامي بقى بيبعد عني، ومش فاهمة ليه وبعدين ظهرت بيسان، وأخويا اللي اختفى سنين فجأة ظهر!
إياد قعد قدّامها، مسك إيدها بحنان:أنا قولتلك طول ما أنا موجود، محدّش هيقربلك وإحنا هنكسب قضية الحضانة، متقلقيش.
قبل ما تكمل كلامها، باب الشقة خبط خبطة تقيلة ليلى اتوترت فورًا.
ليلى:مين ده؟ الوقت اتأخّر.
إياد وقف، مدّ إيده ناحية مسدسه اللي كان مخبيه في درج قريب، وراح للباب.

فتح الباب، وللحظة ملامحه شدّت.
واقف قدّامه راجل طويل، جسمه نحيف بس شكله قاسي
شعره منكوش شوية وعيونه غامقة، فيها غضب قديم.
وشبه ليلى شبه ما يخطئش.
الراجل بابتسامة باردة:إزيك يا أختي؟ مش هتسلمي؟
ليلى قامت واقفة، رجليها بتتهز:مروان؟
مروان:اه أنا راجع يا ليلى بعد ما اختفيت عشانكم .
تفتكريني هسيب حقي؟
إياد وقف بينه وبين ليلى فورًا:إنت واقف على باب بيتي
وبتتكلم بتهديد .لو عندك كلام قولّه من غير لعب عيال.
مروان بصله بنظرة فيها استهزاء:يا باشا أنا جاي لأختي
والحق يتقال وجودك في حياتها بوّظ حاجات كتير بس
ماشي لكل وقت.
دخل خطوة لجوة ليلى اتراجعت غصب عنها، وإياد مد إيده
ومنع مروان من التقدم.
إياد بحدة:قف قبل ما أفوّت النقطة دي إنت غايب سنين بلا
خبر وراجع تهدد؟
مروان رفع حاجبه:لما تعرف هي عملت إيه فيّا زمان
ساعتها بس هتفهم أنا راجع ليه.

ليلى صارت تتنفس بصعوبة.
ذكريات كانت محبوسة جوا عقلها، رجعت تتحرك حقد، ظلم، وليل طويل عاشته وهي طفلة.
بس دلوقتي مروان راجع لسبب واضح انتقام.
سامي طلع من الأوضة بعد ما سمع الأصوات، عينه لقت الراجل الغريب، وجري بسرعة ولازق في رجل إياد وهو خايف.
قلب ليلى اتقطع لما لقي ابنها بيبعد عنها ويرتمي في حضن جوزها بدلها.
مروان ضحك بسخرية:حتى ابنك مش جاي جنبك شكله واخد باله.
ليلى اتجمدت مكانها والدموع فضلت تتحبس عشان ما تنهارش.
إياد ماستحملش الكلمات دي، قرب خطوة من مروان وقال بصوت منخفض بس مرعب:لو كررت كلمة زيادة هتخرج من هنا على قسم الشرطة وإنت عارف كويس أنا اشتغالي إيه .فاهم؟
مروان رفع إيده باستسلام مصطنع:ماشي يا باشا ماشي ليا رجعة.
ومشي.
لكن قبل ما يقفل الباب، بصّ لليلى نظرة خلت رجليها

تبرد تمامًا.
ليلى همست:هو هو مش هيسيبني يا إياد.
إياد حضنها، مسك راسها على صدره:ولو كان آخر يوم في عمري مش هسمح له يأذيكي .ولا ياخد سامي .ولا يهد بيتنا.
سامي قرب بخطوات بطيئة ولأول مرة من فترة طويلة، مدّ إيده ولمس يد أمه، كأنه فاق من غيابه عنها.
سامي:ماما متعيطيش.
ليلى نزلت لحدّه وحضنته دموعها نزلت أخيرًا، بس كانت دموع خوف وراحة ورجوع ابنها لحضنها.
وإياد واقف فوقهم وعينه بتلمع بعزيمة ما تهزش:اللعبة بقت واضحة وسامي وظهور شقيقها من امها ؟
أنا اللي هخلصها.
الصبح بدأ عادي أو ده اللي كان مفروض يحصل.
بس لما إياد صحى وملقاش ليلى جنبه في السرير ...حس بحاجة غريبة.
يمكن في المطبخ يمكن بتصحي سامي.
لكن دقيقة اتأخرت.
ودق قلبه بدأ يعلى.
نزل بسرعة، نادى:ليلى؟ سامي؟
مفيش رد.

البيت ساكت سُكُوت مريب.
راح على أوضة سامي، فتح الباب السرير فاضي.
ملابس كانت متعلقة على الكرسي، الشنطة الصغيرة بتاعة سامي مش موجودة.
قلب إياد وقع في الأرض.
فتح باب الشقة فجأة، جري لسلالم العمارة ونادى على الحارس:شفت ليلى وسامي خارجين؟ حد كان معاهم؟
الحارس اتوتر:والله يا باشا شفتها نازلة مع الصغير بس كانت مستعجلة أوي وركبت عربية سودة عليها زجاج فاميه .ظنيت حضرتك اللي باعت العربية.
وشه إياد شحب.
عينيه اتسعوا كأنه بيشوف كارثة قدّامه.
إياد بصوت عالي:عربية إيه؟ رقمها إيه؟ كانت واقفة فين؟!
الحارس اتلخبط، ماردش بسرعة.
إياد مسك ياقة القميص بتاعه من الخوف والعصبية:قولّي يا عمّ قولّي شفت إيه؟!
العربية كانت من غير نمر والحارس معرفش يوصف راكبها.
إياد رجع الشقة بخطوات تايهة مسك تليفونه وابتدى يرن على ليلى.

الرقم مغلق.
اتصل على أصحابه في الشغل، على زملائه في القسم، على كل حد ممكن يساعده.
وفي النهاية قعد على الأرض، يضرب كفه في البلاط.
إياد:مش ممكن مش ممكن تكون خرجت بإرادتها مش ليلى!
حد خطفها حد خطف مراتي وولدي!
لما كريم عرف من خلال المحامي إن ليلى مختفية...
جاله جنان.
اتصل على إياد بصوت مليان غضب:إياد !!ابني فين؟ !
ليلى فين؟ !إنت كنت فين وإنت سايبهم؟!
إياد رد بصوت مخنوق:أنا بدوّر عليهم يا كريم واللي عمل كده هيتحاسب.
كريم قطعه:لو ابني حصله حاجة هقلب الدنيا عليك.
ورمى التليفون.
لما الخبر وصل لمروان الوش البارد اختفى.
لأول مرة اتوتر.
هي راحت فين؟
إزاي تختفي كده؟
ومين غيري يعرف سرها القديم؟
مروان ما كانش متوقع إنها تختفي قبل ما "ياخد حقه"

منها.
وده زوّده جنون فوق جنونه.
مروان:لو حد أذاها غيري هافتح النار على الكل.
وراح يدور بمعرفته بطريقته اللي كلها سواد.
سامي الصغير كان في العربية مخطوف.
ولأول مرة في حياته بعيد عن حضن أمه.
كان بيعيط بصوت مكسور:ماما ماما أنا خايف بس مفيش رد.
وشخص مجهول سايق العربية، مش باين منه غير إيده الخشنة، وصوته المبحوح:اسكت يا ولد كل حاجة هتبقى تمام.
وسامي الصغير لرغم ضعفه حاول يخبّي دموعه زي ما شاف إياد بيعمل.
في آخر الليل إياد واقف في نص الصالة، ماسك صورة ليلى وسامي، وصوته بيتهز:لو جرالهم حاجة لو نسمة هوا لمستهم بدون إذني هحرق العالم.
ليلى فتحت عينيها بشويش لقت نفسها في مكان مختلف، مليان ألوان وزهور صغيرة وإضاءات دافئة، وألعاب سامي حواليه، و صوت صغير بيضحك.
لما بصت، لقت سامر واقف قدامها، وعيونه مليانة طمأنينة وحنية، مش زي الشخص اللي كانت خايفة منه

قبل كده.
قبل ما تفهم حاجة، سامر مد إيده وقال:متخافيش يا ليلى كله تمام دلوقتي.
ليلى ما صدقتش نفسها، جريت تحضنه، ودموع الفرح نزلت من عينيها.
سامر ضمها بقوة وقال:أنا جنبك ومفيش حد هيأذيكي.
في نفس الوقت، ليلى بصت على سامي، لقت الولد الصغير نائم بين الألعاب، وشعرت براحة كبيرة إنه بخير ومبسوط.
ليلى ابتسمت وقالت:شكراً يا سامر أنا كنت خايفة بس إنت كنت دايمًا جنبي من غير ما أحس.
سامر ضحك بخفة:مهمتي إني أخليكي سعيدة وسامي يفضل دايمًا مبسوط.
المكان كله كان مليان حب، وهدوء، وحسست ليلى إنها أخيرًا قدرت تاخد نفسها بعيد عن كل اللي حصل، مع إبنها وأحبابها.
ليلى صحيت من النوم على ريحة ورد خفيفة، ونسمة هوا بتعدّي من شباك كبير بيدخل منه نور هادي .أول حاجة شافتها كانت سامي نايم وسط الألعاب، حضنه الدبدوب، ووشه مرتاح كإنه في عالم تاني كله أمان.
ابتسمت ابتسامة من القلب لأول مرة من شهور.

قبل ما تقوم، سمعت خطوات هادية جاية من برا الباب اتفتح بشويش، وظهر سامر بتيشيرت بسيط وبنطلون جينز، شايل كوب عصير، وعينيه فيها اللمعة اللي عمرها ما شافتها غير عند حد بيحب فعلاً.

لما شافها صحيّت، قال بخفة:صباح الخير يا ليلى نمتِ كويس؟

هي ما ردتش فجأة دموعها نزلت من غير ما تحس.

سامر اتخض، قرب منها بسرعة، وقعد جنبها على السرير:يا ليلى إنتي بتعيّطي ليه؟ إنتي كويسة؟

من غير كلمة رمت نفسها في حضنه.

حضن أخوي ثابت دافي فيه طمأنينة كانت فاقداها من زمان.

قالت بصوت مكسور:أنا تعبت يا سامر تعبت من الحرب دي من الشك من الوجع تعبت من نفسي.

سامر ضمها أكتر، إيده على شعرها يطبطب بخفة:بس أنا هنا ومش هسيبك تاني، فاهمة؟ إنتي أختي ولما تغيب عني الدنيا كلها تسوَد.

اتسندت على كتفه، وقلبها بيهدى لأول مرة من شهور.

بعد لحظات، رفعت راسها، وابتسمت ابتسامة صغيرة:المكان جميل قوي إنت عامل ده كله علشانّي أنا وسامي؟

ضحك سامر بخجل نادر:ماهو لازم أخدكم في حضني شوية بعيد عن الدنيا اللي عايزة تقطع فيكي.
بصت له بامتنان:إنت أخويا بجد اللي كنت محتاجاه.
هو رد بابتسامة خفيفة:وأنا على فكرة عمري ما كان عندي أخت أفتخر بيها زيّك.
وفي اللحظة دي سامي صحى من نومه، رفع راسه وهو يفرك عينيه:ماما؟ فين إحنا؟
ليلى فتحت دراعها، وضمت ابنها وسامر مع بعض:إحنا في أحلى مكان مع أحلى أخ وأمان ربنا حوالينا يا حبيبي.
سامر ضحك ومسح على شعر سامي:إحنا تلاتتنا فريق واحد ومحدّش هيقدر علينا.
ومع إن الدنيا برا مليانة مشاكل لكن الأخ اللي بيرجع في وقت الشدة يبقى نعمة ما تتعوضش.
وليلى في اللحظة دي حسّت إنها مش لوحدها وإن ظهرها بقى مسنود بقلب صادق ورجل أصيل.
في نفس الوقت، كريم كان بيكلّم سامي الصغير من يومين معرفش يتواصل معاه ولما عرف إن ليلى مش موجودة، صوته اتغير:ابني مش معايا !وابنه مش مع إياد !يبقى !فين؟
!وبدأ يزعق:لو حصل له حاجة هتتحمّلها إنت يا إياد

إياد رد ببرود نابع من خوف:مافيش حد يتحمّل غير اللي أذى ليلى أصلاً مش وقتك يا كريم.

لكن الحقيقة؟

إياد كان من جوّاه بيغلي إيده بتترعش وهو ماسك الموبايل.

لما وصله الخبر، الرجل وقف ثواني مش قادر يتنفس.

يعني إيه؟ يعني إيه بنتي اختفت ومحدّش شافها؟!

صوته كان عالي، رجّه الشركة كلها.ابنها صغير وهي نفسيًا مش مستقرة إنتوا مستوعبين؟ !لازم نلاقيها فورًا!

الكل اتحرك الأمن المعارف السواقين لكن ولا حد لقى أثر لليلى أو لابنها.

دخل على إياد، لقى صاحبه واقف في نص الأوضة، وشه شاحب، ووشه كله قلق:إياد إحنا هنلاقيها بس لازم نهدي ونفكّر.

إياد مسك دماغه:ليلى مش من النوع اللي يهرب ولو هربت كانت قالتلي كانت سابت رسالة أي علامة!

فريد سأله:طب حد زعّلها؟ حد ضغط عليها؟

إياد اتجمد.

افتكر آخر يومين افتكر خوفها افتكر إنها كانت مكتئبة وسامي بدأ يبعد عنها وخز قلبه:هي كانت بتتألم وأنا ما أخدتش بالي.

ولا حد يعرف إنها في بيت سامر ولا حد يعرف إن سامر شايل أسرار أكبر من اللي متخيلينه ولا حد يعرف إن ليلى مش مخطوفة ولا هاربة
دي في حضن أخوها وأمان مختلف تمامًا عن اللي توقعوه.
وقف قدام باب البيت، خد نفسه، وبص لفريد:اسمع لو حد خطف ليلى مش هيسيب أثر.
ولو ليلى هربت فهي بتخبّي سر.
ولا كده ولا كده أنا هقعد مستني.
فريد بقلق:ناوي تعمل إيه؟
إياد رد وهو ماسك مفاتيح عربيته:هفتش الدنيا شارع شارع حدائق طرق مستشفيات أي مكان ممكن تروّح له.
لكن جواه؟
صوت واحد واحد بس يا رب احفظها .أنا مش قادر أعيش من غيرها.
إياد كان قاعد في العربية، تعبان من كتر اللف عينه حمرا من السهر، قلبه موجوع، وكل دقيقة بتمرّ عليه كإنها شهر.
فريد قال له:طب يا إياد نرتاح شوية؟ دماغك هتنفجر.
إياد هز راسه:مش هرتاح إلا لما أعرف ليلى فين.
وهو ماسك موبايله فجأة

تن إشعار وصل.
بصّ للشاشة رقم مجهول.
رسالة فيها جملة قصيرة وصورة.
فتح الرسالة ولقَى ليلى بخير ومرتاحه.
تحت الكلام صورتين ليها واحدة وهي قاعدة في مكان مليان ورد، بتضحك ضحكة هادية
والتانية وهي شايلة سامي، والولد حاضن رقبتها وهما مبتسمين
في اللحظة دي إياد حس بقلبه بيقف.
!دي ليلى؟ !دي لسه من امتى؟
اتسمرت عينه على ضحكتها ضحكة بجد مش مصطنعة مش مجروحة
ضحكة ما شافهاش من شهور.
!فريد خطف منه الموبايل:الله !دي مبتسمة فعلاً
! إياد مد إيده بسرعة وخده منه:استنى مين اللي بعت؟
!وليه؟ !وليه دلوقتي؟
حسّ بارتياح عجيب ارتياح سخيف، لذيذ، يخوّف ضحكتها
طمنت قلبه لكن لو هي بخير ليه ما كلمتنيش؟
ليه ما رجعتش؟
ليه حد غريب هو اللي بعت؟
رسالة جديدة وصلت.

نفس الرقم.
جملة واحدة:متدوّرش هي في أمان.
إياد حس بظهره بينمل.
نفسه اتلخبط.
وخبط بإيده على الدركسيون:أمان؟ !ومنين أعرف إن ده
!حقيقي؟ !وليه مخبيينها؟ !وليه مش عايزينها ترجع؟
فريد حاول يهديه:يا إياد الصور واضحة إنها بخير.
ممكن تكون في مكان بتحاول تستعيد فيه نفسها وتبعد عن
كل اللي ضغط عليها.
لكن إياد كان بيسمع نبض قلبه بس مش كلام حد.
لو حد أخدها هلاقيه ولو ليلى بإرادتها هعرف السبب.
مش هسيبها مش بعد اللي عشناه.
رفع الموبايل ورجع يبص لصورتها وهي بتضحك.
عينه دمعت:يا رب تكوني فعلاً بخير.
بس جواه؟
الخوف كان زي ثعبان ملتف حوالين قلبه.
لأن الرسالة اللي طمّنته هي نفسها اللي خوّفته أكتر.
بالليل سامر كان قاعد في أوضته، النور خافت، والجو ورا
الشباك فيه هدوء مُريب كان ماسك موبايله وبيبص على
آخر صور ليلى اللي قدر يلقطها قبل ما يخبّيها عنده صور
بسيطة، لكنها كانت كل اللي مطمِّنه إنها لسه

في الدنيا.
نهى دخلت عليه بالأهدا، وفتحت الباب نص فتحة
نهى:سامر إنت كويس؟
سامر من غير ما يرفع عينه:آه كويس.
هي عارفة إنه مش كويس عارفة إنه بيتآكل من جواه، خصوصًا من ساعة ما ليلى اختفت، وهو الوحيد اللي يعرف هي فين.
قبل ما تكمل كلام، موبايله رن رسالة جديدة سامر اتجمد، قلبه ضرب زيادة، ووشه اتوتر.
فتح الرسالة نهى قفلت الباب بهدوء وقربت، وشهّا مليان قلق.
نهى:في إيه؟ حصل حاجة؟
سامر ما ردش إيده اترعشت وهو بيورّيها الشاشة.
الرسالة كانت قصيرة لكن تقيلة:ليلى بخير ومبسوطة متخفّش ولسه بدري.
وتحتها صورة.
نهى شهقت:يااه دي ليلى !بتضحك !ده بجد؟!
سامر حسّ بريح خفيفة داخلاه أخته كويسة بتضحك شكلها مرتاحة.
بس في نفس اللحظة الخوف مسك رقبته.
سامر بصوت واطي:هما عارفين عارفين إني مخبّيها.

وإزاي صوروها؟ وإزاي وصلتهم الصور؟
نهى قعدت جنبه، ومدت إيدها على كتفه:اسمعني يا سامر طول ما ليلى بخير، إحنا هنكمل الرسالة دي معناها إن اللي بعتلك مش عايز يؤذيها يمكن بيحذّرك يمكن بيجرب يشوف ردّ فعلك.
سامر عضّ شفايفه من التوتر، وقال:بس ليه؟ وليه دلوقتي؟ ده مش تطمين ده تهديد ناعم.
نهى بصّت في الصورة تاني ليلى قاعدة على كرسي، الضحكة طالعة من قلبها، لكن الخلفية مش باينة ضباب، كأنها متصورة بتعمد يخفي كل حاجة حواليها.
نهى:وبعدين كلمة لسه بدري دي اللي خوفتني.
سامر هزّ راسه ببطء:أيوه معناها لسه في حاجة جاية.
سكوت تقيل نزل على الأوضة واتنينهم حاسّين إن اللي جاي مش هيكون سهل.
بس وسط ده كله كان فيه رابط غريب بين خوفهم وراحتهم ليلى بخير.
بس فين؟ ومع مين؟ وليه؟
ليلى كانت قاعدة في أوضة صغيرة عند سامر، لابسة تيشيرت واسع وشعرها ملموم فوق راسها باين عليها إنها أخيرًا بدأت تهدى بس الهروب كان سايب أثر واضح في عينها.

سامر دخل بالأكل سامر:كُلي يا ليلى انتي طول اليوم ما دوقتيش حاجة.
ليلى بصوت واطي:مش قادرة يا سامر خايفة .خايفة يعرف مكاني خايفة تبوّظ حياتك بسببي.
سامر بحزم وهدوء:أنا اللي عرضت ومش هسيبك طالما عندي، محدش يقربلك.
هي بصّت له، ودمعتها على طرف عينها.
ليلى:هو هيولّع في الدنيا إنت متعرفش مروان بيبقى عامل إزاي لما يغضب.
سامر تنهد وهو نفسه خايف من غضب مروان، بس مش هيقول.
سامر:وإحنا نولّعها قبله لو حاول يقرّب .المهم دلوقتي إنك بخير.
ليلى سكتت بس إيديها كانت بترتعش وهي ماسكة الكوباية.
سامر لاحظ، وقعد جنبها وقال:على فكرة جاتلي رسالة امبارح بصورك.
هي فتحت عينها بصدمة:إيه؟ مين عرف إني هنا؟!
سامر:مش عارف بس الرسالة مش تهديد كأن حد بيطمنّي إنك بخير !وأنا هنا معاك فالموضوع غريب.
ليلى ابتلعت ريقها يعني في حد بيراقبنا؟

سامر ما ردش وده كان أكبر رد.
في الضهر، مروان داخل القسم زى العاصفة.
وشه أحمر، ومسك الموبايل بإيده كأنه هيكسّره.
مروان بيزعق:مفيش حد لقاها لحد دلوقتي؟ !يومين مختفية
ومحدش جاب خبر !إنتو بتهزروا؟!
واحد من العساكر حاول يهديه:يا باشا، دورتوا في كل
الأماكن اللي.
مروان مقاطع، منفجر:هاتوا كاميرات الشوارع افتحوا
المداخل اسألوا كل الناس !أختي أختي يا ناس!!
كانت ملامحه مرعبة مروان لما يغضب بيبقى مخلوق تاني
مش بس قلقان ده مشتعل
طلع موبايله، وبعت لجروب:لو حد عرف مكان ليلى
ومكلمنيش مش هبقى مسؤول عن اللي هيحصل.
أخوها قال لها:مروان هيهدي أول ما نلاقيها.
هي بانهيار:بس هو بقى بيشك في الكل حتى فيّا كل شوية
يقول يمكن أنا مخبية عليها حاجة!
الليل مروان سواقته كانت جنونية، الشوارع بتجري تحت
العربية.
بيسأل أي حد صاحب كشك، سواق تاكسي، بواب عمارة.
مروان:البنت دي شفتها؟ اختي !اختي يا عم!
الناس بتتلبّخ، وبيجاوبوا خوفًا.

كان شكله مرعب جفن مش نايم، دقنه طولت، هدومه مجهدة.

وقف فجأة قدام محل صيانة كاميرات.

مروان:افتحلي التسجيلات دلوقتي!

صاحب المحل حاول يهدّيه:يا باشا ده ياخد وقت.

مروان ماسكه من هدومه:وقت؟ !اختي مخطوفة وانت بتقولي وقت؟!

الراجل أسرع وهو مرعوب.

رجع سامر البيت يحمل أدوية لليلى وأول ما فتح الباب لقاها واقفة عند الشباك، وشها شاحب.

ليلى:سامر حسّيت إن حد كان واقف تحت البيت حد بيراقب.

سامر قلبه وقع ادخلي جوه متقفليش الستارة وربنا يستر لو حد عارف إنك هنا الوضع هيولّع.

وفي نفس اللحظة مروان استلم تسجيل جديد من أحد المحلات ظهر فيه ظل بنت ماشية بسرعة شكل شعرها طريقة مشيتها.

مروان يصرخ:هي دي دي ليلى !اتتبّعوها هاتوا كل الكاميرات اللي بعدها!

وابتدى سباق الزمن سامر بيحميها.

مروان بيدوّر عليها زي مجنون.

حد مجهول بيبعت رسائل ومراقبهم هما الاتنين.
إياد كان واقف قدّام البيت الريفي اللي حصل عليه بعد تتبّع الرسالة الأخيرة قلبه كان بيدق بسرعة مش خوف، لا أمل.
ولما الباب اتفتح وظهرت ليلى قدّامه، وشّها متكور من البكاء بس مبتسمة ليلى بصوت مبحوح:إياد.
ما استناش، دخل وحضنها بقوة.
حس بيها وسمع صوت أنفاسها وكأن روحه رجعت لجسده.
إياد:ليه يا ليلى؟ ليه عملتي كده؟ موتّيني عليكِ.
قبل ما ترد ظهر سامر من جوه البيت، شايل فوطة على كتفه، ووشه هادي كالعادة.
سامر:اطمن هي معايا ما كنتش هسيب حد يقربلها.
إياد اتنفس براحة لأول مرة من أيام.
إياد:طالما هي معاك يبقى أنا فعلاً أطمن.
المشهد كله كان دافي ريحة أمان حقيقي لأول مرة.
وسامي كان واقف ورا ليلى أول ما شاف إياد جري عليه وحضنه.
سامي:بابا !كنت فين؟
إياد بيحضنه بقوة:أنا هنا ومش هسيبك تاني.
بعد ساعات من الهدوء سامر خد سامي للبحر اللي جنب

البيت، علشان يعلّمه السباحة.
كانوا الاتنين مبسوطين سامي بيضحك ويصرخ:شوف يا خالو !بعرف أعوم!
سامر ضحك وقال:برافو يا بطل !كمان شوية وتبقى سبّاح.
ليلى وقفة على الشط، وإياد جنبها وهي مبسوطة إن ابنها أخيرًا بيرجع يضحك.
صوت طلقة ثم طلقة تانية.
سامر اتخض حس بسخونة غريبة على كتفه، والدم نزل فجأة.
سامر بيصرخ:سامي !ارجع ورايا!
لكن قبل ما يلحق يمسكه ظهر راجل ملثم من بين الصخور جري بسرعة، وخطف سامي من ميّة البحر.
سامي بيصرخ بصوت مفزع:ماماااا !!!خالو سامر !!! باباا!!!
الراجل شدّه وجرى وسامر حاول يجري وراه رغم النزيف وقع على ركبته، وصوته بيطلع من الصدمة
سامر:ساااميييي!!!
ليلى صرخت صرخة هزّت الدنيا:ســــــامـــــــي!!!
جريت ناحية البحر، وقعت على الأرض، بتضرب الرمل بإيديها.

إياد ساب كل حاجة وجري عليها، حاول يشيلها من الأرض وهي بتترعش.

ليلى منهارة، بتصرخ:ابني يا إياد !!!خدوه خدوا روحي!

إياد حاول يثبتها، بس صوته نفسه كان مكسور:هنلاقيه والله هنلاقيه.

سامر حاول يقف، الدم مغرق دراعه.

سامر مقطع النفس:ده ده نفس الراجل اللي بعت الرسائل ده كان بيراقب.

وعينه كانت بتدوخ، لكنه حاول يقول آخر كلمة قبل ما يقع:مش خطف عشوائي ده حد عارفنا وقع على الأرض، وعيونه بتتقفل.

إياد من الصدمة للهجوم

إياد ساب ليلى ثواني وجرى على سامر.

مسك هدومه وقال إياد:فَوَق يا سامر !فوق !مين اللي عمل !كده؟ !مين؟

سامر بصعوبة فتح عين واحدة:مش سامي الهدف ليلى وغمض.

إياد استنجد بالشرطة والإسعاف.

ليلى مرمية على الأرض، وصوتها رايح من كتر الصريخ.

!ليلى:سامي ابني خدتوه مني ليه؟

إياد رفعها في حضنه، وقلبه كان بيولّع نار.
إياد بحزم قاتل:أنا مش هسيب اللي عمل كده يتنفس والله هجيب سامي وهدمّر حياة اللي فكر يقرّب منه.
السرير الأبيض، ريحة المطهر، صوت أجهزة القياس سامر مرمي على السرير، ضمادة ضخمة على كتفه، والدم لسه بينزّ من الجرح رغم محاولات الأطباء.
ليلى دخلاله وهي لسه بتترعش من البكاء.
قعدت جنبه، ماسكة إيده.
ليلى بصوت مكسور:سامر اتكلم أنت الوحيد اللي شاف وشّه مين اللي خطف سامي؟
سامر حاول يفتح عينه بصعوبة صوته كان مخنوق
سامر:ليلى أنا آسف مكنتش عايز أقول خفت أجرحك بس لازم تعرفي.
ليلى قربت ودنها لوشّه المرتجف.
سامر:اللي خطف سامي هو مروان.
ليلى اتسمرت مكانها.
حست الدنيا بتلف حواليها.
قامت واقفة فجأة، وإيديها بتترعش.
ليلى:مروان؟ أخويا؟
سامر أغمض عينه، صوته بيتكسر:هو وراه كل اللي جرالك كل الحقد هو اللي بعت صورك هو اللي كان

بيحرّض وهو اللي ضربني برصاص.
إياد كان واقف برا الغرفة، وشه متحجر، بس عينه كلها نار.
كان سامع آخر كلمة خرجت من سامر اسم مروان وقع على أذنه زي انفجار.
إياد بغضب مكتوم:مروان؟ ابن ال.
وقف ثواني ياخد نفسه.
ثم مسك التليفون واتصل بحد إياد:اسمعوني كويس عايز كل رجالتكم على عنوان واحد مروان الشريف يتجاب حالًا، بالقوة لو لزم الأمر.
ده خطف طفل وشرّد مراته.
ليلى خرجت من غرفة سامر بوش شاحب وقفت قدام إياد، عينها محمرة ومتورمة.
ليلى بتهمس:إياد أخويا عمل كده؟ ليه؟ ليه يا رب؟
إياد مسك وشّها بإيده، عينه فيها غضب وخوف وحب في نفس الوقت.
إياد:لأنه مش أخوكي ده واحد بيكرهك وعايز يدمر حياتك.
بس والله مش هسيبه.
ولا هسيب سامي ثانية واحدة معاه.
ليلى انهارت على صدره.

قلبها بيتقطع.
ليلى:هيعمل إيه بابني؟ سامي بخاف من الغربا هيعاملوا إزاي؟
إياد ضمها بقوة.
نبرة صوته كانت ثابتة لكنها موجوعة إياد:مش هيقرب له ومش هيأذيه.
مروان جبان بيستخدم طفل علشان يوجعك.
لكن مش هيعرف يوجعني ولا هيسرق مني ابني.
غرفة مظلمة بسيطة، إلا من ضوء خافت جاي من لمبة سقف.
سامي قاعد على الأرض وسط ألعاب، بيبص حواليه بخوف.
مروان واقف قدّامه، عينه مليانة حقد بس مترددة.
شايل مسدس على الطاولة.
سامي يبكي بخوف:عايز ماما وهي فين؟
مروان زفر بضيق الكراهية اللي في قلبه أكبر من ضميره.
مروان:أمك دي خدت كل حاجة وأنا لأ.
كان لازم أولّع الدنيا علشان تحس.
سامي صرخ:عايز مامااا!!!
مروان مسك راسه بإيده واضح إنه على حافة الانهيار.

إلياد رجع يخش أوضة سامر بعد ما هدى ليلى شوية.
سامر بصله بعين مرهقة، وقال سامر:إياد اسمعني مروان مش لوحده في حد واقف معاه من زمان حد كبير حد مش هتتوقعه.
إياد حبسه نفسه، قلبه بيضرب إياد:مين؟
سامر قبل ما يدوخ قال كلمة واحدة سامر:كريم وضلمت عينه.
الليل كان ساكن بس جوّه العربية اللي بيقودها مروان، كان كل شيء بيصرخ.
سامي نايم في الكرسي الخلفي دموعه لسه مبللة خدوده.
مروان بيبص عليه كل شوية من المراية ونفس السؤال يلف في راسه:أنا بعمل إيه؟ !أنا رايح بيه فين؟!
لكن الحقد جواه كان أكبر من أي خوف.
ضغط على البنزين والعربية اخترقت طريق زراعي مظلم.
مروان مخاطب نفسه:لو فضلت إياد هيطب عليّ ولو رجعت ليلى هتتسامح وأنا؟ !ولا حد هيشوفني أصلاً.
على بُعد كيلو مترين عربية تانية ماشية وراهم.
سامي الأخ الأكبر اللي محدش كان متوقع إنه يظهر.
نظراته باردة صوته لما كلم نفسه كان كفيل يجمّد

الدم:مروان لازم النهاية.
أنت بقيت عار ولو سيبتك، هتجرّنا كلنا في السواد اللي جواك.
شاف من بعيد ضوء سيارة مروان ابتسم ابتسامه خفيفة مرعبة.
والولد؟
هو كمان شاهد لازم يختفي.
سامي كان مقتنع الحل الوحيد إنه يخلص على الاتنين.
مروان لمح ضوء جاي وراه ضوء أقرب من اللازم.
اتوتر قرب من الزجاج يشوف.
سامي؟!
هو بيعمل إيه هنا؟!
قلبه وقع.
عارف كويس إن رامي مش جاي يساعده سامي جاي يخلص القصة كلها.
مروان حاول يسرّع لكن الطريق ضيق وشجر وطراب حوالين الجنبين.
مروان مذعور:يا رب سامي سامي مالوش ذنب!
بص للولد من المراية، وشافه بيتقلب براحة وهو نايم.
ورأى نفسه وشه شاحب، مرعوب، ضايع.
سامي زوّد السرعة.

الضوء اللي من الفوانيس بتاعته بقي كأنه سيف بيشق الليل.
خبط على البوق مرة مرتين ثلاثة.
سامي يصرخ من العربية:اقف يا مروان !!!اقف!!!
مروان شد الدركسيون العربية اتزحلقت شوية.
مروان:مش هتسيبني هتقتلني وهتقتل الصغير كمان.
سامي قرب أكتر وخبّط جامد في مؤخرة عربية مروان.
سامي صحي بفزع وصرخ:مامااا!!
مروان اتجنن لف راسه بسرعة:سامي !!ماتخافش !ما تخافش يا حبيبي!
سامي خبط مرة تانية أقوى.
العربية اتهزت بعنف بس مروان فضل ماسك الدركسيون بإيده الاتنين.
الصوت اللي حطم كل شيء فجأة مروان سمع صوت:بِس وقف العربيّة يا مروان!
الصوت ده مش سامي الصوت ده ملامح شبح من الماضي.
صوت أبوهم صالح اليوسف.
بس مروان عارف مش صوت حقيقة.
دي هلوسة من الخوف من الذنب من سنين كراهية.
غمض عينه لحظة ولما فتحها سامي قرّب بمسافة

خطيرة.
!!!مروان يصرخ:سامي !!!الولد معايا !!!هتموّته
سامي رد بصوت بارد، ثابت:العيله دي مش ناقصة فضايح.
وأنت أكبر فضيحة.
وبدون تردد لف الدركسيون وهجم على جانب سيارة مروان.
!!الصوت كان مرعب:تـــررررررخخخخ
العربية تلفّت بالعِرض سامي صرخ مروان صرخ والليل صرخ معاهم.
لحظة الصمت
بعد القصفة الطريق سكت.
العربيتين وقفوا على الجنب إزاز مكسر وهدوء مخيف بعد العاصفة.
مروان، مدمم، حاول يفك الحزام الذي يربطه.
مروان بصوت مكسور:سامي سامي فين؟
سمع صوت بكاء خفيف من الكرسي الخلفي.
عاي...ز ماما.
مروان انهار دموعه نزلت بدون وعي.
لكن سامي لسه ما خلصش سامي نزل من عربيته خطواته تقيلة وعينه سودا.

فتح باب سيارة مروان بعنف.
وبص على سامي.
سامي:خلص هاته.
مروان وقف قدّامه مكسور لكن واقف.
مروان:مش هتلمسه هو طفل!
سامي بالله عليك ده ابني مش ابني لكن زي ابني.
سامي مسك مروان من قميصه:خلاص اتأخرت الولد ده هيقضي علينا كلنا.
هنا ظهر الرعب الحقيقي في عين مروان.
عرف إن سامي مش بيروّح سامي جاي يقتل سامي.
الهوا بقى تقيل الليل اتكهرب.
سامي واقف قدّام العربية، عينه زي السكينة، وصوته مليان كره:سلّمني الولد يا مروان وإلا مش هتقوم من هنا.
مروان وقف قدّام باب العربية زي جبل إيده مرتعشة بس جسمه ثابت.
مروان:مش هتلمس سامي مش هتقرّب منه!
ده طفل يا سامي طفل !هو عمل إيه؟!
سامي شهق بسخرية:عمل إنه وِلد ليلى وده كفاية.
حاجة بتتكسر جوا مروان اتجمعت كل لحظات الغيرة الفشل الحقد وبقت لهب.

وفي لحظة اندفاع هجم على سامي.
سامي كان أقوى ضرب مروان في بطنه لحد ما وقع على ركبته.
سامي من جوّه العربية كان بيعيط:خالو مَرواااني !ماما ! !ماماااا
الصوت ده صحّى حاجة غريبة جوا مروان قوة عمّره ما حس بيها.
اتحامل على نفسه وقف ورمى جسمه كله على سامي.
الاتنين اتدحرجوا على الأرض تراب صراخ صوت ارتطام.
سامي شدّ مروان من هدومه وضربه على وشه بقوة
سامي:كان لازم أخلص عليك من زمان!
لكن مروان مسك إيد سامي وبإصرار غريب صرخ:أنا مش هسيبك تقرب من الولد!"
سامي رفع حجر كبير كان ناوي يهوّي بيه على راس مروان.
سامي صرخ صرخة كسرت قلب الليل:لأاااااااا!!!
في اللحظة دي أصوات عربيات كشافات قوية صوت صافرة يشق السكون :شرطة !!محدّش يتحرّك!!!
زمرة عربيات شرطة دخلت المكان زي العاصفة.
أضواء زرقا بتقَطّع الضلمة.
ثلاث ضباط جريوا ناحيتهم.

سامي حاول يهرب لكن اثنين مسكوه على الأرض.
ضابط:سامي صالح اليوسف أنت متهم بالخطف والشروع في القتل!
مروان كان مرمي على الأرض، وعيونه نص مفتوحة.
نفسه بيطلع بصعوبة دم على بقه.
سامي جري ناحيته وهو بيعيط:خالو مروان قوم قوم! أرجوك!
ضابط حاول يشيله بعيد، لكن سامي مسك إيد مروان بقوة.
مروان ابتسم ابتسامة صغيرة ضعيفة وصوته طالع من مكان بعيد:ماتخافش أنا حميتَك زَي ما وَعَدت.
وبعدين عينه اتقفلت.
باراميدك نزلوا بسرعة.
رفعوا مروان على نقالة، وسامي ماكانش عايز يسيبه:هاروح معاه!
ده خالو سيبوني معاه!
المسعف بحنية:طيب يا حبيبي هتركب معاه، بس إمسك إيدي.
سامي مسك إيده وركب الإسعاف وعينيه متعلقة بوجه مروان اللي ما بيتحركش.
الباب اتقفل وصوت الإسعاف ملأ الليل.

الشرطة بتقبض على سامي ومروان في المستشفى ما بين الحياة والموت وسامي مرعوب، حضنه ملفوف في بطانية وعمال يسأل:فين ماما؟عايز ماما!
ونور بعيد عربية إياد داخلة مكان الحادث بسرعة رهيبة.
كانت ليلى واقفة في طرقة المستشفى، إيديها بتترعش ووشها الأبيض بقى أزرق من الخوف .أول ما شافت عربية الإسعاف وهي داخلة، جريت عليها بجنون.
سامي!! مروان!!
خرج المسعف بسرعة وهو شايل مروان على النقالة، دم على جبينه وصدره بيرتفع وينزل بصعوبة.
سامي كان ماسك إيد خاله بيعيّط لدرجة صوته اتكسر.
ليلى بصوت مخنوق:يا نهار أسود أخويا أخويا كده ليه؟!
سامي وهو متعلق بيها:هو اللي حوش عني خالو وقع يا ليلى وقع علشاني.
حضنته وهي بتنهار:حبيبي معلش خلاص انت بخير.
لكن عينها كانت على مروان قلبها كان بينهار.
إياد ظهر وهو بيجري، وشه مجهد، وعيونه حمرة من السهر والبحث.
أول ما شاف ليلى وسامي اتنفس بس أول ما شاف مروان اتجمد.
إدا مروان؟ !اللي اتصاب؟!

ليلى ببكاء:آه كان بيدافع عن سامي واللي خطفه كان سامي.
اتسعت عين إياد بصدمة وغضب:أخوكم؟!!
دخل الأطباء بمروان غرفة العمليات.
وسامي وقف على الباب، رافض يتحرك، دموعه على خدوده.
إياد متسبنيش أنا كنت ماسك إيده وخالو وقع.
إياد نزل لمستواه وحضنه جامد:ما تعملش في نفسك كده دي مش غلطتك مروان كانت نيته يحميك، وإنت كنت شُجاع.
لكن الصغير كان بيهز رأسه وبيقول:لو ما كنتش صحيت من النوم ما كانش هيجراله كده.
انهارت ليلى على الأرض، وفضلت تعيط بصوت مكتوم.
إياد رفعها وهو بيحضنها من كتافها:أخوكي بطل ومش هيسيبنا.
ظهر ضابط التحقيق مرتبك وهو ماسك ورق.
بص لإياد وقال:الخبر اللي عندي مهم سامي اعترف بكل حاجة بكل العمليات اللي عملها وبمحاولته خطف سامي وبالهجوم على أخوه.
ليلى كانت بتسمع وهي مش مصدقة:ليه ليه يعمل كده؟ ده أخويا؟

الضابط بحزن:قال إنه شايل ضغينة عليكم وإنه شايف إن ليلى سبب خراب حياته من زمان.
سامي بص ليلى بخوف:هيقولوا إن سامي الشرير هياخدوه فين؟
الضابط رد بهدوء:هيتحاكم بس إنت، يا سامي، شجاع ومحدش هيمسك تاني.
عدّى وقت طويل ساعات من الانتظار، دعاء، خوف.
وأخيرًا خرج الدكتور :مروان فاق بس ضعيف جدًا ممكن يشوف حد واحد.
ليلى وقفت بسرعة، لكن سامي كان سابقها بخطوة.
أنا أنا اللي عايز أشوفه هو أنقذني.
دخل سامي الغرفة شاف مروان نايم، وجهه شاحب بس ابتسامته الضعيفة ظهرت أول ما الصغير دخل.
يا بطل.
سامي جري عليه وهو بيبكي:ما تعملش كده تاني أنا خفت عليك ما تسبنيش إنت خالو طيب مش زي الشرير.
مروان ضحك بخفة رغم الألم:أنا عمري ما هسيبك.
ليلى دخلت ووقفت عند رجليه، دموعها بتنزل من غير ما تحس:يا مروان كده؟ !تخضني كده؟
مروان بص لها بنظرة مرهقة:كان لازم سامي ده مش طفل ده روحي يا ليلى.

إياد دخل بعدهم، وقف عند السرير ومد إيده:أنا مُقصر معاك يا مروان بس اللي عملته ده عمره ما يتنسى.
مروان مسك إيده وقال:المهم ان الولد سليم حافظوا عليه ده نوركم كلكم.
إياد بص لسامي وقال:وإنت هتتعلم السباحة تاني لما خالك يقوم بالسلامة.
سامي ضحك من وسط الدموع:بس ما يقعش تاني.
بعد أيام المحكمة اتملت، والجو كان تقيل.
ليلى وقفت وهي ماسكة إيد سامي، وصوتها ثابت:أنا مش جاية أنتقم أنا جاية أقول إن اللي حصل ده كسر في العيلة لكن مش هيدمرنا.
سامي اتدخل الحرس بيجرّه، وجهه كان مكسور، غضبه اختفى بص لمروان اللي كان على كرسي متحرك، وقال بصوت ضعيف:أنا آسف يا مروان أنا كنت تايه.
مروان رد بهدوء:إحنا عيلة بس اللي عملته ما يتصلحش ...والعدالة لازم تاخد مجراها.
القاضي أعلن حكمه سامي مسك إيد ليلى وبص لها:إحنا بقى عندنا خالو واحد صح؟
ليلى بصت له بحنان:إحنا عندنا اتنين مروان وإياد.
وسامي ضحك ببراءة:وكمان عندي ماما ليلى.
إياد حضنهم هما الاتنين، وقال بصوت واثق:خلاص ده

بيتنا من النهارده ومحدش هيقربلكم تاني.
مرّت الشهور وتحوّل كل الألم اللي عاشوه لسِتر ورحمة وخيط جديد بيجمع العيلة من غير خوف.
مروان قعد فترة طويلة في العلاج الطبيعي.
بس يوم عن يوم كان بيقوم خطوة صغيرة، بعدها خطوة أكبر.
وفي يوم دخل عليهم المستشفى بابتسامة واسعة:أنا رجعت واشتقتلكوا.
سامي جري عليه:خالو !هتعلّمني السباحة تاني؟
مروان ضحك:هعلّمك بس من غير وقعة المرادي!
ضحكوا كلهم، وكان في ضحكة ليلى لأول مرة من شهور ضحكة شبه القديمة، الدافية، الهادية.
مع الوقت بدأت كوابيس ليلى تقل، بقت تنام بهدوء، وسامي رجع يحضنها من غير ما يسأل بخوف:هتروحي فين؟
لأنها بقت موجودة مستقرة محميّة.
إياد كان عامل البيت واحة أمان.
كل يوم يقرب ليلى جنبه أكتر، وكل خطوة كانت بترجعها للحياة.
وفي يوم، وهي واقفة في البلكونة، قالها:ليلى أنا عايز البيت يكبر ونفرح من جديد.

بصّت له باستغراب:نكبر؟
مسك إيدها وحطها على قلبه:نفسي يبقى عند سامي أخت وتبقي بنتنا إحنا الاتنين.
عدّى كم شهر وفي صباح هادي ليلى خرجت من الحمّام، ماسكة اختبار الحمل عينيها بتلمع.
سامي كان أول واحد يشوفها:ماما؟ انتي بتعيّطي ليه؟
قعدت على ركبتيها قدامه:علشان ربنا هيجبلك أخت ان شاء الله يا سامي.
فتح سامي بُقه وصرخ بفرحة:أخت !!بجد؟!
جرى على إياد اللي كان داخل من الباب:إياد !!هنجيب بيبي!!
إياد وقف مذهول، وبعدين حضن ليلى بقوة:الحمد لله الحمد لله يا ليلى.
العيلة كلها اجتمعت.
زوجه سامر، جابت لليلى هدية صغيرة للبيبي.
سامر، رغم جروحه النفسية اللي اتداوت، كان بيضحك من قلبه:سامي خلاص مش وحيد أخيرًا.
مروان مسك يد ليلى وحضنها بخفة:فرحتلك من قلبي ربنا عوّضك.
وجي اليوم المنتظر.
كانت ليلة مطر خفيف، والدنيا هادية.

خرج الطبيب بابتسامة:مبروك جتلكم بنت زي القمر.
سامي قاعد بره على الكرسي، قام يرقص ويدور:بنت !!
!!بنت !!عندي أخت
دخل إياد لحضن ليلى ورفع الصغيرة بين إيديه.
بنت بشرتها بيضا زي أمها، وعيونها واسعة كأنها بتحكي من أول ثانية.
نسميها إيه يا ليلى؟
ليلى بصت لبنتها ابتسمت وقالت:هالة.
إياد قبّل جبينها:أحلى اسم وأحلى بنت.
سامي قرب يبص عليها وقال ببراءة:دي هتبقى أختي وهحميها.
مروان دخل الغرفة على كرسيه المتحرك وهو لسه بيتعافى، أول ما شاف هالة قال:ما شاء الله نور البيت.
ليلى بصت حواليها إخواتها، طفلها الكبير، زوجها، بنتها الجديدة كل اللي اتكسر اتجمّع من جديد.
ليلى لقت بيت وعيلة وسلام.
وهالة كانت بداية جديدة خيط نور فتح حياة كاملة.
عدّت السنين بسرعة والبيت اللي كان مليان دموع زمان، بقى دلوقتي مليان ضحك ولمة ودفا.
سامي كبر وبقى عنده 13سنة.
ولد مؤدب وذكي، بس أهم حاجة إنه بقى أخ كبير على

قد المسؤولية.
كل يوم الصبح، قبل ما يروح المدرسة، كان يصحّي هالة:يالا يا لولو فطارك جاهز.
هالة كانت بتقوم وهي نايمة نصها، ماسكة دبدوبها، وتقول بصوت مبحوح:ياااا سامي خمس دقايق.
بس سامي ما كانش بيزهق.
كان فاكر كل لحظة اتخطف فيها بعيد عن مامتهم، وكل خوفه وقتها وعلشان كده بقى أكتر واحد بيخاف على هالة.
هالة عندها 5 سنين.
عيونها واسعة وبريقها ما يطفيش، ضحكتها تسمّع من آخر الشارع.
الكل بيسميها:بهجة البيت.
كانت متعلقة بمروان تعلق غريب تقعد على حجره كل يوم وتقول له:خالو، احكيلي حكاية زمان لما كنت بطل!
مروان يضحك ويقول:أنا؟ دا أنا أكتر واحد جاب المشاكل!
لكن هي ما كانتش بتصدق كانت شايفاه بطلها المفضل.
في يوم جمعة، العيلة كلها متجمعة عند صالح.
سامر بيشوّي فراخ، ومروان بيلعب مع سامي، وإياد واقف بيعدل الترابيزة.

هالة جريت على ليلى:ماما سامي قال إني صغيرة أروح معاه النادي!
سامي رد بسرعة:علشان بتتنططي كتير وهتقعي!
هالة حطّت إيدها على وسطها وقالت:ماهو علشان أنا أختك لازم تاخدني معاك!
ضحكوا كلهم، وإياد قال:خدها يا سامي ده حقها.
سامي لف عينه وقال:ماشي بس هتسمعي الكلام!
هالة رفعت إيديها للسماء:أهوه شوفتوا؟ سامي بيغير!
ليلى ضحكت بصوت عالي ضحكة عمرها ما كانت هترجع لو لا رحمة ربنا وإنقاذ العيلة ليها.
بعد ما الأطفال جريوا يلعبوا، ليلى وقفت جنب إياد في المطبخ:عمرك ما تخيلت حياتنا تبقى بالشكل ده؟
إياد بصّ لها بنظرة حب:بالعكس كنت واثق إنها هتبقى أحلى من كل توقعاتي.
قرب منها ولمس شعرها:أنا وعدتك إني هحميكي وهفضل أوفي بوعدي طول العمر.
ليلى حطّت راسها على صدره، وقالت بهدوء:وأنا أخيرًا مطمّنة.
الأزمات عدّت القلوب اتداوت والبيت اللي اتشققت جدرانه من الخوف اتبنى من تاني على حب وراحة.
ومع كل ضحكة من هالة وكل شقاوة من سامي كانت

ليلى تحس إن ربنا عوضها عوضًا جميلًا.
لأن بعض النهايات ما هي إلا بدايات لحياة أجمل.
النهاية
سامي اتحاكم واتنفذت العدالة.
سامر اتغير وبقى أخ حقيقي.
مروان اتعافى ورجع أقرب من قبل.
سامي بقى أكثر أمانًا واستقرارًا.
إياد بقى السند والراحة.

د